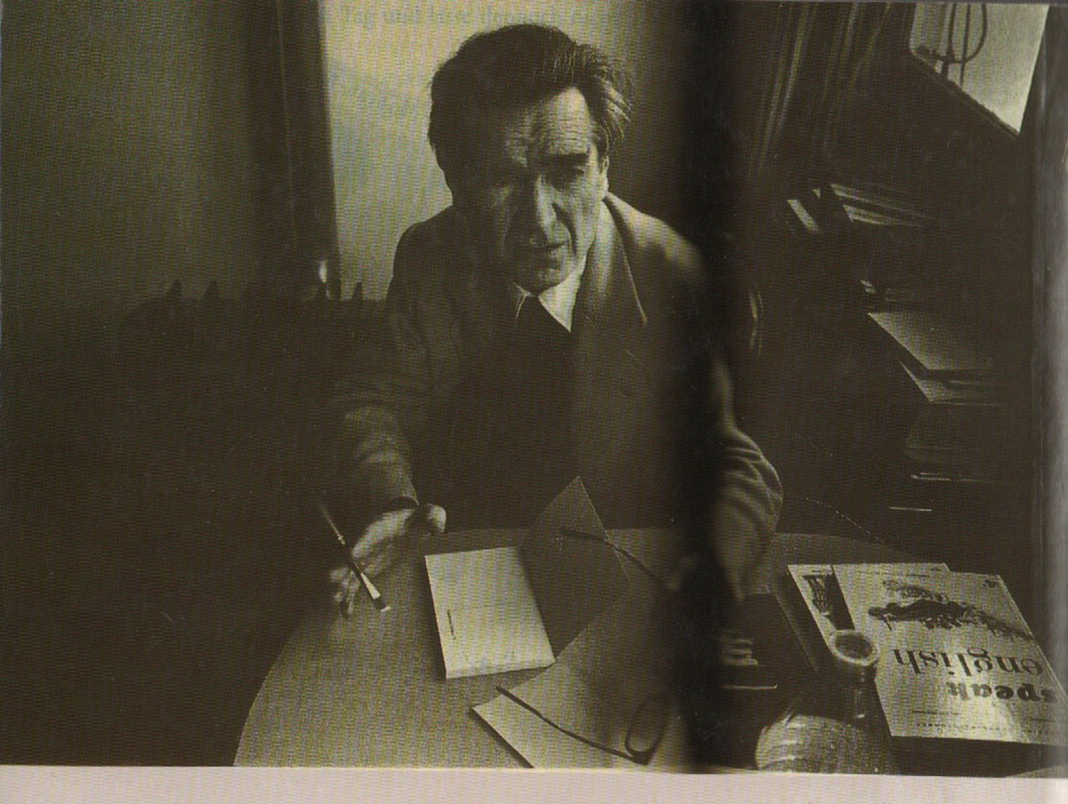


سيوران

مثالب الولادة

ترجمة

آدم فتحي

منشورات الجمل

سيوران

مثالب الولادة

ترجمة

آدم فتحي

منشورات الجمل

آدم فتحي: شاعر وكاتب ومترجم تونسيّ (١٩٥٧). من ترجماته: «**يوميات شارل بودلير**»، «**تاريخ ويوتوبيا**» لإيميل سيوران، «**ابن سينا أو الطريق إلى أصفهان**» لجيلبرت سينويه. من أحدث مؤلّفاته الشعريّة: «**نافخ الزجاج الأعمى أيّامه وأعماله**» (منشورات الجمل ٢٠١١)، وصدر هذا الكتاب في نسخة إسبانيّة (عن مهرجان الشعر العالميّ بكوستاريكا ٢٠١٢)، كما حصل على جائزة أبي القاسم الشابي للشعر في نفس السنة.

سيوران: مثالب الولادة ، ترجمة: آدم فتحي
الطبعة الأولى ٢٠١٥

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Cioran: De l'inconvénient d'être né

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

I

الثالثة صباحًا. أَنْتَبِهُ إلى هذه الثانية ثمّ إلى الثانية الأُخرى. أُقَيِّمُ حصادَ كلّ دقيقة.

لماذا كلّ هذا؟ ـ لأنّي *وُلدت*.

إنّ نمَطًا خاصًّا من اليقظة هو الذي يؤدّي إلى وَضْعِ الولادة موضعَ السؤال.

*

«مُنْذُ وُجِدتُ» ـ تبدو لي هذه الـ *مُنْذُ* مشحونةً بدلالةٍ مرعبة إلى حدٍّ يجعلُها لا تُطاق.

*

ثمّتَ معرفةٌ تنزعُ عمّا نقُومُ به كُلَّ وزنٍ وكُلَّ أثَر. بالنسبة إليها لا أساسَ لشيءٍ عَداها. ولمّا كانت خالصةً حدَّ مَقْتِ فكرةِ الشيء نفسِها، فإنّها تترجم عن تلك المعرفة القُصوى التي تجعلُ إتيانَ فعلٍ أو الإحجامَ عنه كُلاًّ واحدًا، مصحوبًا بمتعة قُصوى هي أيضًا: متعةَ أن نستطيع التكرار عند كلّ لقاء، أنْ لا حركةَ نقوم بها تُساوِي أن نتبنّاها، أنْ لا شيءَ يرفعُهُ أثرٌ من جوهَر، أنّ «الواقع» من

اختصاص اللامعقول. تستحقّ معرفةٌ كهذه أن تُنسَبَ إلى ما بعد الموت: إنّها تجري كأنّ العارِفَ حَيٌّ وغيرُ حيّ، كائنٌ وذِكرَى كائن. «لقد بات جزءًا من الماضي» هكذا يقول في شأن كلّ ما ينجزه، وتحديدًا لحظةَ الفعل، الذي يُحرَمُ هكذا وإلى الأبد من *الحاضر*.

*

نحن لا نركُضُ نحو الموت، نحن نفرّ من كارثة الولادة ونتخبّط مثل ناجين يحاولون نسيانها. ليس الخوف من الموت سوى إسقاطٍ على المستقبل لخوفٍ قادمٍ من لحظتنا الأولى.

يصعبُ علينا طبعًا أن نعتبر الولادةَ نكبة. ألم يُرسَّخْ فينا أنّها النعمةُ الأولى وأنّ الأسوأ كامنٌ في نهاية مسيرتنا لا في بدايتها؟ إلاّ أنّ الشرّ، الشرّ الحقيقيّ، يكمن *خلفنا* لا أمامنا.

ذلك هو الأمرُ الذي فات المسيحَ وأدركهُ البوذا[1]: «لولا وُجود ثلاثة أشياء في العالم يا تلاميذي، لما احتاج الكائن الأكمل إلى الظهور في هذه الدنيا». وقَبْلَ الشيخوخة والموت اعتبرَ واقعةَ الولادة مصدرًا لكلّ العاهات وكلّ الكوارث.

*

نستطيع تحمُّل أيّ حقيقة مهما كانت هدّامة، شرْطَ أن تُعوِّض

---

(١) **البوذا**: لقب ديني يُطلق على كلّ من بلغ الحقيقة عن طريق اليقظة، وأشهر بوذا هو سيدهارتا غوتاما (القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد) الذي عاش على الحدود بين الهند والنيبال. وإليه تُنسب البوذية.

عن كلّ شيء، وأن يكون لها من الحيويّة ما يساوي الأملَ الذي حلّت محلّه.

*

أنا لا أفعل شيئًا، هذا مُتَّفَقٌ عليه. لكنّي أنظر إلى الساعات تعبر ـ وهذا أفضل من أن أسعى إلى تأثيثها.

*

ليس علينا أن نرغم أنفسنا على عمل. علينا فحسب أن نقول شيئًا يمكن الهمس به في أُذْن سكّير أو محتضر.

*

ليس من برهانٍ على ما بلغته البشريّةُ من تقهقر، أفضل من استحالةِ أن نعثر على شعب واحد، أو قبيلة واحدة، مازالت الولادة قادرة على أن تثير فيها الحِداد والمناحات.

*

أن نتمرّد على الوراثة يعني أن نتمرّد على مليارات من السنوات، على الخليّة ***الأولَى***.

*

ثمّت إلهٌ في بدايةِ كلّ فرحة، إن لم يكن في نهايتها.

*

دائم الضيق بما هو آنيّ، لا شيء يغريني سوى ما يسبقني، ما

يبتعد بي عن هُنا، تلك اللحظات التي لا حصر لها حين لم أكن بعد: ما لم يُولَدْ.

*

بي حاجةٌ فيزيائيّة إلى العار. كان بودّي أن أكون ابنَ جلاّد.

*

بأيّ حقّ تُصَلُّونَ من أجلي؟ لا حاجة لي بشفيع، سأتدبّر أمري *لِوَحْدِي*.

لعلّي كنتُ أرضى بالأمر لو أنّه صدر من أحد البؤساء، ولكن ليس من أيّ شخص آخر وإن كان قدّيسًا. لا أستطيع التسامح مع هذا الاهتمام بخلاصي. إذا كنتُ أنا أخشاه وأهربُ منه فأيّ تطفُّلٍ هي صلواتكم! وجّهوها بعيدًا عنّي. نحن على كلّ حال لسنا في خدمة الآلهة نفسها. إذا كانت آلهتي عاجزة فثمّت ما يدفع إلى الاعتقاد بأنّ آلهتكم ليست أقلّ عجزًا. ولو سلّمنا بأنّها كما تتخيّلون فإنّها تظلّ مفتقرة إلى القدرة على شفائي من رعبٍ أكثر شيخوخةً من ذاكرتي.

*

يا لتفاهة الإحساس. لعلّ النشوةَ نفسَها ليست أكثر من ذلك.

*

اللا فِعْل، اللا خَلْق، هما المهمّة الوحيدة التي في وسعِ الإنسان

أن يُرغِم عليها نفسَه، إذا كان يطمح كما هو بَيِّنٌ في كلّ شيء، إلى أن يتميّز عن الخالق.

❊

أعلَمُ أنّ ولادتي مُصادفة، حادثةٌ مُضحكة، وعلى الرغم من ذلك فإنّي ما أن أنسى نفسي حتى أتصرّف وكأنّها واقعة رئيسيّةٌ ضروريّةٌ لمسيرة العالَم وتوازُنه.

❊

اقترفتُ كلّ الجرائم، باستثناء أن أكون أبًا.

❊

من عادة البشر عمومًا أن ***ينتظروا*** الخيبة. إنّهم يعرفون أنّ من واجبهم أن لا يستعجلوا، أنّها آتيةٌ آجلاً أو عاجلاً، أنّها ستمكّنهم من المُهَلِ الضروريّة كي يَفرَغُوا إلى مشاغل اللحظة. لكنّ الأمر يختلف بالنسبة إلى العائد من الضَّلال، فهي تُداهمه في لحظة الفعل نفسِها، ولا حاجة به إلى انتظارها لأنّها حاضرة. لقد تحرّر من التتابع ومن ثَمّ افْتَرَسَ المُمكِنَ وجعل المستقبلَ زائدًا على الحاجة. ولأنّ المستقبلَ بكاملِهِ حاضرٌ بالنسبة إليه فإنّه يقول للآخرين «أنا لا أستطيع ملاقاتكم في مستقبلكم إذ ليس من لحظة واحدة مُشتركة بيننا»..

حين نلمح نهايةَ البداية نسبقُ الزمن. عندئذ ينبعثُ من الإشراقةِ والخيبةِ الصاعقةِ، يقينٌ، يصنعُ من الإنسان العائد من الضَّلال إنسانًا متخلِّصًا من القيود.

❊

أتحرّر من المظاهر دون أن أنجو من التخبّط فيها، أو لعلّي، في منتصف الطريق بين تلك المظاهر و***ذلك*** الذي ينفيها، ***ذلك*** الذي لا اسم له ولا مضمون، ***ذلك*** الذي هو لا شيء وكلُّ شيء. لن أقطع أبدًا الخطوة الحاسمة خارج المظاهر. طبيعتي تضطرّني إلى المُراوحة، إلى التأبُّد في المُلْتَبِس، ولو حاولتُ الحسمَ في اتّجاهٍ أو آخَرَ لهلكتُ عن طريق خلاصي.

*

قُدْرتي على الخيبة تتجاوز كلّ تقدير. هي ما يجعلني أفهم البوذا، لكنّها هي أيضًا ما يمنعني من اتّباعه.

*

كلُّ ما يكفّ عن إثارة شفقتنا يفقد الاعتبارَ ويُصبح غير موجود. عندئذ نُدرك لماذا يكفّ ماضينا بسرعةٍ عن الانتماء إلينا، ليتّخذ صورةَ تاريخ، صورةَ شيءٍ لا يعني أحدًا.

*

أن نطمَح، في قرارة أعماق الذات، إلى أن نكون مجرّدين من كلّ شيء، مثيرين للشفقة مثل الإله.

*

التواصُل الحقيقيّ بين الكائنات لا يتمّ إلاّ عن طريق الحضور الصامت، عن طريق اللا تواصُل الظاهر، عن طريق التبادل المُلغز والخالي من الكلام، الشبيه بالصلاة الباطنيّة.

*

ما أعرفه في الستّين، كنتُ أعرفه أيضًا في العشرين. أربعون سنة من العمل الطويل وغير المجدي، للتثبُّت...

*

أن يكون كلُّ شيء مُجرّدًا من الماهيّة والأساس والمُبرِّر هو أمرٌ اعتدتُ أن أكون على يقين منه، حتى أنّ كلّ من يجرؤ على مُراجعتي فيه، وإن كان أكثر من أحترم، يبدو لي دجّالاً أو غبيًّا.

*

منذ الطفولة أحسستُ بعبور الساعات مستقلّةً عن كلّ مرجع، عن كلّ فعلٍ وعن كلّ واقعة. أحسستُ بانفصال الزمن عن كلّ ما ليس هو، عن كلّ ما ليس وجودَهُ بذاته، كيانَهُ الخاصّ، سلطانَه، جبروتَه. أذكر بوضوح لا مثيل له تلك العشيّة حين وقفتُ لأوّل مرّة قبالةَ الكون الشاغر، فإذا أنا لا شيء إلاّ فِرار لحظاتٍ متمرّدة على القيام بالوظيفة الخاصّة بها. كان الزمن ينسلخ من الوجود ***على حسابي***.

*

على العكس من أيّوب[1]، لم ألعن يوم ميلادي. أمّا الأيّام الأُخرى فقد أشبعتُها لعنات.

*

---

(١) أيوب (Job): النبي الذي تشترك الديانات الثلاث في اعتباره رمزا للصبر، بعد أن امتحنه الله في ماله وولده وجسده.

لو لم يكن للموت غير الجوانب السلبيّة، لأصبح فعلُ الموت غير قابل للتطبيق.

❊

الكلّ موجود. لا شيء موجود. كلا الصيغتين يُقدّم نفس القدر من الطمأنينة. أمّا المُوسْوسُ فهو لسوء حظّه يُراوح بين الصيغتين، مرتجفًا متوجّسًا، دائمًا تحت رحمة فُويرقة، عاجزًا عن الاستقرار في أمان الوجود أو في أمان غياب الوجود.

❊

على تلك الضفّة النورمانديّة[١]، في مثل تلك الساعة المبكّرة، لم أكن بحاجة إلى أحد. أزعجني وجود العصافير فأطردتُها بوابلٍ من الحجارة. ارتفعَ صُراخُها بحِدّةٍ غير طبيعيّة ففهمتُ أنّ ما يَلْزَمُني هو ذاك تحديدًا. فهمتُ أنّ المُرِيعَ وحدَه يستطيع أن يمنحني السكينة، وأنّي من أجل لقائه استيقظتُ قبل طلوع النهار.

❊

أن تكون حيًا ـ فجأةً هزّتني غرابة هذه العبارة، كأنّها لا تنطبق على أحد.

❊

---

(١) النورماندية: نسبة إلى النورماندي (Normandie)، وهي منطقة جغرافية في شمال فرنسا، أنجبت الكثير من رموز الثقافة والإبداع في فرنسا مثل أندري موروا وجان ماري وباسكال كينيار إلخ.

حين تسوءُ الأحوال وأُشفِقُ على دِماغي، أجِدُني أستسلمُ إلى رغبة آسرة في الخَطابة. عندئذ أحدس من أيّ هُوِيٍّ تافهة ينبثق المُصلحون والأنبياء والمخلّصون.

*

ليتني أكون حرًّا، حُرًّا إلى حدّ الجنون، حرًّا مثل وليدٍ ميت.

*

إذا كان وعيُنا مشوبًا بكلّ هذا الالتباس والاضطراب، فلأنّه نتيجة سوء استغلالنا ليقظتنا.

*

كابوس الولادة، حين ينقلنا إلى ما قبل ماضينا، يجعلنا نفقد الرغبة في المستقبل والحاضر والماضي أيضًا.

*

نادرةٌ هي الأيّام التي ترمي بي في ما بعد التاريخ دون أن أراني شاهدًا على ذهول الآلهة وهي تشرف على خاتمة الحلقة البشريّة.

لابدّ من رؤيةٍ بديل، مادامت رؤيةُ القيامة لم تعد ترضي أحدًا.

*

الفكرةُ، الكائنُ، أيُّ شيء يتجسّد، يفقد صورته ويُصبح مدعاةً للهزء. إنّه إحباطُ الاكتمال. علينا أن لا نهرب أبدًا من الممكن. علينا الاستسلام لدور المُنتَظِر الأبديّ. علينا نسيان أن نُولد.

*

سوءُ الحظِّ الحقيقيُّ، الوحيدُ: هو أن نرى النهار. إنّه منحدِرٌ من العدوانيّة، من مبدأ التوسّع والكَلَب الساكِنَيْنِ في الأُصول، من الاندفاع نحو الأسوأ الذي هَزَّها.

*

حين نرى من جديد شخصًا بعد سنوات طويلة، يجدرُ بنا أن نجلس أحدُنا قبالةَ الآخر وأن نمتنع عن الكلام طيلة ساعات، حتى يُتيح الصمتُ للخيبة أن تستمتع بذاتها.

*

أيّام مُصابةٌ بالعقْم بشكل خارق. عوضًا عن أن أفرح بها، عوضًا عن أن أُطلق صيحة انتصارٍ وأحوّل هذا الجفاف إلى حفل، عوضًا عن أن أرى فيها تجسيدًا لاكتمالي ونضجي وانفصالي أخيرًا عن كلّ شيء، فإنّي أدع للحسرة وسوء المزاج أن يكتسحاني، لفرط ما هو عنيدٌ فينا الشيخُ الهرم، الصعلوكُ الزاحف، العاجزُ عن الامّحاء.

*

أنا أسيرُ الفلسفة الهنديّة التي تتمثّل مقولتها الأساسيّة في تجاوز الأنا، لكنّ كلّ ما أقوم به وكلّ ما أفكّر فيه ليس سوى الأنا ومِحَن الأنا.

*

حين نعملُ يكون لنا هدف. ينتهي العملُ فإذا هو لا يملك من الواقعيّة أكثر ممّا للهدف الذي كنّا نسعى إليه. لم يكن إذنْ من ماهيّةٍ حقيقيّةٍ لكلّ ذلك. لم يكن الأمر سوى لعِب. إلاّ أنّ للبعض

وعيًا بهذا اللعب أثناء الفعل نفسِه. إنّهم يعيشون الخاتمةَ في المُقدّمات، المنَجَزَ في الافتراضيّ. إنّهم ينسفون الجِدَّ عن طريق وجودهم نفسه.

إنّ رؤيةَ اللا حقيقيّ وإدراكَ القُصور الكونيّ نتيجةٌ مزدوجة لإحساسٍ يوميٍّ وقشعريرةٍ مُفاجئة: ***كلّ شيء لعب*** ـ من دون هذا الكشف لا يمكن لما نحسُّ به على امتداد الأيّام أن يكتسب طابع البداهة الذي تحتاج إليه التجارب الميتافيزيقيّة كي تتميّز عن نُسختها المُزَيَّفَة، ***الإحساس بالضيق***. لأنّ الإحساس بالضيق ليس سوى تجربة ميتافيزيقيّة مُجهَضة.

❋

حين نستهلك الاهتمام الذي كنّا نتعامل به مع الموت، وحين يُخيَّلُ إلينا أنّنا لم نُبْقِ فيه على شيء صالح للاستعمال، نعود إلى الولادة، وعندئذ نشرعُ في مواجهة هاويةٍ لا تنضب.

❋

في هذه اللحظة تحديدًا أنا أتألّم. هذا الحدث الأساسيّ بالنسبة إليّ لا وجود له بل لا يمكن تصوُّرُه بالنسبة إلى بقيّة الكائنات، كُلِّ الكائنات، باستثناء الإله إن أمكن لهذه العبارة من معنى.

❋

نسمع من كلّ جانبٍ أنّه إذا كان كلّ شيءٍ تافهًا، فإنّ إجادةَ القيام بما نقوم بهِ ليست كذلك. والحقّ أنّها كذلك. للوصول إلى

هذه الخلاصة وتحمُّلِها علينا أن لا نمارس أيّ مهنة، إلاّ إذا كانت مهنةَ مَلِكٍ مثل سليمان.

*

أَرُدُّ الفعلَ مثل الجميع وحتى مثل الذين أحتقرهم أكثر من غيرهم. إلاّ أنّي أُسعف نفسي عن طريق الرثاء لكلّ فعلٍ أقوم به، جيّدًا كان هذا الفعل أو سيّئًا.

*

أين تُوجَدُ أحاسيسي؟ لقد تبخّرت... فيَّ أنا، وما هذه الأنا إن لم تكن مجموع تلك الأحاسيس المتبخّرة؟

*

خارقٌ وتافه ـ هذان النعتان ينطبقان على فعلٍ مُعيّن، ومن ثمّ، على كلّ ما يَنتُج عنه، وعلى الحياة بالدرجة الأولى.

*

الوعي هو الرذيلة الوحيدة التي تتيح لك أن تكون حرًّا ـ حرًّا في صحراء.

*

كلّما مرّت السنوات انخفض عددُ الذين نستطيع التفاهُمَ معهم. ويومَ لن نجد شخصًا نتحدّث إليه، نكون أخيرًا كما كنّا قبل أن نسقُط في اسم.

*

حين نُحجم عن الغنائيّة يُصبح تسويدُ صفحةٍ محنة: ما جدوى الكتابة إذا كانت لنقول تحديدًا ما كنّا نريد قوله؟

❋

من المستحيل أن نرضى بأن يُحاكِمنا شخصٌ تعذّب أقلّ منّا. ولَمَّا كان كلٌّ منّا يعتقد أنّه أيوّبٌ مجهول...

❋

أحلُمُ براهبِ اعترافٍ مثاليٍّ أقول له كلّ شيء، أعترف له بكلّ شيء، أحلُمُ براهبِ اعترافٍ مُشبَع.

❋

نموت منذ عصور وعصور حتى أصبح الحيُّ بارعًا في الموت. وإلاّ فكيف نفهم أنّ الحشرات والقوارض والبشر نفسه، يستطيعون بعد بعض التردّد، الموتَ بمثل هذا الوقار.

❋

لم يكن الفردوسُ مكانًا يُمكنُ تحمُّله وإلاّ لاستطاع الإنسان الأوّل أن يتلاءم معه. وليس هذا العالَمُ أكثرَ قابليّةً للتحمُّل بما أنّنا نفتقد الفردوس أو نطمح إلى آخر. ما العمل؟ إلى أين نذهب؟ لنمتنِعْ، ببساطة، عن عمل أيّ شيء وعن الذهاب إلى أيّ مكان.

❋

لا شكّ في أنّ الصحّةَ خير. إلاّ أنّ المتمتّعين بها لم يحظوا بالقدرة على إدراكها، لأنّ صحّةً واعيةً بنفسها هي صحّةٌ فاسدة أو

على وشك الفساد. ولمّا تعذّر على أيٍّ كان أن يستمتع بخُلُوِّهِ من العاهات فإنّ في وسعنا الحديث دون أيّ مُبالغة عن عقوبة ***عادلة*** للأصحّاء.

*

للبعض مصائب وللآخرينَ وساوس. من منهما يستحقّ الرثاء أكثر؟

*

لا أتمنّى أن يكون الآخرون منصفين تُجاهي: أستطيع أن أستغني عن كلّ شيء إلاّ عن الطاقة التي يمنحها الإحساسُ بالظلم.

*

«كلّ شيء ألم» ـ هذه الصيغة البوذيّة يمكن أن تُصبح، إذا تمّ تحديثُها: «كلّ شيء كابوس».

في الوقت نفسه يمكن للنيرفانا[١] وهي المدعوّةُ إلى وضع حدٍّ للعذاب المُتفَشّي، أن تكفّ عن كونها ملاذًا لأقليّةٍ مخصوصة، كي تُصبح كونيّةً مثل الكابوس نفسِه.

*

(١) النيرفانا (Nirvana): مفهوم مشترك بين الهندوسيّة والبوذيّة ويعني التحرّر الكامل من الوجود الماديّ وبلوغ السكينة التامة أو السلام التامّ والسعادة الكبرى والنشوة العظمى.

ماذا يعني الصَّلْبُ لمرّةٍ وحيدة، بالمقارنة مع الصَّلْبِ اليوميّ الذي يُعانيه المُصابُ بالأرَق؟

*

بينما كنت أتجوّل في ساعة متأخّرة في ذلك الممشى المحفوف بالأشجار، سقطت عند قدميَّ حبّة كستناء. الصوتُ الذي أحدثه انفلاقُها، الصدى الذي خلّفه في نفسي، والمفاجأة التي اعترتني بما يفوق أهميّة ذلك الحدث الصغير، ألقت بي في معجزةِ النهائيّ، في سُكرِه، وكأنْ لم يعد مجال للأسئلة، ولا شيء غير أجوبة. سكرتُ بآلاف البديهيّات المفاجئة التي لا أعرف ماذا أصنع بها...

هكذا أوشكتُ على مُلامسة الأعلى. إلاّ أنّي اعتقدتُ أنّ من الأفضل أن أواصل جولتي.

*

نحن لا نبوح إلى الآخر بأحزاننا إلاّ من أجل أن نعذّبه، من أجل أن يحملها عنّا. لو كنّا نريد أن يتعلّق بنا لما قاسمناه إلاّ عذاباتنا المُجرّدة، الوحيدة التي يستقبلُها بلهفةٍ كلُّ من يحبُّنا.

*

لا أغفر لنفسي أنّي وُلِدْتُ. لكأنّي حين تطفّلتُ على هذا العالَم قُمتُ بإفشاء سرّ، خنتُ عهدًا ذا شأن، ارتكبتُ خطأً لا يحيط بخطورته وَصْفٌ. إلاّ أنّه يحدث لي أحيانًا أن أكون أقلّ يقينًا. عندئذ تبدو لي وِلادَتِي مُصيبةً كنتُ لا أتعزّى عنها لو لم أعرفها.

*

الفكرُ ليس ***بريئًا*** على الإطلاق. وما كان ليساعدنا على فكِّ قُيودنا لولا أنّه عنفٌ بلا رحمة. لو خلَّصْنا الفكرَ ممّا هو سيِّئٌ وشيطانيّ فيه، لوجب علينا أن نتخلّى عن مفهوم التحرُّر نفسِه.

*

ليس من وسيلةٍ لتجنُّب الخطأ أفضل من أن ننسف اليقين بعدَ اليقين.

إلاّ أنّ ذلك لا يمنع أنّ كلّ ما هو مُهِمٌّ قد تمّ إنجازُهُ ***خارج*** الشكّ.

*

منذ مدّة طويلة بل منذ البداية، وأنا مقتنع بأنّ هذا العالَمَ الأسفل ليس ما يناسبني وأنّي لن أستطيع التأقلم معه. من ثمّ ومن ثمّ فحسب، اكتسبتُ بصيصًا من الكبرياء الروحيّ، وبدا لي وجودي شبيها بانهيارِ صلاةٍ واهترائِها.

*

أفكارُنا، وهي في خدمة رُعبنا، تتّجه نحو المستقبل، متابعةً مسْلَكَ كُلِّ خوف، حتى تُفضي إلى الموت. وإنّه لَقلْبٌ لمجراها ونُكوصٌ بها أن نوجّهها نحو الولادة وأن نرغمها على الإقامة فيها. إنّها ثَمَّ تفقد تلك الحيويّة، ذلك التوتّر الدائم الكامن في قرارة الرعب من الموت، والضروريّ لأفكارنا حين تريد أن تتمدّد، أن تغتني، أن تكتسب المزيد من القوّة. عندئذ نفهم لماذا تفقد الأفكار حماستها وهي تسير في اتّجاهِ معاكس، ولماذا تبدو بهذا الإنهاك

حين تصطدم أخيرًا بحدودها البدائيّة، فلا تبقى لديها قُوّةٌ للنظر من ثمّ إلى ما لم يُولد قطّ.

❊

بداياتي لا تهمّني، ما يهمّني هو البداية. وإذا اصطدمتُ بولادتي، بهذا الهوسِ التافه، فلأنّي عاجزٌ عن الاجتماع باللحظة الأولى للزمن. كلُّ قلقٍ فرديٍّ مردُّهُ في آخر المطاف إلى قلقٍ كونيّ، يقوم فيه كلُّ إحساس من أحاسيسنا بالتكفير عن ذنب الإحساس الأوّلي، الذي تسلّل الكائنُ عن طريقه مِن لا نَدْرِي أين...

❊

مهما فضّلنا أنفُسَنا على الكون، فإنّنا في الحقيقة نكرهُ أنفُسنا أكثر ممّا نعتقد. إذا كان الحكيمُ ظهورًا بهذه الغرابة، فلأنّه يبدو خاليًا من تلك الكراهية التي يُفترض أن يشعر بها تجاه نفسه، تماما كسائر الكائنات.

❊

ليس من فرقٍ بين الكائن واللا كائن، إذا تأمّلنا فيهما بنفس الكثافة.

❊

اللا معرفةُ هي أساسُ كلّ شيء، إنّها تخلق الكُلَّ عن طريقِ فعلٍ تُكرِّرهُ في كلّ لحظة، منتجةً هذا العالم وكُلَّ عالَم، بما أنّها لا تكفّ عن اعتبار ما هو غير حقيقيٍّ حقيقيًا. اللا معرفة هي سوء

التفاهُم الهائل الذي يلعب دور القاعدة بالنسبة إلى كلّ حقائقنا. اللا معرفةُ أقدم وأقوى من جميع الآلهة.

*

نعرفُ الشخصَ المُؤهَّلَ لخوضِ رحلةِ بحثٍ باطنيّةٍ عن طريق العلامات التالية: أن يضع الفشلَ فوق كلّ نجاح، بل أن يبحث عن الفشل، دون وعيٍ طبعًا. لأنّ الفشل، الجوهريّ باستمرار، يكشفنا لأنفسنا ويتيح لنا أن نرانا كما يرانا الإله، بينما يُبعدنا النجاح عن كلّ ما هو حميم فينا وفي كلّ شيء.

*

في زمنٍ مّا لم يكن الزمنُ موجودًا بعد... رَفْضُ الولادة ليس سوى حنينٍ إلى ذلك الزمن ما قَبْلَ الزمن.

*

أفكّر في أصدقاء كُثر رحلوا وأرثي لهم. والحقّ أنّهم ليسوا في حاجة إلى الرثاء لأنّهم حلّوا كلّ المعضلات بدايةً من معضلة الموت.

*

ثمّتَ في حدَث الولادة نسبةٌ من غياب الضرورة، ما أن نتمعّن فيها أكثر ممّا اعتدنا، حتى نعجز عن كلّ ردّ فعل، مُكتفين بإطلاق ابتسامةٍ ساذجة.

*

العُقول نوعان: نهاريّة وليليّة. إنّهما لا يملكان نفس النهج ولا نفس الإيتيقا. في وضح النهار نحن نراقب أنفُسنا. في الظلمة نحن نقول كلّ شيء. الشخص الذي يتساءل بينما الآخرون يغطُّون في النوم لا تهمّهُ التبعات الإيجابيّة أو السلبيّة لما يفكّر فيه. من ثمّ هو يجترّ حسرته على أنه وُلِد من دون أن يهتمّ بما يمكن أن يسيء به إلى الآخرين أو إلى نفسه. بعد منتصف الليل يبدأ سُكْرُ الحقائق الماكرة.

*

كلّما راكمنا السنوات تكوّنت لنا عن المستقبل صورةٌ أكثر فأكثر قتامة. هل هي طريقتنا في مواساة أنفُسنا ردًّا على إقصائنا منه؟ ربّما صحّ ذلك في الظاهر لكنّه في الحقيقة غير صحيح. لقد كان المستقبل فضيعًا دائمًا بسبب عجز الإنسان عن إيجاد علاجٍ لأمراضه إلاّ بالمزيد منها. هكذا رأينا في كلّ عصر كيف أنّ الوُجود كان أخفّ وطأةً قبل أن يتمّ العثور على حلٍّ لصعوبات المرحلة.

*

عند الحيرات الكبرى، ألزِم نفسَك بالعيش وكأنّ التاريخ أُغْلِق، وتصرّف مثل وحشٍ تفترسُهُ السكينة.

*

إذا كنتُ في السابق أسأل أمام الميت: «ماذا أجداه أنّه وُلد»؟ فإنّي اليوم أطرح السؤال نفسه أمام أيٍّ كان من الأحياء.

*

الإلحاح على الولادة ليس سوى شغف بالمُعضل مدفوعًا به إلى درجة الإقراف.

*

تُجاه الموت، أُراوِحُ دون انقطاع بين اللغز واللا شيء، بين الأهرام وبيت الموتى.

*

من المستحيل أن نشعر بوُجودِ زمنٍ لم نكن فيه. من ثمّ تعلُّقُنا بالشخص الذي كُنّا قبل أن نُولَد.

*

«تأمَّلْ لساعةٍ واحدة في عدم وجود الأنا ولن تلبث أن تشعر بأنّك إنسان آخر»، هكذا قال راهب من طائفة الكوشا اليابانيّة لأحد زوّاره.

من دون أن أحتاج إلى الطواف بالأديرة البوذيّة، كم مرّة توقّفتُ عند لا واقعيّة العالم ومن ثمّ عند لا واقعيّة الأنا؟ لم أُصبح إنسانًا آخر لكنّي أحسستُ حقًّا بأنّ أناي ليست حقيقيّة بأيّ شكل من الأشكال، وأنّي حين خسرتها لم أخسر شيئًا، سوى شيءٍ ما، سوى كلّ شيء.

*

عوضًا عن القبول بِحَدَثِ ولادتي عمَلاً بمُقتضيات الرأي السليم، ها أنا أراهن، أتدحرج إلى الخلف، أتقهقر أكثر فأكثر في اتّجاهِ ما لا

أعلم من البدايات، أنتقل من بداية إلى بداية، لعلّي أنجح ذات يوم في الوصول إلى البداية نفسها، كي أستريح أو أنهار.

❊

فلان يشتمني. أستعدّ لصفعه. بعد التفكير أمتنع عن ذلك.

من أنا؟ ما هي أناي الحقيقيّة؟ أنا الردّ أم أنا الإحجام. ردُّ فعلي الأوّل دائمًا شديد الحيويّة، ردّ فعلي الثاني رخو. ما نسمّيه «حكمة» ليس في آخر التحليل سوى تكرار أبديّ لـ «بعد التفكير»، أي أنّه اللا فعل كحركة أولى.

❊

إذا كان الارتباطُ شرًّا فإنّ علينا أن نبحث له عن سببٍ في فضيحة الولادة. أن نُولَد يعني أن نرتبط. من ثمّ يتوجّب على فكّ الارتباط أن يحرص على محو آثار تلك الفضيحة، أخطر الفضائح وأصعبها على التحمُّل.

❊

أيّ هدوء يُفاجئنا، عند الحيرة والهلع، ما أن نفكّر في النطفة التي كنّا.

❊

في هذه اللحظة تحديدًا لا يمكن أن ينال منّي تأنيبُ الناس ولا تأنيبُ الآلهة: أنا مُرتاحُ الضمير كأنّي لم أُوجد قَطّ.

❊

من الخطأ البحث عن علاقة مُباشرة بين التعرّض إلى انكسارات والتحامُل على الولادة. لهذا التحامُل جذور أعمقُ وأبعد، وهو حاصلٌ حتى لو لم يكن لنا أيّ مأخذ على الوجود. بل إنّه ليس أكثر حدّةً ممّا يكون عندَ النِّعَمِ القُصوى.

❊

التراقيّون والبوغوميل[1] - لا أستطيع أن أنسى أنّي ارتدتُ مثلَهم نفس النواحي، وأنّ بعضهم كان يرثي لحال كلّ مولود جديد، بينما كان الآخرون يحمّلون الشيطان مسؤوليّة دناءة الخليقة، تبرئةً للخالق.

❊

لا شكّ أنّ أكثر من هامْلِتْ[2] ظَلَّ يحاور نفسه دون انقطاع في ليالي الكهوف الطويلة، لأنّ من الجائز الاعتقاد بأنّ ذروة العذاب الميتافيزيقيّ تعود إلى ما قبل هذه الغثاثة الكونيّة، الناتجة عن مجيء الفلسفة.

❊

الهوسُ بالولادة ينهض على استثارة الذاكرة، على حُضور كاسح

---

(١) **التراقيون** (Thraces): شعوب تراقيا (حاليًا الأراضي المجاورة لمنطقة البلقان) في الألف الثانية قبل المسيح. - **البوغوميل** (Bogomiles): نسبةً إلى حركة البوغوميل الغنوصيّة التي ظهرت أساسًا في بلغاريا والبوسنة بين ٩٢٧ و٩٧٠م.

(٢) هاملت (Hamlet): بطل مسرحية شكسبير الشهيرة التي تصوّر تراجيديا أمير الدانمارك وهو يتصنع الجنون لينتقم لأبيه.

للماضي، وكذلك على نهَم إلى المأزق، المأزق *الأوّل*. ـ لا منفذَ ومن ثمّ لا فرحَ يأتي ممّا كان. إنّه لا يأتي إلاّ من الحاضر، ومن مُستقبل *متحرّر من الزمن*.

*

طيلة سنوات بل طيلة حياةٍ كاملة لم نفكّر إلاّ في اللحظات الأخيرة، كي نلحظ حين نقترب منها أخيرًا أنّ ذلك لم يكن مجديًا، أنّ فكرة الموت قد تساعد على كلّ شيء إلاّ على أن نموت.

*

إنّ أحاسيسنا بالضيق هي التي تُحفّز الوعي وتخلقه، وما أن تنجز عمَلَها حتى تضعف وتغيب الواحد بعد الآخر. أمّا وعيُنا فهو يمكث ويعيش بعدها دون أن يتذكّر ما هو مدين به إليها بل دون أن يعرفه أصلاً. لذلك لا يكفّ الوعي عن الإعلان عن استقلاليّته وسيادته على الرغم من أنّه يكره نفسه ويتمنّى أن يتلاشى.

*

جاء في قواعد القديس بونوا[١] أنّ على الراهب الذي يشعر بالفخر أو بالرضى عمّا قام به من عمل، أن يترك ذلك العمل وأن يتخلّى عنه.

هو ذا خطرٌ لا يخشاه من عاش طيلة حياته في نهم دائم إلى عدم الرضى، في مُعاشرة دائمة للندم والقرف.

*

(١) **القديس بونوا دي نورسي** (saint Benoit) أو بينديكت (حوالي ٤٨٠ ـ ٥٤٣م).

إذا كان الربّ يستنكف حقًّا من الانحياز إلى طرف من الأطراف، فإنّي لن أشعر بأيّ حرج في حضوره، لفرْط ما سيطيب لي أن أقلّده، أن أكون مثله في كلّ شيء، كائنًا بلا رأي.

❊

أن تنهض من النوم، أن تغتسل، ثمّ أن تنتظر تنويعًا مَا على الكآبة أو على الرعب.

أُفرِّطُ في الكون كلّه وفي كلّ شكسبير، مُقابل نتفةٍ من الطمأنينة.

❊

كم كان نيتشه[1] محظوظًا حين انتهى كما انتهى: في الغِبطة.

❊

نَحِنُّ باستمرار إلى عالَم لا شيء فيه يتنازل إلى الظهور، عالم نحدس فيه بالوعي دون أن نرغب فيه، حيث يمكننا وقد ارتخينا في الافتراضيّ، أن نستمتع بالكمال المعدوم لأنّا سابقةِ على الأنا.

بمجرّد التفكير في ***أن لا أكون وُلدت***، أيّ سعادة! أيّ حريّة! أيّ مَدى!

(١) **فريدريش نيتشه** (Nietzsche): الفيلسوف الألماني (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠) الذي اختلّ في أواخر حياته فتشاجر مع حصان في تورين وظن نفسه المسيح وبوذا وشكسبير وأودع في ملجأ إلخ.

II

لو كان القرفُ من العالم يكفي كي يُصبح المرءُ قدّيسًا لما رأيتُ كيف يمكنني أن أنجو من التطويب.

*

لم يعش أحدٌ قريبًا من هيكله العظميّ مثلي. نتج عن ذلك حوارٌ لا نهاية له وبضعُ حقائق لا أُفلح في قبولها ولا في رفضها.

*

من الأسهل التقدّمُ بواسطة الرذائل. الرذائل مرِنةٌ بطبعها يُساعد بعضها بعضًا ويتسامح بعضُها مع بعض، أمّا الفضائل الغيورة فهي تتخاصم ويلغي بعضُها بعضًا، وليس من مجالٍ إلاّ وهي تُبرهن فيه على تنافُرِها وعدم تسامحها.

*

إنّها لحفاوةٌ بتافه الأمور أن نؤمن بما نقوم به أو بما يقوم به الآخرون. علينا أن نتملّص من الزيف وحتى من ***الحقيقة***، أن نتموقع خارج كلّ شيء وكلّ شخص، أن نطرد شهواتنا أو

نحطّمها، أن نعيش كما جاء في الحكمة الهندوسيّة[1] برغبات تضاهي في قلّتها ما يشعر به «فِيلٌ مُتوَحِّد».

❊

أغفر لفلانٍ كُلّ شيء بسبب ابتسامتهِ المُخالفةِ للمُوضة.

❊

ليس متواضعا ذلك الذي يكره نفسه.

❊

ليس لدى البعضِ من شيءٍ، ليس من شيء على الإطلاق إلاّ وهو فيزيولوجيّ: أجسادهم هي فكرهم، فكرهم هو أجسادهم.

❊

الزمنُ أَثْرَى بالموارد وأكثرُ إبداعًا وعطاءً ممّا يظنّ البعض، من ثمّ هو يمتلك قدرةً ملحوظةً على مساعدتنا وعلى منحنا في كلّ ساعة مذلّةً جديدة.

❊

بحثتُ دائمًا عن المَشاهِد السابقة على الإله. من ثمّ ضعفي ناحيةَ الخواء.

❊

(١) **الهندوسية**: الديانة السائدة في الهند والنيبال، من أقدم الديانات في العالم (١٥٠٠ أو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، بلا كنيسة ولا نبيّ، يؤمن أتباعها بسلطة الفيدا وهي مجموعة النصوص المقدّسة التي كُشِفت للحكماء الأوائل.

لقد قرّرتُ الكفّ عن استعداء الآخرين منذ لاحظتُ أنّي أنتهي دائمًا إلى أن أشبه عدوّي الأخير.

❊

عشتُ طويلاً بفكرة أنّي كائنٌ عاديٌّ أكثر من أيّ كان. منحتني هذه الفكرةُ الرغبةَ وربّما الحماسةَ في أن لا أُنتِج: ما جدوى التميُّز في عالَم مسكونٍ بالمجانين موغلٍ في البلاهة أو الهذيان؟ مِنْ أَجْلِ مَنْ نُجْهِدُ النفْسَ ولأيّ هدف؟ بقي أن أعرف إن كنتُ تحرّرتُ حقًّا من هذا اليقين، المُخلِّص في المُطلَق، المُهلِك في الراهن.

❊

العَنيفُون هم غالبًا كائنات ضَعِيفة البُنية «خائِرة القُوى». إنّهم يعيشون في حالة احتراق دائم على حساب أجسادهم، شأنهم في ذلك شأن النُسّاك، لولا أنّ هؤلاء يتدرّبُون على السكينة والسلام فيهترئون بهما ويُنهَكون تمامًا كالعَنيفِين.

❊

يُفتَرَضُ أن لا نؤلّف الكُتُب إلاّ لنقول فيها ما لا نجرؤ على البوح به لأحد.

❊

حين حاول مارَا[1] المُغوِي أن يحلّ محلّ البوذا، قال له هذا

(١) مارا (Māra): أو الموت، هو في البوذيّة الروح الشريرة أو الشيطان الذي أرسل بناته إلى البوذا كي يرقصن أمامه ويمنعنه من بُلوغ اليقظة.

الأخير من بين ما قال: «بأيّ حقٍّ تزعم السيادة على البشر وعلى الكون؟ ***هل تعذّبت من أجل المعرفة؟*** » ذلك هو السؤال الرئيس وربّما الوحيد الذي يجب علينا أن نطرحه كلّما تساءلنا عن أيٍّ كان، وتحديدًا عن مفكّر. سنظلّ مُقصّرين مهما فعلنا للتمييز بين من دفعوا ثمنًا مُقابِلَ أقلِّ خطوة في اتّجاه المعرفة، والآخرين الأكثر عددًا بما لا يُقارن الذين مُنِحوا معرفةً مُرِيحة، لامُبالِية، معرفة ***من دون مِحَن***.

*

نقول: فلانٌ لا موهبةَ له وليس له سوى نبرة. إلاّ أنّ النبرة هي ما لا يمكن ابتكارُه، هي ما نُولَد به. إنّها نعمةٌ موروثة، إنّها الميزة التي يمتلكها البعض لإشعارنا بنبضاته العضويّة. النبرةُ أكثر بكثير من الموهبة، إنّها جوهرها.

*

حيثما ولّيتُ وجهي انتابني الإحساسُ نفسُه باللا انتماء، باللعب غير المجدي: أتظاهر بالاهتمام بما لا يهمّني البتّة، أُجهِدُ نفسي بدافعِ آليٍّ أو بدافعِ الشفقة، دون أن أكون معنيًّا بالأمر على الإطلاق، دون أن أكون في مكانٍ أصلاً. إنّ ما يستهويني موجود في مكان آخر، ولا أعرف هذا المكان الآخر ما يكون؟

*

كلّما ابتعد البشر عن الله تقدّموا في معرفتهم بالأديان.

*

«... بل الله عالِمٌ أنَّهُ يومَ تأكُلانِ منهُ تنْفَتِحُ أعيُنُكُما»[1].

ما كادت العينان تنفتحان حتى بدأت المأساة. أن نرى دون أن نفهم ذاك هو الفردوس. لا جحيمَ إذَنْ إلاّ حيث نفهم، حيث نفهم أكثر ممّا يجب...

*

لا أُجِيدُ التفاهُمَ مع أحدهم إلاّ حين يكون في أسوأ أحواله وحين يكون قد فقَدَ الرغبةَ والقدرةَ على العودة إلى أوهامه المعتادة.

*

الحُكْمُ بقسوةٍ على مُعاصِرينا يزيد من احتمال أن نظهر بمظهر ذوي الفكر الثاقب في عيون الأجيال القادمة، إلاّ أنّه يجعلنا نتخلّى في الوقت نفسه عن الجانب المُغامِرِ من الإعجاب، عن المجازفات الرائعة التي يفترضها. لأنّ الإعجاب مُغامرة، بل لعلّه أكثر المُغامرات استعصاءً على التوقّع، بما أنّ في وسعها أن تنتهي على خير.

*

كان نيتشة يقول إنّ الأفكار تأتي مع المشي، أمّا شانكارا[2] فكان يرى أنّ المشي يُبدِّدُ التفكير. الفكرتان محقّتان بنفس الدرجة ومن ثمّ فهما متساويتان في الصحّة، وفي وسع أيٍّ كان أن يتأكّد من ذلك في ظرف ساعة وأحيانًا في ظرف دقيقة...

*

---

(١) **سفر التكوين**: الأصحاح الثالث، وللعبارة تتمّة: «.. وتكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ».

(٢) **شانكارا** (Sankara): فيلسوف هنديّ يعتبره الهندوس حكيمًا وقدّيسًا وأحد أهمّ المؤلّفين في الفيدانتا (vedanta) وأكبر رموز الفلسفة الهندوسية التي تقول بوحدة أتمان والبراهمن.

لم يَعُدْ مِنْ مجالٍ لأيّ نوع من الطرافة الأدبيّة ما لم نُعذِّب اللغة، ما لم نُهَشّمها. يبدو الأمر على النقيض من ذلك تمامًا حين يتعلّق بالتعبير عن الفكرة كفكرة. نكون عندئذ في حقل لم تتغيّر مُقتَضَياتُهُ منذ مَا قَبْلَ السقراطيّين.

❊

لِمَ لا يسَعُنا أن نعود إلى ما قبل المفهوم، أن نكتُبَ مباشرةً بالحواسّ، أن نشعر بالتحوّلات الدقيقة لكلّ ما نلمس، أن نقوم بما يقوم به أيٌّ من الزواحف إذَا عَنَّ لهُ أن يقوم بعمل!

❊

ليس من شيءٍ طَيِّبٍ فينا إلاّ وهو نتيجة خمولنا، نتيجة عجزنا عن الانتقال من القول إلى الفعل، نتيجة إحجامنا عن تنفيذ برامجنا وخططنا. إنّ رَفْضَنا التحقُّقَ أو إيماننا باستحالة أن نتحقّق هو ما يرعى «فضائلنا»، أمّا عزْمُنا على بذْلِ قُصارى جهْدنا فهو ما يحملنا على التطرّف والانحراف.

❊

إنّ ذلك «الهذيان المَجيد» الذي تتحدّث عنه تيريزا الأفيلاويّة[1] للإشارة إلى إحدى مراحل التوحّد مع الله، هو ما لن يغفره أبدًا للمتصوّف كلُّ عَقْلٍ مُتيبّسٍ غيورٍ بطبعه.

❊

---

(١) تيريزا الأفيلاويّة أو القديسة **تيريز دافيلا** (Thérèse d'Avila): راهبة إسبانيّة (١٥١٥ - ١٥٨٢م) عُرفت بكتاباتها وبالإصلاحات التي أدخلتها على نظام الأديرة الكرمليّة.

لم تمرّ بي لحظةٌ واحدة دون أن أكون على وعيٍ تامّ بأنّي موجودٌ خارج الفردوس.

*

ليس من شيءٍ عميق، ليس من شيءٍ حقيقيّ إلاّ ما نُخفيه. من ثمّ قوّةُ المشاعر الدنيئة.

*

جاء في ***المُحاكاة***[1]: ***آما نيسكيري***. اِرغَبْ في أن تكون نَكِرة. لن نرضى عن أنفسنا وعن العالم إلاّ حين نتقيّد بهذا التعليم.

*

القيمة الذاتيّة لكتابٍ لا تتوقّف على أهميّة الموضوع (وإلاّ كانت الغلبة الساحقة لِلاّهوتيّين) بقدر ما تتوقّف على طريقته في تناول العَرَضِيّ والتافه، على كيفيّة سيطرته على ما لا يُؤبَه له. ***الجوهريّ*** لم يحتج قطُّ إلى أيّ قدْرٍ من الموهبة.

*

الإحساس بالتأخّر عن الآخرين أو التقدّم عليهم عشرة آلاف عام، الإحساس بالانتماء إلى بدايات البشريّة أو نهايتها...

*

---

(١) **مُحاكاة المسيح أو تقليد المسيح** (L'Imitation de J-C): كتاب مجهول المؤلّف ظهر في نهايات القرن ١٤ وبدايات القرن ١٦.

النفيُ لا يصدُر البتّة من استدلال بل من شيءٍ غامض غابر لا نعرف كنهه. ثمّ تأتي الحُجَجُ لتبريره ودَعْمِه. كلُّ **لا** تنبثقُ من الدم.

❋

الاعتماد على تآكُل الذاكرة، لاستحضار المُبادرات الأولى للمادّة ومُجازفة الحياة التي نتجت عنها...

❋

كلّما كففتُ عن التفكير في الموت، خُيِّل إليّ أنّي أغشّ، أنّي أخدع أحدًا فِيّ.

❋

ثمّتَ من الليالي ما يعجز عن اختراعه أبرعُ الجلاّدين. نخرج منها مُهَشّمين بُلَداءَ تائهين، بلا ذكريات ولا توقّعات، عاجزين حتى عن أن نعرف من نكون. عندئذ يبدو النهار بلا جدوى ويبدو النور خبيثًا وأثقل وطأةً من الظلمات.

❋

لو كانت الحشرةُ[١] ***واعية***، لكان عليها أن تتصدّى للصعوبات نفسِها، لذلك الضرب من المعضل نفسِه الذي يتصدّى له البشر.

❋

---

(١) فضّلنا استعمال كلمة حشرة عوضًا عن **قملة النبات** (Le puceron) التي استعملها سيوران: حشرة صغيرة تمتصّ عُصارة النبات ويعتبرها الفلاحون من الحشرات الضارّة.

أن تكون حيوانًا أفضلُ من أن تكون إنسانًا، أن تكون حشرة أفضلُ من أن تكون حيوانًا، أن تكون نباتًا أفضلُ من أن تكون حشرة، وهكذا دواليك. الخلاص؟ كلُّ ما يُوهِنُ سلطانَ الوعي ويُطِيحُ بهيمنته.

*

لَدَيَّ كلُّ ما لَدَى الآخرين من نقائص وعلى الرغم من ذلك يبدو لي كلُّ ما يفعلونه غيرَ معقول.

*

بالنظرِ إلى الأشياء وفْقًا للطبيعة يبدو أنّ الإنسان خُلِقَ ليعيش ملتفتًا إلى الخارج. إذا أراد النظر إلى داخله فإنّ عليه أن يُغمض عينيه، أن يكفّ عن العمل، أن ينحرف عن المجرى. إنّ ما نسمّيه «حياة باطنيّة» هو ظاهرة متأخّرة لم تُصبح ممكنة إلاّ بفضل التخفيف من وتيرة نشاطاتنا الحيويّة، بما أنّ «الروح» لم تستطع الظهور والتفتُّح إلاّ على حساب حُسْنِ سَيْرِ الأعضاء.

*

أقلُّ تقلُّبٍ في الطقس ينسِفُ مشاريعي التي لا أجرؤ على تسميتها قناعات. هذا الضرب من التبعيّة الأكثر إذلالاً على الإطلاق، لا يني يصرعني، مُبدّدًا في الوقت نفسه القليل الراسب من أوهامي في شأن إمكانيّةِ أن أكون حرًّا، وفي شأن الحريّة أصْلاً. ما فائدة أن ننفخ أوداجنا إذا كنّا تحت رحمة الرطْبِ والجافّ؟ ليتنا ضحايا عبوديّةٍ أقلّ مدعاةً للرثاء وآلهةٍ من طراز آخر.

*

لا داعِيَ إلى أن نقتُل أنفُسنا، بما أنّنا نقتُلُ أنفُسَنا دائمًا بعد فوات الأوان.

*

عندما نعرف بشكلٍ باتٍّ أنّ كلّ شيء **غير حقيقيّ**، فإنّنا لا نرى سببًا حقيقيًا يجعلنا نُتْعِبُ أنفُسنا في البرهنة على ذلك.

*

يُمارسُ النورُ البغاءَ كلّما ابتعد عن الفجر وتقدّم في النهار. وهو لا يُكفّر عن ذلك ـ تلك إيتيقا الأُفُول ـ إلاّ لحظة غيابه.

*

في الكتابات البوذيّة كثيرًا ما يرِدُ ذكْرُ «هاوية الولادة». إنّها هاويةٌ حقًّا، غَوْرٌ لا نسْقُطُ فيه بل ننبثق منه، وذلك لسوء حظّ كُلٍّ منّا.

*

على فتراتٍ أكثر فأكثر تباعُدًا، تنتابُني سَوْرات امتنان تجاه أيّوب وشامفور[1]، تجاه الزعيق واللذع...

*

كلّ فكرة، كلّ وجهة نظر، هي بالضرورة جزئيّة، مبتورة، غير

---

(١) **نيكولا دي شامفور** (Nicolas de Chamfort): شاعر ومُفكّر فرنسيّ (حوالي ١٧٤٠ ـ ١٧٩٤). شارك في الثورة الفرنسية لسنة ١٧٨٩ وانتحر كي لا يدخل السجن، واشتهر بكتابه «حِكَم وأفكار».

كافية. لا تعدُو الطرافةُ أن تكون تعريفاتٍ ناقصة، في الفلسفة كما في أيّ مجال كان.

❋

نمعن النظر في ما نعتبره نبيلاً من أفعالنا، فلا نجد فعلاً واحدًا منها ليس من ناحيةٍ مَا منكرًا، مؤذيًا، من شأنهِ أن يجعلنا نندم على القيام به، وكأنْ لا خيار لنا في النهاية إلاّ بين الامتناع والندم.

❋

يا للقوّة الانفجاريّة لأدنى إحساسٍ بالقهر. كلّ رغبةٍ مهزومة تجعلك قويًّا. نحن نؤثّر في العالم بقدْرِ ابتعادنا عنه وإنكارنا له. إنّ الزهد في الدنيا يمنح سلطانًا لا حدّ له.

❋

عوضًا عن أن تتجمّع في مركزٍ وأن تتشكّل في نظام إن لم يكن في وحدة، فإنّ خيباتي تبعثرت وكلٌّ منها يحسب أنّه متفردّ، وهكذا ضاعت بسبب انعدام التنظيم.

❋

وحدَها تنجح الفلسفات والأديان التي تُداعب غرورنا سواء باسم التقدُّم أو باسم الجحيم. وسواء كان ملعونًا أو غير ملعون فإنّ البشر يشعر بحاجة مُطلقة إلى أن يكون في المركز من كلّ شيء. بل إنّه لم يكن بشرًا ولم **يُصبح** بشرًا إلاّ من أجل ذلك وحدَه. ولو كفّ ذات يوم عن الإحساس بتلك الرغبة لتوجّب عليه أن يتنحّى لفائدة حيوان آخر، أكثر كبرياءً وأكثر جنونًا.

❋

كان يستنكف من الحقائق الموضوعيّة، من مشقّة المُحاجّة، من الاستدلالات المتواصلة. لم يكن يحبّ البرهنة على شيء ولا كان حريصًا على إقناع أحد. *الآخرون* اختراع جدليّ.

*

كلمّا آذانا الزمن ازددنا رغبة في الإفلات منه. لعلّ كتابة صفحة لا عيب فيها، لعلّ جملةً وحيدة، ترتفع بنا فوق الصيرورة ومفاسدها. نحن نتسامى على الموت عن طريق البحث عمّا لا يفنى من خلال الكلمة، من خلال رمز الفناء نفسه.

*

في ذروة الفشل حين يوشك الخزيُ على الإطاحة بنا، تنتابنا فجأة نوبة كبرياء لا تدوم إلاّ بقدر ما يكفي كي تتركنا بلا طاقة، كي تستنفد قوانا، وكي تخفّف في الوقت نفسه من حدّة شعورنا بالخزي.

*

إذا كان الموت بالفظاعة التي يزعمها البعض، فلماذا لا يكاد يمرّ بعض الوقت على مُفارَقَةِ أيٍّ كان الحياة، صديقًا كان أم عدوًّا، حتى نعتبره من *السعداء*؟

*

حدث لي أكثر من مرّة أن غادرتُ البيت لأنّي لو بقيت فيه لما ضمنتُ أن لا أتّخذ قرارًا *مفاجئًا*. الشارعُ مُطَمْئِنٌ أكثر لأنّنا هناك أقلّ

ما نكون تفكيرًا في أنفُسنا، ولأنّه مكان يضعف فيه كلّ شيء ويتدهور، بدايةً من الحيرة.

*

إنّ من طبْع المَرَض أن يسهر حين ينام كلّ شيء، حين يخلد الكُلُّ إلى الراحة، حتى المريض.

*

نجدُ بعض المتعة في العاهات حين نكون في سنّ الشباب. إنّها تبدو على قدر كبير من الجدّة والخصوبة. مع تقدُّمنا في السنّ تفقد طابعها المفاجئ، تصبح معرفتنا بها أكثر ممّا يجب. والحقّ أنّها لا تستحقّ صبْرَنا عليها دون قليلٍ من اللا مُتوقَّع.

*

ما أن نعتمد على أكثر ما هو حميم في ذاتنا ونشرع في العمل والتعبير، حتى ننسب إلى أنفُسنا عددا من المواهب ونفقد الشعور بنقائصنا. لا أحد مستعدّ للاعتراف بأنّ ما ينبثق من أعماقه قد يكون عديم القيمة. «معرفة الذات»؟ حدّانِ متناقضان.

*

كلُّ هذه القصائد التي لا تُعنَى إلاّ بالقصيدة، كلُّ هذا الشعر الذي لا مادّة له سواه. ما تعليقُنا أمام صلاةٍ لا موضوع لها إلاّ الدين؟

*

العقل الذي يضع كلّ شيء موضع السؤال ينتهي بعد ألف استفسار إلى رخاوة شبه كاملة، إلى وضع يعرفه الرخو تحديدًا، بحُكم الغريزة. إذ ما الرخاوة إن لم تكن حيرةً خلْقيّة؟

*

يا لَها من خيبة أن يكون إبيقور[1] وهو أكثر من أحتاج إليه من الحكماء، قد كتب أكثر من ثلاثمائة بحث! ويا لها من راحة أن تكون قد ضاعت كلّها.

*

ـ ماذا تفعل من الصباح إلى المساء؟

ـ أُعانيني.

*

ممّا قالهُ أخي في شأن الاضطرابات والأمراض التي عانتها أمُّنا: «الشيخوخة هي النقد الذاتي للطبيعة».

*

قال سييس[2]: «يجب أن يكون المرءُ سكرانًا أو مجنونًا كي يُجيد الكلام باللغات المعروفة».

---

(١) **إبيقور** (Epicure): فيلسوف يوناني (حوالي ٣٤١ ـ ٢٧٠ق.م)، مؤسّس المدرسة الفلسفيّة الإبيقورية التي تمجّد المتعة باعتبارها الخير الأساسيّ.

(٢) **إيمانويل جوزيف سييس** (Emmanuel-Joseph Sieyès): رجل سياسة فرنسي (١٧٤٨ ـ ١٨٣٦)، كان أحد زعماء مجلس الطبقات ١٧٨٩. حرر إعلان حقوق الإنسان ودستور ١٧٩١.

أمّا أنا فأُضيف: يجبُ أن يكون المرءُ سكرانًا أو مجنونًا كي يواصل استخدام الكلمات، أيَّ كلمات.

*

المتعصّبُ للكآبة المُضْمَرَة منذور للتفوّق في كلّ مهنة، باستثناء مهنة الكاتب.

*

عشتُ دائمًا في كنف الخوف من أن يُفاجئني الأسوأ، لذلك حاولتُ في كلّ الظروف أن أستبق الأمور، مرتميًا في المصائب قبل أن تحصُل.

*

لا نغار ممّن لهم القدرة على الصلاة، في حين أنّنا شديدو الغيرة ممّن لديهم ممتلكات ويتمتّعون بالثراء والمجد. إنّه لغريب أن لا نحسد الآخر على خلاصه وأن نحسده على القليل العابر ممّا قد يتمتّع به من ميزات.

*

لم ألتق بعقل واحد **مُهمّ** دون أن يكون على قدر هائل من النقائص المُخجِلة.

*

ليس من فنٍّ حقيقيّ دون نسبةٍ قويّةٍ من الابتذال. إنّ من يعتمد

باستمرار على ما هو غير عاديّ سريعًا ما يُصبح مملاً، فلا شيء أصعب على التحمُّل من رتابة الاستثنائيّ.

❊

من مساوئ استخدام لغة مستعارة أن لا يكون لديك الحقّ في ارتكاب الكثير من الأخطاء. في حين أنّنا لا نمنح الكتابة مظهَرَ الحياة إلاّ بالبحث عن الغلط دون الإفراط فيه، وبملامسة اللحن في كلّ لحظة.

❊

يعتقد كلٌّ منّا بشكلٍ لا واعٍ طبعًا، أنّه وحدَه يُطارد الحقيقة، أنّ الآخرين عاجزون عن البحث عنها غيرُ جديرين بالوصول إليها. هذا الجنون مُتجذِّرٌ فينا مُفيدٌ لنا إلى حدّ أنّه يتعذّر علينا أن نتصوّر مآل كلٍّ منّا لو تلاشى ذات يوم.

❊

ليس من شكٌ في أنّ المفكّر الأوّل كان أوّلَ مهووسٍ بـ ***اللماذا***. إنّه هوس غير عاديّ وغير مُعدِ البتّة. من ثمّ نُدرةُ المُصابين به الذين ينخرهم السؤال، والذين لا يرضون بأيّ مُعطًى، لأنّهم وُلِدُوا في الهلَع.

❊

أن تكون موضوعيًّا يعني أن تُعامِل الآخر كما يُعامَلُ الشيء، كما تُعامَلُ الجثّة، أن تتصرّف تجاهه وكأنّك دافِنُ مَوْتَى.

❊

هذه الثانية تلاشت إلى الأبد، ضاعت في كتلة المحتوم الغفل. إنّها لن تعود أبدًا. أتألّمُ لذلك ولا أتألّم. كلّ شيء فريد ـ وبلا معنى.

❊

إيميلي برونتي[1]. كلّ ما يصدر منها يملك القدرة على بَلْبَلَتِي. هاوورث هي مَحجّي.

❊

أن نسير بمحاذاة نهر، أن نعبُر، أن ننساب مع المياه بلا جهد، بلا عجَلة، بينما الموت يُواصل فينا دَبِيبَهُ ومناجاته التي لا تنقطع.

❊

الله وحدَهُ يملك امتياز التخلّي عنّا، البشر لا يستطيعون إلاّ خذلاننا.

❊

لولا مَلَكةُ النسيان، لأصبح ماضينا أثْقَلَ على حاضرنا من أن نملك القدرة على الاقتراب من أيّ لحظة إضافيّة، فما بالُك بدُخولها. لا تبدو الحياة أمرًا يُمكنُ تحمُّلُهُ إلاّ لأصحاب الطبائع الخفيفة، وتحديدًا تلك التي لا تتذكّر.

❊

---

(١) **إيميلي جين برونتي** (Emily Jane Brontë): روائية وشاعرة بريطانية (١٨١٨ ـ ١٨٤٨)، صاحبة رواية «مرتفعات ويذرينغ». و«**هاوورث**» هي الموطن الثاني لأسرتها.

يزعم فرفريوس أنّ أفلوطين[1] كان يملك القدرة على قراءة الأرواح. ذات يوم ومن دون مقدّمات، طلب هذا الأخير من تلميذه المشدوه أن لا يفكّر في قتل نفسِه وأن يخرج في رحلة عوضًا عن ذلك. ذهب فرفريوس إلى صقليّة حيث شُفي من كآبته، إلاّ أنّه، كما قال بحسرة شديدة، تخلّف هكذا عن موت مُعلِّمه الذي حصل في غيابه.

من زمَنٍ بعيد لم يعد الفلاسفة يقرؤون الأرواح. تلك ليست مهنتهم قد يقول البعض. هذا ممكن. لكن لا عجب من ثمّ إذا بتنا لا نعيرهم أيّ اهتمام.

❊

الأثرُ الأدبيّ لا يتحقّقُ إلاّ إذا تمّ إعدادُه في الخفاء، بتلك العناية وذلك الاحتراس اللذين يُبديهما القاتل وهو يخطّط لضربته. في الحالتين تكون الغلبةُ لإرادة *الضرب*.

❊

معرفةُ الذات، وهي أكثر المعارف مرارةً، تبدو في الوقت نفسه أقلّ ما نُعنَى به من معرفة: ما جدوى أن نضبط أنفُسنا من الصباح إلى المساء مُتلبّسين بالوهم، أن نعود بلا رحمة إلى جذر كلّ فعل، أن نخسر القضيّة تلو القضيّة في محكمة لا قُضاة لها سوانا؟

❊

(١) **فرفريوس الصوري** (Porphyre): أحد فلاسفة الأفلاطونية الحديثة (حوالي ٢٣٤ - ٣٠٥م) وتلميذ **أفلوطين** (Plotin): فيلسوف يوناني (٢٠٥ - ٢٧٠م). احد مؤسّسي الأفلاطونيّة الحديثة.

كلّما تعثّرت ذاكرتي، فكّرتُ في القلق الذي لابدّ أن يُساور أولئك الذين **يعرفون** أنّهم لم يعودوا يتذكّرون شيئًا. إلاّ أنّ صوتًا يقول لي إنّهم لن يلبثوا، بعد فترة، أن يسكُنَهم فرحٌ سريٌّ لن يرضوا عنه بديلاً بأيٍّ من ذكرياتهم، وإن كانت الأكثر إثارةً.

❊

أن تزعم أنّك أكثر انفصالاً وأكثر غربةً عن كلّ شيءٍ من أيٍّ كان، وأن لا تكون سوى أحد مجانين اللامبالاة.

❊

كلّما ازددنا انشغالاً بنزوات متناقضة، ازددنا حيرةً إلى أيِّها نستسلم. ***الافتقارُ إلى قوّة الشكيمة*** هو هذا ولا شيء آخر.

❊

الزمنُ الخالص، الزمنُ المُصَفَّى، انطلاقُ الأحداث والكائنات والأشياء، لا يكشف لك عن نفسه إلاّ في فترات مُعيّنة من الليل، حين تشعر به يتقدّم وهمُّهُ الوحيد أن يسحبك إلى كارثة مثاليّة.

III

الإحساس فجأةً بأنّنا نعرف عن كلّ شيء بقدْر ما يعرف الله، ثمّ رؤية ذلك الإحساس يتلاشى بنفس الطريقة المفاجئة.

❊

مُفكّرُو الصفّ الأوّل يتأمّلُون في الأشياء. الأخرون يتأمّلون في المسائل. يجب أن نعيش في مواجهة الكائن لا في مواجهة الذهن.

❊

«ماذا تنتظر كي تستسلم؟» ـ كلُّ مرض يوجّه لنا إنذارًا في زيّ استفسار. نتظاهر بالصمم بينما نحن نفكّر في أنّ التمثيليّة مُستَهلَكة وفي أنّ علينا في المرّة القادمة أن نجرؤ أخيرًا على الاستسلام.

❊

كلّما تقدّمتُ في الحياة قَلَّ تأثُّري بالهذيان. لم أعد أحبّ من بين المفكّرين إلاّ البراكين الخامدة.

❊

كنتُ أشعر بملل قاتلٍ في شبابي، لكنّي كنت واثقًا من نفسي. لم أحدس بالشخص الباهتِ الذي سأكون، إلاّ أنّي كنتُ أعرف في المُقابل أنّ الحيرة لن تتخلّى عنّي مهما حصل، أنّها ستسهر على سنواتي بما للعناية الإلهيّة من دِقّةٍ وحماسة.

❊

لو استطعنا أنْ نَرَانَا بِعُيون الآخرين لاختفينا على الفور.

*

قلتُ لصديق إيطاليّ إنّ اللاَّتِينيّين ***بلا أسرار*** لأنّهم مُنفتحون أكثر ممّا يجب، ثرثارون بإفراط، وإنّي أُفضِّل عليهم الشعوب التي يُضنيها الخجل، وإنّ الكاتب الذي لا يعرف الخجل في حياته لا يُساوي شيئًا في كتاباته. فأجابني: «هذا صحيح. نروي تجاربنا في كُتُبنا فإذا هي تفتقر إلى الكثافة والامتدادات لأنّنا رويناها مائة مرّة قبل ذلك». من ثمّ شرعنا في الحديث عن الأدب النسائيّ وعن افتقاره إلى الغموض في البلدان التي اكتسحتها الصالونات وكرسيُّ الاعتراف.

*

لاحظَ أحدُهم أنّه يجُدُرُ بنا أن لا نحرم أنفُسَنا من «متعة التقوى». هل تمّ تبريرُ الدينِ يومًا بطريقةٍ أكثرَ لباقَة؟

*

تلك الرغبة في مراجعة حماساتنا، في تغيير معبوداتنا، في الصلاةِ إلى مكان آخر...

*

أن تستلقي في حقل، أن تشمّ رائحة التراب وأن تقول لنفسك إنّه أمَلُ متاعِبنَا ونهايتُها، وإنّ من العبث أن نبحث عن شيء أفضل كي نستريحَ ونَنْحَلّ.

*

حين يحدث لي أن أكون مشغولاً، فإنّي لا أفكّر لحظةً في

«معنى» أيّ شيء، ولا في ما أنا بصدد القيام به، طبعًا. الأمر الذي يبرهن على أنّ سرّ كلّ شيء يَكْمُنُ في الفعل لا في الامتناع، علّة الوعي المُهلكة.

*

لا أحد يستطيع أن يتَصَوّرَ ملامح الرسم والشعر والموسيقى بَعْدَ قرْن. ستحدثُ وقفةٌ طويلةٌ بسبب إنهاك وسائل التعبير وإنهاك الوعي نفسِه، مثلما حدث بعد انهيار أثينا وروما. سيتحتّم على البشريّة كي تجدّد صلتها بالماضي أن تبتكر لنفسها سذاجةً ثانية، من دونها لن تستطيع أبدًا استئناف الفنون.

*

في مُصَلّى تلك الكنيسة القبيحة نرى العذراء منتصبةً هي وابنها فوق الكرة الأرضيّة. طائفة عدوانيّة استولت على إمبراطوريّة ونخرتها وورثت عيوبَها بدايةً من هوس العمْلَقة.

*

قيل في ***الزوهار***[1]: «ما أن ظهر الإنسان حتى ظهرت الأزهار».

أمّا أنا فأعتقد أنّها كانت هنالك قبْلَهُ بكثير، وأنّ مجيئه أوقعها في ذُهولٍ لم تفق منه بعد.

*

(١) **كتاب الزوهار**: أهمّ مَراجع القبالة أو الكابالا اليهوديّة، وهو تفسير للكتاب المُقدّس يفترض أنّ لكلّ حرف ولكلّ كلمة فيه معنًى غير المعنى الظاهر.

يستحيل أن نقرأ سطرًا لكْلاَيْستْ[1] دون أن نفكّر في أنّه انتحر. لكأنّ انتحاره سبَق أثَرَه.

*

في الشرق، ما كانِ لأكثر المفكّرين الغربيّين طرافةً وغرابةً أن يُحمَلُوا إطلاقًا على محمَل الجِدّ، بسبب تناقضاتهم. في حين أنّ هذه التناقُضات هي تحديدًا السبب في كلّ ما نوليهم به من اهتمام. نحن لا نحبّ الفكرةَ بل تحوّلات الفكرة، سيرتَها الذاتيّة، ما تتضمّنه من تنافر واضطراب. مُجمَلُ القول إنّ العقول التي لا تعرف كيف تكون على وئام مع الآخرين فضلاً عن أن تكون على وئام مع نفسها، تُمارسُ الغشّ عن نزوة بقدر ما تمارسه عن غَلَبة. علامتها المميّزة؟ شيءٌ من التصنُّع في التراجيديّ وقليلٌ من اللعب حتى في الميؤوس منه.

*

إذا كانت تيريزا الأفيلاويّة في كتاب ***التأسيسات***[2] قد توقّفت طويلاً عند الكآبة، فلأنّها اعتبرتها غير قابلةٍ للشفاء. الأطبّاءُ على حدّ قولها لا يستطيعون للمكتئبين شيئًا، ورئيسة الدير أمام مرضى من هذا النوع ليس لها سوى حلّ وحيد: أن تلهمهم الخوف من السلطة، أن تهدّدهم، أن تُروِّعَهم. يظلّ النهجُ الذي تنادي به القدّيسة هو الأفضل: نشعُرُ جيّدًا أمام «المُكتئب» بأنْ لا نجاعة

---

(١) **هاينريش فيلهلم فون كلايست** (Heinrich Wilhelm von Kleist): شاعر وقاصّ وكاتب مسرحي ألماني. وُلد سنة ١٧٧٧ وانتحر سنة ١٨١١.

(٢) **كتاب «التأسيسات»**: من مؤلّفات القديسة تيريزا الأفيليّة (انظر الصفحة ٣٨ الملاحظة ١)، ويبدو أنّها شرعت في تأليفه سنة ١٥٧٤ ولم تفرغ منه إلاّ قبل شهرين من وفاتها.

لشيء باستثناء الركلات والصفعات ووجبةٍ جيّدة من الضرب المبرح. وهو من ناحيةٍ أُخرى ما يقوم به «المكتئب» نفسُه حين يقرّر وضع حدّ للأمر: إنّه يستعمل أقصى الوسائل.

❊

يلعب العقل دور مُعَكّرِ الصفْو بالنسبة إلى كلِّ أفعال الحياة.

❊

تتعب العناصر من تكرار تيمةٍ بالية، وتقرف من توليفاتها التي لا تتغيّر ولا تنويع فيها ولا مُفاجأة، فلا يصعب علينا أن نتخيّلها وهي تبحث عن بعض التسلية: هكذا قد لا تكون الحياة سوى استطراد، سوى طُرفة...

❊

يبدو لي كُلُّ ما يُفعَلُ مؤذيًا وفي أفضل الأحوال غيرَ مُجْدٍ. أستطيع عند الاقتضاء أن أتحرّك إلاّ أنّي لا أستطيع أن أؤثّر.

أفهم جيّدًا، أفهم كلّ الفهم عبارةَ وُرْدزْوُرثْ[1] في شأن كولريدج[2]: ***حركة أبديّة دونما فعل.***

❊

(١) **ويليام وُرْدِزْوُرْث** (William Wordsworth): شاعر إنجليزي (١٧٧٠ ـ ١٨٥٠)، ارتبط بصداقة عميقة مع كولريدج ونشر معه «الأناشيد الغنائيّة» التي كانت نقلةً ادبيّة في ذلك الوقت.

(٢) **صامويل تايلر كولريدج** (Samuel Taylor Coleridge): شاعر إنجليزي (١٧٧٢ ـ ١٨٣٤) وناثر مهمّ، يُعتبر من روّاد الحركة الرومنطيقية في انجلترا.

كلّما تصوّرتُ أنّ ثمّت ما هو ممكنٌ، أحسستُ بأنّي مسحور.

❊

الاعتراف الوحيد الصادق هو ذلك الذي ندلي به بطريقة غير مباشرة، ونحن نتحدّث عن الآخرين.

❊

نحن لا نتبنّى مُعتقدًا لأنّه صحيح (المعتقداتُ كلّها صحيحة)، بل لأنّ قوّة مجهولة تدفعنا إلى ذلك. يكفي أن تغادرنا تلك القوّة كي ننهار وتخور قُوانا، كي نقف وجها لوجه مع ما تبقّى منّا.

❊

«إنّ من طبيعة كلّ شكلٍ مثاليّ أن يتحرّر منهُ العقل بطريقة فوريّة ومباشرة، بينما يَحْبسُ الشكلُ المَعيبُ العقلَ، كما تفعلُ مرآةٌ رديئة لا تُذكِّرنا بشيءٍ عَداها».

لم يكن كْلاَيْستْ يُفكّر تحديدًا في الفلسفة حين خَصَّ الوُضوحَ بهذا المديح ـ الذي يكاد يخلو من أيّ ملمح ألمانيّ ـ وهو على كلّ حال لم يقصدها بكلامه، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من تقديم أفضل نقدٍ وُجِّه إلى الرطانة الفلسفيّة، ذلك الكلام الزائف الذي أراد أن يعكس الأفكار، فلم ينجح إلاّ في البروز على حسابها وتشويهها وإبهامها وتسليط الأضواء على نفسه. هكذا، وبفضل واحدة من أثقل عمليّات الانتحال وطأةً، أصبحت الكلمةُ نجمًا في مجال يتطلّب أن تكون غير مرئيّة.

❊

«أيّها الشيطان يا مُعلّمي، أهَبُكَ نفسي إلى الأبد». كم يؤسفني أن لا أتذكّر اسم الراهبة التي كتبت هذه العبارة بمسمار مغموس في دمها، فاستحقّت بذلك أن تَرِدَ في أنطولوجيا الدعاء والبلاغة!

❋

الوعيُ أكثرُ بكثير من شوكة، إنّه الخنجر في اللحم.

❋

ثمّتَ شراسةٌ في كلّ الحالات إلاّ في حالة الفرح. إنّ عبارة Schadenfreude الفرحة الخبيثة مُخالفةٌ للمنطق. إتيانُ الشرّ متعة وليس فرحة. الفرحةُ باعتبارها النَّصرَ الوحيدَ الحقيقيّ على العالم نقيّةٌ في جوهرها، ومن ثمّ فهي على النقيض من المتعة المشبوهة دائمًا في ذاتها وفي تجلّياتها.

❋

وجودٌ لا ينفكّ يُغيّرُ وجهَهُ الفشلُ.

❋

الحكيم هو من يوافقُ على كلّ شيء لأنّه لا يتماهى مع شيء. إنّه انتهازيّ ***بلا رغبات***.

❋

لا أعرف رؤيةً واحدةً للشعر مُرضية بشكل كامل، غير رؤية

إيميلي ديكنسون[1] حين تقول إنّها أمام قصيدة حقيقيّة، يُصيبها البردُ، حدَّ أنّها تتصوّر أنْ لا نارَ تستطيعُ تدفِئتَها بعد ذلك.

*

خطأُ الطبيعةِ الفادحُ أنّها لم تعرف كيف تكتفي بعصرٍ واحد. بالمقارنة مع العصر النباتيّ يبدو كلّ شيءٍ في غير محلّه، غير مرغوب فيه. كان على الشمس أن تحرد عند مجيء أوّل حشرة وأن ترحل عند ظهور الشمبانزي.

*

إذا كنّا مع تقدُّمنا في السنّ ننبش أكثر فأكثر في ماضينا الخاصّ على حساب «المشاكل»، فالسبب دون شكّ أنّ تقليب الذكريات أسهل من تقليب الأفكار.

*

آخر من نغفر لهم خيانتهم لنا هم أولئك الذين خيّبنا ظَنَّهم فينا.

*

نشعر دائمًا بأنّنا نستطيع أن نفعل ما يفعله الآخرون أفضل منهم. إلاّ أنّنا للأسف لا نملك الشعور نفسه تجاه ما نفعله نحن.

*

---

(١) **إيميلي ديكينسون** (Emily Dickinson): شاعرة أمريكية (١٨٣٠ ـ ١٨٨٦) لم تُكتشَف حقًّا إلاّ بعد وفاتها واعتُبرت (مع والت وايتمان) من أهمّ شعراء القرن التاسع عشر في أمريكا.

يقول لنا محمد: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[1].

... كيف نجرؤ على الظهور في وضح النهار إذا نحن لم نملك من الكبرياء ما يكفي لتأسيس دين، أو على الأقل لتهديم آخر؟

*

الزهدُ لا يُتَعلَّم: إنّه محفورٌ في الحضارة. ونحن لا ننزعُ إليه بل نكتشفه في أعماق ذاتنا. بهذا حدّثتُ نفسي وأنا أقرأ أنّ أحد المبشّرين في اليابان منذ ثمانية عشر عامًا، لم يَعُدَّ في الجملة إلاّ ستّين مهتديًا كانوا كلّهم من كبار السنّ، فضلاً عن أنّه خسرهم في آخر لحظة: لقد ماتوا على الطريقة اليابانيّة، بلا تبكيت ضمير ولا آلام مبرحة، كأفضل خَلَفٍ لأسلافهم، الذين كانوا لا يجدون للتمرُّس على أزمنة الصراع مع المغول، أفضل من الاستسلام إلى فكرةِ أنّ كلّ شيء عَدم، بما في ذلك عدمهم.

*

لا نستطيع التفكير في الأبديّة إلاّ مُسْتَلْقِين. لقد كانت شغل الشرقيّين الشاغل طيلة فترة هائلة فهل فضّلوا غيرَ الوضعيّة الأُفُقيّة؟

ما أن نتمدّد حتى يكفّ الزمن عن الجريان وعن الحساب. إنّ التاريخ ثمرةُ سافلٍ واقف.

وجَبَ على الإنسان باعتباره حيوانًا عموديًا أن يكتسب عادة

(١) حديثٌ تداوله الكثير من أهل التصوّف، ولم يرد ذكره إلاّ في كُتب الموضوعات، لذلك يُرجّح العلماء أنّه من الأحاديث الموضوعة الضعيفة نقلاً وعقلاً.

النظر إلى الأمام، لا على صعيد المكان وحده، بل على صعيد الزمان أيضًا. إلى أيّ أصلٍ حقير يرجع المستقبل!

❊

كارِهُ البشر مهما كان صادقًا، يُذكِّرُنا في بعض الأحيان بذلك الشاعر العجوز حبيس الفراش الذي نُسي تمامًا، فقرّر من شدّة سخْطِهِ على مُعاصريه أنّه لم يعد راغبًا في استقبال أحدٍ منهم. وكانت زوجته رأفةً به تقرع جرسَ الباب من حين إلى آخر.

❊

يكتمل العمَلُ الأدبيّ حين نعجز عن تحسينه على الرغم من علمنا بأنّه ناقصٌ وغيرُ كافٍ. يُنهكنا حَدًّ أنّنا نفقد كلّ قُدرةٍ على أن نضيف إليه فاصلةً واحدة وإن كانت ضروريّة. إنّ ما يحدّد درجة اكتمال الأثَر لا علاقة له إطلاقًا بمُقتضيات الفنّ أو الحقيقة، بقدر ما هو راجعٌ إلى التعب، بل القرف أيضًا.

❊

تقتضي منّا أدْنَى جملةٍ نكتُبها ما يُشبِهُ الابتكار، بينما يكفينا في المُقابل قليلٌ من الانتباه كي ندخل في نَصٍّ من النصوص وإن كان صعبًا. إنّ خَرْبَشَةَ بطاقة بريديّة أقرب إلى النشاط الإبداعيّ من قراءة ***فينومينولوجيا الروح***[1].

❊

(١) كتاب **فينومينولوجيا الروح** (La phénoménologie de l'esprit): من أهمّ مؤلّفات هيغل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١).

البوذيّةُ تُسمّي الغضبَ «دناسة العقل»، المانويّةُ[١] تسمّيه «جذر شجرة الموت».

أعرف ذلك. لكن ما فائدتي من معرفته؟

*

كانت لا تعني لي شيئًا. وحين مرَّ ببالي فجأةً بعد سنوات طويلة أنّي لن أراها بعد ذلك أبدًا مهما حدث، كدتُ أشعرُ بضِيق. نحن لا نفهم ما هو الموت إلاّ عندما نتذكّر فجأةً صورة شخصٍ لم يكن يمثّل شيئًا بالنسبة إلينا.

*

كلّما أوغَلَ الفنُّ في طريقٍ مسدودٍ تَكاثَرَ الفنّانون. تكفّ هذه المُفارقة عن أن تكون كذلك ما أن نفكّر في أنّ الفنّ، الآيل إلى الإنهاك، أصبح مستحيلاً وسهلاً في الوقت نفسِه.

*

لا أحد مسؤول عمّا يكون ولا حتى عمّا يفعل. هذه بداهة يوافق عليها الجميع بقدرٍ أو آخر. لماذا إذنْ نُمجّدُ أو نُشَهِّر؟ لأنّ الوجود يُساوي التقييم وإصدار الاحكام، ولانّ الامتناع عن ذلك حين لا يكون نتيجة عدم اكتراث أو جبن، يتطلّب جهدًا لا يريد أحد بَذْلَه.

*

(١) المانوية (Manichéisme): ديانة تُنسب إلى ماني الفارسيّ.

كلّ شكلٍ من أشكال العجَلَة، وإن كان في سبيل الخير، ينمّ عن شيء من الاضطراب العقليّ.

❋

الأفكارُ الأقلّ خبثًا هي تلك التي تنبثق من بين همومنا، من الفسحات الفاصلة بين متاعبنا، من تلك اللحظات الفاخرة التي يسمح بها بؤسُنا لنفسِه.

❋

الآلام الوهميّة هي أكثر آلامنا واقعيّةً بما لا يُقارن، بما أنّنا في حاجة دائمة إليها، وبما أنّنا نخترعها لفرط غياب أيّ وسيلة للاستغناء عنها.

❋

إذا كان من طبيعة الحكيم أن لا يفعل شيئًا غير مُجْدٍ، فلن يتفوّق عليّ أحدٌ في الحكمة: أنا لا أتنازل حتّى للأمور المجدية.

❋

يستحيل أن نتخيّل حيوانًا منحطًّا، ما تحتَ حيوان.

❋

لو استطعنا أن نُولدَ قبل الإنسان!

❋

مهما حاولتُ، فإنّي لا أستطيع احتقار كلّ تلك القرون التي لم

يُبذَل فيها جهدٌ من أجل شيء آخر غير السعي إلى ضبط تعريفٍ لله.

❋

الطريقة الأكثر نجاعة للخروج من حالة إحباط مُبَرَّرة أو مجانيّة، تتمثّل في تناوُل مُعجَم، والأفضل أن يكون في لغة نعرفها بالكاد، ثمّ الشروع في البحث عن كلمات وكلمات، مع الحرص على أن تكون من تلك التي لن نستعملها أبدًا...

❋

نعثُر دائمًا على كلمات للتعبير عن المُريع ما دُمنا نعيش في هذا الجانب منه. ما أن نعرفه من الداخل حتى نعجز عن العثور على كلمة واحدة.

❋

ليسَ مِنْ أَسًى نهائيّ.

❋

إحساسُنا باللا عزاء مهما كان نوعُه، إحساسٌ عابِر، لكنّ القاع الذي ينبثق منه باقٍ دائمًا ولا تأثير لشيء عليه. إنّه مُحصَّن وغير قابل للتغيير. إنّه ***محتومٌا***[1].

❋

(١) العبارة التي استعملها سيوران هي Fatum

لنتذكّرْ في الغضب والفجيعة أنّ الطبيعة كما يقول بوسويه[1] لن تتنازل لنا طويلاً عن «هذا القليل من المادّة الذي أعارتنا».

إمعانُ التفكير في «هذا القليل من المادّة» ينتهي بنا إلى الهدوء، إلى هدوءٍ والحقّ يُقال، من الأفضل أن لا نكون عرفناه البتّة.

❊

المُفارقة غير مقبولةٍ في الجنازات ولا في الأعراس أو الولادات. المناسبات المُحزنة ـ أو المُضحكة ـ تقتضي العبارات المبتذلة، ما دام المُريعُ كالمُتْعِب لا ينسجم إلاّ مع الكليشيه.

❊

مهما كنّا بعيدين عن الضّلال فإنّ من المستحيل علينا العيش دون أيّ أمل. نحن نحتفظ دائمًا بشيء منه خفيةً عَنّا، وهذا الأمل اللاشعوريّ يعوّض عن كلّ الآمال الأخرى الصريحة، التي نبذناها أو استنفدناها.

❊

كلّما أُثْقِلَ أحدُهم بالسنين، أخذ يتحدّث عن غيابه وكأنّه حدَثٌ قصيٌّ، بعيدُ الاحتمال. لقد اعتاد الحياة حتى أصبح قاصرًا عن الموت.

❊

(١) **جاك بوسويه** (Jacques-Bénigne Bossuet): رجل دين فرنسي (١٦٢٧ ـ ١٧٠٤) يعتبره البعض من أكبر الخطباء الذين عرفتهم البشريّة! من مؤلفاته «حديث عن تاريخ العالم».

أعمى، حقيقيٌّ هذه المرّة، كان يتسوّل: في مظهره، في صلابته، ثمّتَ شيء يستحوذ عليك، يقطع أنفاسَك. كان ينقُلُ إليك عماه.

*

لا نغفر إلاّ للأطفال أو المجانين صراحتَهم معنا: لو تجرّأ الآخرون على الاقتداء بهم لندموا آجلاً أو عاجلاً.

*

لنكون «سعداء» ينبغي أن تحضر في الذهن بشكلٍ دائم صورةُ المصائب التي نجونا منها. ستكون تلك طريقة الذاكرة كي تكفّر عن ذنبها، بما أنّها لا تحتفظ عادة إلاّ بالمصائب التي حلّت، ساعيةً من ثمّ إلى تخريب السعادة، ناجحةً في ذلك أيّما نجاح.

*

على إثر ليلة بيضاء، يبدو المارّة كائنات آليّة. لا يظهر على أحد أنّه يتنفّس أو يمشي. لكأنّ كلاً منهم مُسيّر عن طريق زنبرك: لا ذرّة من عفويّة. ابتسامات ميكانيكيّة. إيماءات أشباح. إذا كنت أنت نفسك شبحًا فكيف ترى في الآخرين أحياء؟

*

أن تكون عقيمًا - مع كلّ هذه الأحاسيس! يا للشعر الخالدِ بلا كلمات.

*

التعب الخالص الذي لا سبب له، التعب الذي يفاجئنا مثل هديّة أو نكبة: عن طريقه أعودُ إلى أناي، أعرف أنّي «أنا». ما أن يتلاشى حتى أُصبح شيئًا لا روح فيه.

❊

كلُّ ما هو حيٌّ حتى الآن في الفولكلور قادمٌ ممّا قبل المسيحيّة - كذلك الأمرُ بالنسبة إلى كلّ ما هو حيٌّ في كلٍّ منّا.

❊

لن يذهب بعيدًا، في خيرٍ أو شرٍّ، ذاك الذي يخاف أن يُصبح أُضحوكة. سيظلّ أدنى من مواهبه وسيُحكَمُ عليه بالتفاهة وإن كان عبقريًّا.

❊

«في غمرة نشاطك الأكثر كثافة توقّف للحظةٍ كي «تنظر» إلى عقلك». - ليس من شكٍّ في أنّ هذه الوصيّة غير موجّهة إلى أولئك الذين «ينظرون» إلى عقولهم ليل نهارًا، ومن ثمّ هم معفيّون من أن يُوقفوا نشاطهم للحظة، لسبب وجيه، كونهم لا يمارسون أيّ نشاط.

❊

لا يدوم إلاّ ما تمّ تصَوُّرُهُ في العزلة، ***قُبالة الله***، سواءٌ كنّا مؤمنين أم لا.

❊

الشغفُ بالموسيقى هو في حدّ ذاته ***اعتراف***. نحن نعرف عن

غريبٍ منقطعٍ لها أكثر بكثير ممّا نعرف عن شخصٍ عديم التأثُّرِ بها، نحاذيه في الشارع كلّ يوم.

*

ليس من تأمُّلٍ دون مَيْلٍ إلى الاجترار.

*

طالما ظلّ منقادًا لله، ظلَّ الإنسانُ يتقدّم ببطء، ببطءٍ شديدٍ كاد يعجز عن إدراكه. ومنذ كفّ عن الحياة في ظلّ أيِّ كان، وهو يُعجّل، ويغتمّ لعجَلته، مستعدًّا للتضحية بأيّ شيء في سبيل استعادة إيقاعه القديم.

*

خسرنا حين وُلدنا بِقَدْرِ ما سنخسر حين نموت: كُلَّ شيء.

*

الشّبَعُ: نطقتُ لتوّي بهذه الكلمة وعلى الرغم من ذلك لم أعد أعرف بأيّ مناسبة، لفرط ما أراها تنطبق على كلّ ما أشعر به وأفكّر فيه، على كلّ ما أُحبّ وأكره، على الشّبع نفسِه.

*

لم أقتل أحدًا، فعلتُ أفضل من ذلك: قتلتُ الممكن، وتمامًا مثل ماكبث(١)، أكثر ما أحتاج إليه هو الدعاء، ولكنّني مثله، لا أستطيع أن أقول آمين.

---

(١) ماكبث (Macbeth): المسرحية التراجيدية التي ألفها شكسبير مستلهمًا حياة القائد الاسكتلندي الذي يغتال ملكه دنكن كي يجلس على عرش اسكتلندا مكانه.

IV

تسديدُ ضرباتٍ لا واحدةَ منها تُصيب المرمى، الهجومُ على الجميع دون أن يشعر بذلك أحد، إطلاقُ سهام لا يتلقّى سُمَّها سوانا!

❊

فلان[1] الذي عاملتُهُ دائمًا بأسوأ ما يمكن، لا يحْملُ عليّ لأنّه لا يحمل على أحد. إنّه يغفر لي كلّ شتائمي ولا يذكر أيًّا منها. كم أحسده! كي أتساوى معه ينبغي عليّ أن أقطع أكثر من وُجود وأن أستنفد كلّ ما لديّ من إمكانات التناسُخ.

❊

أيّام كنتُ أجوبُ فرنسا طيلة أشهُر على متْنِ درّاجة، لم أكن أجد متعةَ أفضل من التوقُّف في المقابر الريفيّة والاستلقاء بين قبرين، وقضاء ساعاتٍ هكذا في التدخين. أفكّر في تلك الأيّام باعتبارها أكثر مراحل حياتي نشاطًا.

❊

(١) استعمل سيوران الحرف «X» للإشارة إلى الشخص المعني، وفضّلنا استعمال كلمة «فلان».

كيف نتمالك، كيف نكبحُ جماح نفسِنا، إذا كنّا قادمين من بقعةٍ نزمجر فيها في الجنازات؟

*

ما أن أضع قدمي خارج البيت في بعض الصباحات حتى أسمع أصواتًا تناديني باسمي. هل أنا حقًّا أنا؟ هل هو فعلاً اسمي؟ هو كذلك بالفعل، إنّه يملأ الفضاء، إنّه على شفاه العابرين. كلّهم يتلفّظون به حتى تلك المرأة في غرفة الهاتف المجاورة في مكتب البريد.

السهرات تفترس آخر ما تبقّى لنا من سلامة التفكير وتكاد تُفقدنا العقل، لولا أنّ خوفنا من أن نصير أُضحوكة يتدخّل لإنقاذنا.

*

فُضولي ونُفوري ورُعبِي أيضًا أمام نظرته المجبولة من زيت ومعدن، أمام إفراطِه في المجاملة ومَكْرِهِ السافر ونفاقِه المكشوف إلى حدٍّ غريب وخِدَعِهِ المستمرّة الجلِيّة، هذا الخليط من السفالة والجنون. إنّه الدجل والخزي في وضح النهار. غيابُ الصدق بَيِّنٌ في كلّ حركاته وكلماته. العبارة غير دقيقة لأنّ غياب الصدق يعني معرفةَ الحقيقة وإخفاءَها أما هو فلا أثر فيه ولا فكرة ولا ذرّة للحقيقة ولا للكذب أيضًا. لا شيء سوى خُشونة قَذِرة وخَبَلٍ مُغْرِض.

*

كنتُ في الشارع حوالي منتصف الليل حين دنت منّي امرأة وقالت باكية: «قتلوا زوجي، فرنسا قذرة، من حسن الحظّ أنّي من

بروتاني[1]، اختطفوا أطفالي، خدّروني طيلة ستّة أشهر». لم أُدرك فورًا أنّها مجنونة لفرطِ ما بدا لي حزنُها حقيقيًّا (وكان كذلك من وجْهِ مَا)، فأتحتُ لها أن تتكلّم لوحدها لما لا يقلّ عن نصف الساعة: كان الكلام يجعلها أحسن حالاً. ثمّ تركتُها محدّثًا نفسي بأنّ الفرق بيننا كان يتقلّص كثيرًا لو أنّي شرعت بدوري في عَرْضِ شَكاوِيَّ على أيٍّ كان.

*

روى لي أُستاذ من أحد البلدان الشرقيّة أنّ أمّه القرَوِيّة تعجّبت كثيرًا حين علمت أنّه يُعاني الأرق. لم يكن عليها هي حين كان النوم يُبطئ في القُدوم إلاّ أن تتخيّل حقلاً شاسعًا يتموّج قمحُهُ في الريح، كي تنام على الفور.

لن نحصل على هذه النتيجة لو تخيّلنا مدينة. إنّه لمن غير المفهوم بل من المعجز أن ينجح ساكنُ المدينة في إغماض عينه.

*

الخمّارةُ يرتادها مُسِنُّون يسكنون الملجأ الواقع في طرف القرية. ها هم هناك، كلٌّ ينظرُ إلى الآخر وفي يده كأسُه دون أن ينبس بحرف. لا أحد يسمع حين يشرع أحدهم في رواية شيءٍ مَا يُشبه الطرفة، وعلى كلّ حال لا أحد يضحك. لقد كدُّوا جميعهم

(١) بروتاني (Bretagne): منطقة جغرافية وثقافية تغطي شبه الجزيرة التي تقع في الجزء الشمالي الغربي من قارة أوروبا في شمال غرب فرنسا.

لسنوات طويلة كي يصلوا إلى هناك. قديمًا في الريف كانوا يخنقونهم بوسادة. طريقة حكيمة تتطوّر على أيدي كلّ عائلة، وأكثر إنسانيّةً بكثيرٍ من تجميعهم ووضعهم في زريبة، لشفائهم من الملل عن طريق الذهول.

*

إذا صدّقنا التوراة فإنّ قابيل هو الذي أنشأ أوّل ***مدينة***[1]، كي يكون له وفقَ ملاحظة بوسويه[2]، مكان يستطيع فيه أن **يدوّخ تبكيت ضميره**. يا له من رأي! وكم مرّةً أُتيح لي أن أختبر صوابَهُ أثناء طَوافي الليليّ!

*

في إحدى الليالي وأنا أصعد الدرج في الظلام الدامس، أوقفتني قُوّةٌ قاهرة منبثقة من الخارج والداخل. وقفتُ مكاني عاجزًا عن قطْعِ أيّ خطوةٍ أخرى، متحجّرًا متسمّرًا حيث أنا .**استحالة** - بدت لي هذه الكلمة في محلّها أكثر من أيّ وقت مضى، وكأنّها جاءت لتُطلعني على نفسي بقدر ما جاءت لتكشف نفسها لي: أنجدتني تلك الكلمة في مرّات كثيرة ولكن ليس كما أنجدتني هذه المرّة. لقد فهمت أخيرًا وإلى الأبد ما تعنيه...

*

(١) **قابيل أو قايين** (Caïn): يُشير سيوران هنا إلى ما ورد في سفْر التكوين الاصحاح الرابع: «وكان يبني مدينةً فدعا اسمَ المدينة كاسم ابنه حَنُوك».

(٢) بوسويه (Bossuet): انظر الصفحة ٦٨ الملاحظة ١.

خادمةً سابقة سألتُها «كيف الحال؟» فأجابتني دون أن تتوقّف «كُلُّ شيءٍ يُتابع مجراه». هذه الإجابة المألوفة هزّتني حدَّ البُكاء.

العبارات التي تتعرّض للصيرورة والعبور والجريان تكتسب في بعض الأحيان قُوّةَ الكشف كلّما بدت مستهلَكة. والحقُّ أنّها لا تنشئ حالةً استثنائيّة، بل إنّنا نكون في تلك الحالة دون إدراكٍ منّا، فلا تنقصنا إلاّ علامة أو تعلّة كي يحدث الاستثناء.

*

كنّا نُقيم في الريف وكنتُ أرتاد المدرسة وأنام، وهو تفصيلٌ مهمّ، في نفس الغرفة مع والِديّ. في المساء اعتاد أبي أن يقرأ على أمّي من بعض الكُتُب. وعلى الرغم من كونه راهبًا فإنّه كان يُطالع أيّ شيء، مُعتقدًا لِصِغَرِ سِنّي دون شكّ، أنّي ما كنتُ لأفهم.

لم أكن أُنصتُ إليه في الغالب بل كنت أنام، إلاّ حين يتعلّق الأمر بحكايةٍ أخّاذة. ذات ليلة أصختُ السمع. كان يقرأ من سيرةٍ لراسبوتين[1]، ذلك المشهد الذي يحتضر فيه الأب فيدعو ابنه ليقول له: «اذهب إلى سان بطرسبورغ، استحوذ على المدينة، لا تتورّع عن شيء ولا تخشَ أحدًا، ***لأنّ الربّ خنزير عجوز***».

سماعُ عبارة بهذا الفحش من فم والدي الذي لم يكن يقبل أيّ مزاح في موضوع الكهنوت، أثار فيّ ما يُثير الحريقُ أو الزلزال. إلاّ

---

(١) **راسبوتين** (Raspoutine): فلاّح روسيّ (حوالي ١٨٦٩ ـ ١٩١٦) نُسبت إليه كرامات عديدة وأصبح ذا نفوذ في بلاط نيقولا الثاني اعتبره البعض قديسًا واعتبره آخرون دجّالاً.

أنّي أذكر أيضًا بوضوح شديد ـ كان ذلك قبل أكثر من خمسين عامًا ـ أنّ انفعالي سُرعان ما تلته مُتعةٌ غريبة، كدتُ أقول شاذّة.

*

تقدّمتُ بما يكفي على مرّ السنوات في دينين أو ثلاثة، إلاّ إنّي تراجعتُ في كلّ مرّة على عتبة «الاعتناق» خوفًا من أن أكذب على نفسي. لم يبدُ لي أيٌّ من هذه الأديان حرًّا بما فيه الكفاية كي يعترف بأنّ الانتقام حاجة من أكثر الحاجات كثافةً وعُمقًا، وأنّ على كلٍّ منّا أن يُشبِعَها على الأقلّ بالكلام. كلّما كظمنا هذه الحاجة تعرّضنا إلى اضطرابات خطيرة. لا مصدَرَ لأكثر حالات انعدام التوازن ـ وربّما لكلّها ـ سوى انتقامٍ أرجأناه أكثر ممّا يلزم. لنعرِفْ كيف ننفجر. إنّ أيَّ إحساس بالضيقِ هو أكثر **سلامةً** من ذلك الذي يبعثه حقدٌ مخزون.

*

فلسفة في بيت الموتى. «الأمر واضح، ابنُ أخي لم ينجح ولو نجح لكانت له نهايةٌ مختلفة. ـ أجبت تلك القوّادة السمينة: تعلمين سيّدتي أنّ النجاح وعدم النجاح سيّان. ـ ردّت عليّ بعد ثوان من التفكير: أنت على حقّ». هذه الموافقة غير المُتوقَّعة من ثرثارةٍ بهذا الحجم هزّتني بقدر ما هزّني موتُ صديقي.

*

أصحابُ العاهات... يبدو لي أن ***مُغامرتهم*** تُسلّطُ الضوء على المستقبل أكثر من أيّ مغامرة أخرى، وأنّهم وحدهم القادرون على

تبيُّنِهِ وفكِّ رُموزِه، وأنّ صَرْفَ النظر عن مآثرهم يجعلنا غيرَ مُؤهَّلين نهائيًا ***لوصف*** الأيّام القادمة.

*

ـ قلتَ لي إنّ من المؤسف أن لا يكون **فلان**[1] قد أنتج شيئًا.

ـ وما أهميّة ذلك؟ يكفي أنّه موجود. لو باضَ كُتُبًا ولو شاء له سوءُ الحظّ أن «يتحقّق» لما كنّا بصدد الحديث عنه منذ ساعة. إنّ ميزةَ أن تكون شخصًا ذا شأن أكثرُ نُدْرةً من ميزة أن تعمل. الإنتاجُ سهل. الصعبُ هو أن تترفّع عن استخدام مواهبك.

*

كنّا بصدد التصوير وأعدنا اللقطة نفسها مرّات كثيرة. أدهشَ الأمرُ أحد المارّة، وكان من الواضح أنّه ريفيّ: «بعد هذا لن أذهب أبدًا إلى السينما».

قد يكون في وسعنا أن نردّ الفعل بالطريقة نفسها تُجاه أيّ شيء نتبيّن خفاياه ونكتشف أسراره. إلاّ أنّ غشاوة عجيبة تجعل أطبّاء نسائيّين يُغرَمون بحريفاتهم، حفّاري قبور يُنجبون أطفالاً، مُصابين بأمراض عُضال يفيضون بالمشاريع، ارتيابيّين يكتبون...

*

اشتكى **فلان**[2] وهو ابنُ حاخام من أنّ مرحلة الاضطهاد غير

(١) استعمل سيوران الحرف «N» للإشارة إلى الشخص المعني، وفضّلنا استعمال عبارة «فلان».

(٢) استعمل سيوران الحرف «T» للإشارة إلى الشخص المعني، وفضّلنا استعمال عبارة «فلان».

المسبوقة هذه، لم تشهد ولادةَ أيّ صلاةٍ ***طريفة*** يُمكن أن تتبنّاها الطائفة وأن تُتلى في الكنيس. أكّدتُ له أنّ من الخطأ أن يحزن أو يقلق لذلك: الكوارثُ الكُبرى لا تُنتج شيئًا على صعيد الأدب ولا على صعيد الدين. وحدَها أنصافُ الكوارث خصبة، لأنّها يمكن أن تكون، لأنّها نقطةُ انطلاق، أمّا الجحيم الكاملُ أكثر من اللزوم فهو يكاد لا يقلّ عُقْمًا عن الفردوس.

*

كنتُ في العشرين وقد ضقتُ ذرْعًا بكلّ شيء. ذات يوم تهالكتُ على أريكة صارخًا «لم أعد أحتمل».

أعلمتني أمّي التي سبق أن روّعتها لياليَّ البيضاء، بأنّها أرسلت من يقيم قدّاسًا باسمي من أجل «راحتي». وددتُ أن أصرخ ***ليس واحدًا بل ثلاثين ألفًا***، مفكّرًا في الرقم الذي سجّله شارلكان[1] في وصيّته، من أجل راحةِ أطول بكثير والحقّ يُقال.

*

رأيتُهُ من جديد مُصادفةً بعد ربع قرن. إنّه كما هو، على حاله، بل أكثر نضارةً من أيّ وقتٍ مضى، حتى أنّه يبدو قد تراجع في اتّجاه المراهقة.

أين أختبأ وماذا حاكَ كي يتهرّب من فعل السنوات، كي يتفادَى

(١) **شارلكان** (Charles Quint): ملك إسبانيا ورأس «الإمبراطوريّة الرومانيّة المُقدّسة» (١٥٠٠ ـ ١٥٥٨). كتب وصيّة لابنه فيليب سنة ١٥٤٨.

التكشيرات والتجاعيد؟ وكيف عاش هذا إن كان عاش؟ إنّه بالأحرى عائدٌ من الموت. ليس من شكٌ في أنّه مارسَ الغشّ ولم يقم بواجبه ككائنٍ حيّ، لم يلعب اللعبة. عائد من الموت أي نعم ومتسلّل محتال. لا أتبيّنُ أيَّ علامة دمارٍ على وجهه، ولا أيَّ سمةٍ من تلك التي تشهد على أنّ الواحد منّا كائن حقيقيّ، فرد، وليس شبحًا. لا أعرف ماذا أقول له؟ أشعر بالحرج، بل إنّي خائف، لِفَرْطِ ما يُربِكُنا كلّ من يُفلت من الزمن أو يكتفي بتحاشيه.

*

فُلان[1] الذي كان يكتب مذكّرات طفولته، في قريته في رومانيا، وَعَدَ جارًا له، وهو فلاّح يُدعى كومان، بأنّه لن ينساه فيها، فجاءه هذا الأخير من الغد باكرًا وقال له: «أعرف أنّي لا أساوي شيئًا، وعلى الرغم من ذلك لم أكن أعتقد أنّي بلغتُ من السقوط حَدَّ أن أُذْكَرَ في كتاب».

كم كان عالَمُ المُشافَهة متفوِّقًا على عالَمِنا. إنّ الناس (يجدر بي القولُ إنّ الشعوب) لا يستمرّون في كلّ ما هو حقيقيّ إلاّ بقدر استمرارهم في النفور من المكتوب. ما أن تُصيبهم عدوى أحكامه المُسبَقة حتى يدخلوا في الزائف، خاسرين خرافاتهم القديمة، مكتسبين خرافة جديدة أسوأ من الخرافات الأخرى مجتمعة.

*

(١) استعمل سيوران الحرفين «D.C» للإشارة إلى الشخص المعني، وفضلنا استعمال كلمة فلان.

أعجز عن النهوض فألزم الفراش وأستسلم إلى نزوات ذاكرتي وأراني طفلاً يتسكّع في الكاربات[1].

ذات يوم عثرتُ على كلب لا شكّ أنّ صاحبه أراد أن يتخلّص منه فأوثقه إلى شجرة. كان شفّافًا من شدّة الهزال، وقد أُفرِغَ من كلّ حياة حتى لم يعد يملك إلاّ أن ينظر إليّ دون قدرة على الحراك. إلاّ أنه كان ***واقفًا***، هو...

*

جاءني شخص نكِرة ليروي لي أنّه قتل شخصًا مَا. لم يكن البوليس يبحث عنه لأنّه ليس محلّ ريبةٍ بعد. أنا الوحيد الذي يعلم أنّه هو القاتل. ما العمل؟ لا أملك ما يكفي من الجرأة ولا من الخيانة (لأنّه حمّلني سرًّا وأيّ سرّ) كي أذهب للإبلاغ عنه. أشعر بأنّي شريكه وأسلّم بإمكانيّة أن يتمّ إيقافي وأن أُعاقَبَ على ذلك الأساس. في الوقت نفسه أحدّث نفسي بأنّ ذلك سيكون من الغباء الشديد. لعلّي أذهب للوشاية به على الرغم من كلّ شيء. وهكذا حتى أصحو.

إنّ ما لا نهايةَ لهُ هو اختصاصُ المتردّدين. هُم لا يستطيعون حسم أيّ شيء في حياتهم ولا في أحلامهم، حيث يواصلون تردُّدَهم وجُبنَهم ووساوسَهم. إنّهم مؤهَّلون مثاليّون للكابوس.

*

---

(١) **الكاربات** (Les Carpates): أطول سلسلة جبليّة أوروبيّة، تمتدّ على أكثر من ١٥٠٠ كم من أوروبا الوسطى إلى أوروبا الشرقية.

فيلم حول الحيوانات المتوحّشة.

شراسةٌ بلا هوادة في كلّ المناطق.

إنّها «الطبيعة»، ذلك الجلاّدُ العبقريّ المعجب بنفسه وبعمله، وهي تبتهج عن حقّ: في كلّ ثانية، ليس من حيٍّ إلاّ وهو يرتعد أو يبعث على الارتعاد.

الشفقةُ ترَفٌ غريب، ما كان ليخترعه إلاّ الكائن الأكثر غدرًا وضراوة، بدافع الحاجة إلى مُعاقَبَةِ نفسِه، وتعذيبها، بدافع الضراوة أيضًا.

❋

مُلْصَقَة على مدخل كنيسة تعلن عن ***فنّ الفوغه***[1]، خطّ أحدُهم فوقها بحروف كبيرة ***الربّ مات***. وذلك بخصوص الموسيقِيِّ الذي أراد أن يشهَدَ على أنّ الربّ، على افتراض أنّه مرحوم، يمكن أن يُبعَثَ مُدَّةَ إنصاتنا إلى هذه الكنتاتا أو تلك الفوغه تحديدًا!

❋

قضينا معًا أكثر من الساعة بقليل. انتهزها ليتباهى، ومن فَرْطِ رغبَتِهِ في أن يقول أشياء مهمّة عن نفسه نجَحَ في ذلك. لو اكتفى بتقريظ نفسِه بشكل معقول لوجدتُهُ مُضْجِرًا وغادرتُهُ بعد بضعِ دقائق. عند مُبالغته، عند إتقانِهِ دورَهُ كمتبجّح، أشرفَ على العقل

---

(١) **فنّ الفوغه** (L'art de la fugue): من أعمال يوهان سيباستيان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) وقد داهمه الموتُ قبل إتمامها، واعتبرها الكثيرون «وصيّته الموسيقيّة».

حتى كاد يُصبح له عقل. إنّ الرغبة في الظهور بمظهر الحصيف لا تضرّ بالحصافة. لو أُتيح لمتخلّفٍ عقليّ أن يشعر بالرغبة في التباهي، لنجح في خداع الناس، وحتى في اللحاق بالذكاء.

*

فلان[1]، الذي تجاوز سنّ الآباء، وبعد أن نكّلَ بالجميع طيلة حديث ثنائيّ طويل، قال لي: «نقطةُ الضعف الكبيرة في حياتي أنّي لم أكره أحدًا».

الكراهيةُ لا تنقُص مع السنوات، الأصحّ أنّها تزداد. وتلك التي يشعر بها عجوز خَرِف قد تأخذُ حجمًا بالكادِ يُمكنُ تخيُّلُه. ما أن يموت إحساسه بعواطفه القديمة حتى يضع كلّ قدراته في خدمة أحقاده، فإذا هي تنتعش بأعجوبة، وتنجو من التفتُّت الذي يُصيب ذاكرتَه وكذلك عقلَه.

*

لكلّ عائلةٍ فلسفتُها. أحدُ أبناء عمومتي وقد توفّي شابًّا، كتب لي: «كلّ شيء كما كان دائمًا وكما لا شكّ أنّه سيكون إلى أن لا يبقى شيء».

أمّي من ناحيتها، ختمت الكلمة الأخيرة التي أرسلتها لي بهذه

(١) استعمل سيوران الحرف «X» للإشارة إلى الشخص المعني وفضلنا استعمال كلمة «فلان».

العبارة الوصيّة: «مهما فعلَ الإنسان، فإنّه سيندم عليه آجلاً أم عاجلاً».

هكذا لا أستطيع حتى التفاخر بأنّي اكتسبتُ عيْبَ الندم عن طريق إخفاقاتي الخاصّة. إنّه سابقٌ عليّ، جزءٌ من تراث قبيلتي. أيّ إرث هو أن لا تكون مؤهّلاً للوهم!

❊

على بعد كيلومترات من القرية التي وُلدتُ فيها، كانت تُوجد ضيعةٌ صغيرة جاثمة على بعض الهضاب لا يسكنها إلاّ الغجر. سنة ١٩١٠ ذهب إليها عالم أجناس من الهُواة مصحوبًا بمصوّر فوتوغرافيّ. نجح الرجل في تجميع السكّان الذين قبلوا أن يتمّ تصويرهم دون يعلموا شيئًا عن جليّة الأمر. ولحظةَ طُلِب منهم أن لا يتحرّكوا صرخت إحدى العجائز: «حذارِ! إنّهم يسرقون أرواحنا». في الحين انقضّ الجميع على الزائِرَيْن اللذين لم ينجوا إلاّ بصعوبة كبيرة.

هؤلاء الغجر نصف المتوحّشين، ألم تكن الهند، بلادهم الأصليّة، هي من كان يتكلّم من خلالهم في تلك اللحظة؟

❊

متمرّدًا على أصلي باستمرار، تمنّيتُ طيلة حياتي أن أكون آخر: إسبانيًّا، روسيًّا، آكِلَ لحوم بشريّة ـ أيًّا كان باستثناء ما كُنت. إنّها لَضلالةٌ أن نُريدَنا مُختلفين عمّا نكون، أن ننسجم نظريًّا مع كلّ منزلةٍ إلاّ منزلتنا.

❊

يومَ اطّلعتُ على قائمةٍ تقريبيّة بكلّ الكلمات التي تتمتّع بها السنسكريتيّة للإشارة إلى المُطلَق، أدركتُ أنّي أخطأت الطريقَ والبلادَ واللغة.

*

بعد سنواتٍ لا تُحصى من الصمت، كتبت لي صديقةٌ أنّها توشك على الموت وتستعدّ «للدخول في المجهول». أزعجني هذا الكليشيه. لا أتبيّنُ ***في ماذا*** يمكن أن ندخل عن طريق الموت. يبدو لي كلُّ تأكيد هنا تعسُّفيًا. الموت ليس حالة وربمّا لم يكن حتى عُبورًا. ما هو إذنْ؟ وعن طريق أيّ كليشيه سأردّ بدوري على هذه الصديقة؟

*

يحدث لي أن أغيّر رأيي عشر مرّات، عشرين مرّة، ثلاثين مرّة في اليوم الواحد، في شأن الموضوع نفسه وفي شأن الواقعة نفسها. والغريب أنّي أجرؤ على النطق بكلمة «حقيقة»، في كلّ مرّة، مثل أعتى الدجّالين!

*

امرأةٌ قويّةُ البُنْيَة كانت تسحب زوجها ذا القامة الطويلة والظهر المتقوّس والعينين الذاهلتين. كانت تجُرُّه وكأنّه أثَرٌ باقٍ من حقْبة أُخرى أو ديناصور عاشب مُصابٌ بالسكتة يستعطف الناظرين.

بعدَ ساعةٍ حدث اللقاءُ الثاني: عجوزٌ فائقة الأناقة «تتقدّم» محنيّة الظهر إلى أقصى حدّ، وكأنّها نصف دائرة. كانت تنظرُ بالضرورة في اتّجاه الأرض، وليس من شكّ في أنّها كانت تعُدُّ خطواتها

البطيئة إلى حدّ لا يمكن تخيّله. كان يُخيّل إلى الناظر أنّها تتعلّم المشي، أنّها تخشى أن لا تعرف أين وكيف تضع خطاها كي تتحرّك.

... يُناسبني كلّ ما يقترب بي من البوذا.

*

لم تَكُفَّ عن مُراودَةِ المارّة على الرغم من شعرها الأشيب. كنتُ كثيرًا ما أُصادفُها في **الحيّ** حوالي الثالثة صباحًا، ولم أكن أحِبُّ العودة إلى البيت قبل أن أسمعها تسرد عليّ بعض المآثر أو بعض الطرائف. نسيتُ الطرائف كما نسيتُ المآثر. لكنّي لم أنسَ بأيّ سرعة عقّبت عليَّ ذات ليلة، بعد أن أرسلتُ جام غضبي على كلّ أولئك «المُقمّلين» النائمين، هاتِفةً وسبّابتُها تشير إلى فوق: «وماذا تقول عن المُقمّل ***الذي في الأعلى***؟»

*

«لا أساسَ ولا جوهرَ لشيء». لم أردّد لحظةً هذه العبارة دون أن أشعر بشيء يُشبه السعادة. المشكلة أنّ هناك لحظات كثيرة أعجز فيها عن تردادها.

٧

أقرأه بسبب الإحساس بالغرق الذي يصلني من كُلِّ ما يكْتُب. نفهم في البداية ثمّ ندورُ في حلقة مفرغة ثمّ إذا نحن محمولون في دوّامة بلا نكهةٍ ولا رعب، ونفسُنا تحدّثنا بأنّنا سنغرق، إلى أن نغرق حقًّا. إلاّ أنّه ليس غرقًا حقيقيًّا - سيكون ذلك أجمل من أن يُصَدّق! إنّنا نطفو ثانيةً، نتنفّس، نفهم مرّةً أُخرى، نندهش حين نراه يبدو كمن يريد أن يقول شيئًا وكمن يفهم ما يقول، ثمّ نعود إلى الدوران في حلقة مفرغة ونغرق من جديد... كُلُّ هذا يدَّعِي العمق ويبدو كذلك. إلاّ أنّنا ما أن نثوب إلى الرشد حتى نتبيّن أنّه ليس سوى إبهام، وأنّ المسافة بين العمق الحقيقيّ والعمق المُدَبَّر، لا تقلّ حجمًا عن المسافة بين الكشف والفكرة المتسلّطة.

*

كُلُّ من يُكرّسُ نفسَه لعمل، يعتقد - بشكل لا واعٍ - أنّ عمَلَهُ سيقاوم السنوات والقرون والزمنَ نفسَه... لو أحسّ أثناء انكبابه عليه بأنّ عمَلَهُ زائل، لتخلّى عنه في الطريق عاجزًا عن إتمامه. النشاط والخداع لفظان متلازمان.

*

«تلاشت الضحكة ثمّ تلاشت الابتسامة».

هذه الملاحظة الساذجة في الظاهر والمنسوبة إلى أحد كُتّاب سيرة ألكسندر بلوك[١]، تُحدِّد كأفضل ما يكون الرسم التخطيطيّ لكلّ سُقُوط.

*

ليس من السهل أن تتحدّث عن الله إذا لم تكن مؤمنًا أو ملحدًا: وليس من شكّ في أنّ مأساتنا جميعًا، دون استثناء اللاهوتيّين، تتمثّل في أنّنا لم نعد قادرين على أن نكون لا هذا ولا ذاك.

*

التقدّمُ في اتّجاه الزهد والخلاص كارثةٌ لا سابق لها بالنسبة إلى الكاتب. هو، أكثر من أيّ شخص آخر، في حاجة إلى نقائصه: إذا انتصر عليها ضاع. فليحترس إِذَنْ من أن يُصبح أفضل، لأنّه لو نجح في ذلك لَنَدِمَ بمرارة.

*

علينا أن نحترز من المعلومات التي نملكها عن أنفُسنا. إنّ معرفتنا بأنفُسنا تُضايق شيطاننا وتشلُّه. هناك علينا أن نبحث عن السبب الذي جعل سقراط لا يكتب شيئًا.

*

---

(١) **ألكسندر بلوك** (Alexandre Blok): شاعر روسي (١٨٨٠ ـ ١٩٢١) وأحد أعمدة المدرسة الرمزيّة، من مُجايلي ريلكة وكافكا وأبولينير.

إنّ ما يجعل الشعراء الرديئين أكثر رداءة، هو أنّهم لا يقرأون إلاّ الشعراء (مثل الفلاسفة الرديئين الذين لا يقرأون إلاّ الفلاسفة)، في حين أنّهم كانوا يجنون فائدةً أكبر من كتاب في علم النبات أو الجيولوجيا. نحن لا نغتني إلاّ إذا عاشرنا فنونًا بعيدةً عن مجال اختصاصنا. لا يصحّ ذلك طبعًا إلاّ في الحقول التي تجتاحها ***الأنا***.

❋

يُخبرنا ترتليان[1] أنّ مرضى الصَّرَع كانوا، طلبًا للشفاء، «يمتصّون بلهفةٍ دماء المجرمين المذبوحين في الحلبة».

لو استجبتُ إلى غريزتي لكان هذا هو الضرب الوحيد من العلاج الذي أتبعه عند كلّ مرَض.

❋

هل تملك الحقّ في الغضب على شخصٍ ينعتك بـ«الوحش»؟ الوحشُ وحيدٌ أصْلاً. والوحدةُ حتى في سوء السمعة لا تخلو من بعض الحسنات، إنّها انتخاب من نوع خاصّ، لكنّها انتخاب لا جدال فيه.

❋

عدُوّان، أي الإنسانُ نفسُه مقسومًا.

❋

---

(١) **ترتليان أو ترتليانوس** (Tertullien): من مواليد قرطاج (حوالي ١٦٠ ـ ٢٢٠م) أوّل من ألّف في المسيحيّة باللغة اللاتينيّة، وهو من صاغ عبارة الثالوث باللاتينية (trinitas).

«لا تحكم على أحد قبل أن تضع نفسك مكانَه». هذه الحكمة القديمة تجعل كلّ حكم مستحيلاً، لأنّنا، تحديدًا، لا نحكم على أحد إلاّ لأنّنا لا نستطيع أن نضع أنفسنا مكانَه.

*

على المتعلّق باستقلاليّته أن يكون جاهزًا لأيّ خسةٍ في سبيل الدفاع عنها، حتى لو تطلّب الأمر أن يعرّض نفسه للعار.

*

ليس أبغض من الناقد، ومن باب أولى، الفيلسوف الكامن في كلٍّ منّا: لو كنتُ شاعرًا لفعلتُ مثل ديلان توماس[١]، الذي كان عند التعليق على قصائده بحضوره، يتهاوى على الأرض ويشرع في الاختلاج.

*

كلّ الذين يُجهدون أنفُسهم يقترفون المظلمة تلو المظلمة دون أن يشعروا بأدنى قدْرٍ من تبكيت الضمير. إنهم يشعرون بسوء المزاج فحسب. ـ تبكيتُ الضمير مُخَصَّصٌ للذين لا يعملون أو لا يستطيعون العمل. إنّه يحلّ لديهم محلّ الفعل ويعزّيهم عن لا فاعليّتهم.

*

---

(١) **ديلان توماس** (Dylan Thomas): شاعر من مُقاطعة ويلز البريطانية (١٩١٤ ـ ١٩٥٣) كتب بالإنجليزيّة وأثّر في العديد من كبار شعراء العالم، يُقال إنّه لم يكن يكتب إلاّ وهو سكران.

أغلبُ متاعبنا ناجمٌ عن ردّة فعلنا الأولى. إنّ أقلّ اندفاعة أغلى ثمنًا من جريمة.

❋

لمّا كنّا لا نتذكّر بدقّة إلاّ مِحَنَنا، فإنّ المرضى والمُضطَهدين والضحايا من كلّ نوع هم الذين يخرجون من الحياة، في نهاية المطاف، بأقصى ما يمكن من مكاسب. الآخرون المحظوظون يملكون حياة طبعًا، لكنّهم لا يملكون **ذكرى** حياة.

❋

مُضجِرٌ كلّ من لا يتنازل إلى إحداث أثرٍ في الآخرين. المغرور موتِّرٌ للأعصاب باستمرار لكنّه يُرهق نفسه ويبذل جهدًا: إنّه شخصٌ مُمِلٌّ يودّ أن لا يكون كذلك، وذاك جميلٌ نقرُّ له به. وقد ينتهي بنا الأمر إلى تحمُّلِه والبحث عن صحبته. في المُقابل نحن نمتقع غيظًا أمام شخصٍ لا يتطلّع إلى التأثير إطلاقًا. ماذا نقول له وماذا ننتظر منه؟ علينا أن نحتفظ ببعض آثار القرد، وإلاّ فلنلزم بيوتنا.

❋

إنّ ما يُفسِّرُ أكثرَ من فَشَل، ليس الخوف من الشروع في عمل، بل الخوف من النجاح فيه.

❋

أريد صلاةً بكلماتٍ ـ خناجر. للأسف، ما أن نصلّي حتى يكون علينا أن نصلّي مثل الجميع. ثمّتَ تكمن واحدةٌ من أكبر صُعوبات الإيمان.

❋

نحن لا نخشى المستقبَل إلاّ حين لا نكون واثقين من قدرتنا على قَتْلِ أنفُسِنا في اللحظة المطلوبة.

❊

لم يتفضّل لا بوسويه ولا مالبرانش[١] ولا فينيلون[٢] بالحديث عن ***الخواطر***. الظاهرُ أنّ باسكال[٣] لم يبدُ لهم ***جديًا*** بما يكفي.

❊

ترياقُ الضجر هو الخوف. يجب أن يكون الدواء أقوى من الداء.

❊

ليتني أستطيع الارتقاء إلى مستوى ذلك الذي تمنّيتُ أن أكون! إلاّ أنّ قوّة مجهولة ومتنامية مع السنوات تسحبني إلى الأسفل. حتى للصعود إلى ***مستواي***، عليّ أن أستخدم من الخِدَع ما لا أستطيع التفكير فيه دون أن ينَدَى له جبيني.

❊

في مرحلةٍ مَا، كنتُ كلّما تعرّضتُ إلى إهانة وأردتُ أن أتجنّب

---

(١) **نيقولا مالبرانش** (Nicolas Malbranche): فيلسوف ورجل دين فرنسي(١٦٣٨ ـ ١٧١٥) حاول التوفيق بين المسيحيّة والديكارتية.

(٢) **فرانسوا فينيلون** (François Fénelon): كاتب ورجل دين فرنسيّ (١٦٥١ ـ ١٧١٥) مرّ بمحنة بعد صدور روايته الشهيرة «مغامرات تيليماك» التي اعتبرت نقدًا لسياسة لويس الرابع عشر.

(٣) **بليز باسكال** (Blaise Pascal): فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) اهتمّ بالدين. من كُتبه المعروفة «الرسائل الريفيّة» و«خواطر» ويترجم أحيانًا إلى «أفكار».

الرغبة في الانتقام، تخيّلتُ نفسي في سكينة القبر، فاستعدتُ هدوئي على الفور. علينا أن لا نحتقر جثّتنا أكثر من اللزوم فهي قد تصلح عند الحاجة.

❋

ما من فكرة إلاّ وهي ناتجةٌ عن إحساسٍ لم يُستَجب إليه.

❋

الطريقة الوحيدة كي نلحق بالآخر، في العمق، تتمثّل في الذهاب تجاه أعمق ما في ذاتنا. وهذا يعني، اتّباع المسلك المعاكس لذلك الذي تتبعه العقول التي تُسَمَّى «نبيلة».

❋

ليتني أستطيع أن أقول مع هذا الحبر الحاسيديم[١]: «نِعمةُ حياتي أنّي لم أحتج يومًا إلى شيء قبلَ أن أمتلكه».

❋

ارتكَبَت الطبيعةُ أكثر من غلطة في الحساب عندما سمَحَت بالإنسان: لقد أقدمت على محاولة اغتيال نفسها.

❋

الخوفُ يبعثُ على الوعي. الخوفُ المَرَضِيُّ لا الطبيعيّ. وإلاّ كانت الحيواناتُ قد بلغت من الوعي درجةً أرقى من درجتنا.

❋

---

(١) **الحاسيديم** (Hassidiques): حركة يهودية روحانيّة تجديدية ظهرت في اوروبا الشرقيّة في القرن الثامن عشر.

إذا اعتبرنا الإنسانَ أُورَانْغُوتانْ[1] طبيعيًا، فهو قديم. وإذا اعتبرناه أُورَانْغُوتانْ تاريخيًا، فهو حديثٌ نسبيًا. إنّه محدث نعمة لم يتمكّن من الوقت الكافي كي يتعلّم ***آداب*** الحياة.

❊

يحسن بنا أنّ نغيّر أسماءنا بعد عددٍ مُعيّن من التجارب، بما أنّنا نتغيّرُ حقًّا. يُصبح لكلّ شيء مظهر آخر بدايةً من الموت الذي يبدو لنا قريبًا ومرغوبًا فيه. إنّنا نتصالح مع الموت، وقد ينتهي بنا الأمر إلى أن نعتبره «أفضل أصدقاء الإنسان»، كما أسماه موزارت في رسالة إلى أبيه المحتضر[2].

❊

علينا أن نتعذّب إلى النهاية، إلى أن نكفّ عن ***الإيمان*** بالعذاب.

❊

«تظلّ الحقيقة خفيّةً على كلّ من يملأ قلبَهُ الحقد والرغبة».
(البوذا)

... أي على كلّ كائنٍ حيّ.

❊

---

(١) **الأورانغوتان** (ourang-outang): من فصيلة القِردة واسمه عبارة مالاويّة مُركّبة من أوران (إنسان) وأوتان (الغابة) وتعني إنسان الغابة، لشبهه بالإنسان من نواحٍ عديدة.

(٢) موزارت (Mozart): المؤلف الموسيقي (١٧٥٦ ـ ١٧٩١)، ويشير سيوران هنا إلى رسالة وجهها موزارت إلى أبيه وهو في مرض موته، يحدّثه فيها عن أنّه لم يعد يخاف الموت لأنّه ينام كل ليلة وكأنه لن يستيقظ.

ميّالٌ إلى العزلة، وعلى الرغم من ذلك يمكث في القرن: صاحبُ أسلوب **بلا عمود**.

*

«أخطأتم حين راهنتم عليّ».

من يستطيع قولَ مثل هذا الكلام؟ ـ **الله والفاشل**.

*

كلُّ ما ننجزُه، كلُّ ما ينبثق منّا، يطمحُ إلى نسيان أُصوله، ولا ينجح في ذلك إلاّ بالوقوف في وجهنا. من ثَمَّ العلامةُ السلبيّة التي تسم كلّ نجاحاتنا.

*

لا يمكننا أن نقول أيّ شيء عن أيّ شيء. لذلك لن يُوجَدَ حدٌّ لعدد الكتب.

*

يبدو الفشلُ دائمًا جديدًا حتى حين يتكرّر، بينما يخسر النجاح كلّ أهميّة وكلّ جاذبيّة حين يتعدّد. إنّ ما يقودنا إلى الحِدّة والاستهزاء ليس الشقاء، بل هو السعادة، السعادة الوقحة والحقّ يُقال.

*

«العدوُّ لا يقلّ فائدةً عن البوذا». تلك هي الحقيقة. لأنّ عدوّنا يحرسُنا. يمنعنا من أن نستسلم. يُشير إلى أدنى إخفاقاتنا ويكشف عنها فيقودنا مُباشرة إلى خلاصنا. إنّه لا يدّخر جهدًا في سبيل أن

نكون جديرين بالفكرة التي كوّنها عنّا. من ثمّ فإنّ امتناننا له يجب أن يكون بلا حدّ.

*

نستعيد رباطة جأشنا وتزداد رغبتُنا في ذلك بقدر ثورتنا على الكُتُب الناكرة، الهدّامة، وعلى قوّتها المؤذية. إنّها إجمالاً كُتُبٌ مُحَصِّنة، بما أنّها توجِدُ الطاقة التي ترفُضُها. كلّما ازداد سُمُّها ازداد تأثيرُها الشافِي، شرْطَ أن نقرأها في الاتّجاه المعاكس كما يحسُنُ بنا أن نقرأ كلّ كتاب، بدايةً من كتاب تعليم الدين المسيحيّ.

*

أكبرُ خدمة يمكن أن نسديها إلى كاتب، أن نمنعه من العمل لمدّةٍ مُعيّنة. نحتاج في ذلك إلى ديكتاتوريّات قصيرة المدى، تعمل على إيقاف كلّ نشاطٍ ذهنيّ. حريّةُ التعبير ***من دون أيّ انقطاع*** تُعرّض أصحابَ المواهب إلى خطر قاتل. تضطرّهم إلى جهدٍ يستنفد مواردهم ويمنعهم من تخزين الأحاسيس والتجارب. الحريّةُ دون حدود محاولةُ اغتيالٍ للعقل.

*

الرثاءُ للذات أقلّ عُقمًا ممّا نعتقد. ما أن يشعر أحدُنا بأدنى نوبةٍ منه، حتى يتّخذ هيئةَ المُفكّر، فإذا هو ويا للأعجوبة، يفلح في التفكير.

*

قاعدةُ السلوك الرواقيّة التي يجب علينا بمقتضاها أن ننصاع

صامتين للأمور التي لا تتوقّف علينا، لا تأخذ في الحسبان إلاّ المآسي الخارجيّة البعيدة عن إرادتنا. وتلك الناجمةُ عنّا، كيف نتلاءم معها؟ على مَنْ نُلقِي باللائمة إذا كنّا مصدر أدوائنا؟ على أنفُسنا؟ من حسن الحظّ أنّنا نتدبّر الأمر كي ننسى أنّنا المذنبون الحقيقيّون، فضْلاً عن أنّ الوجود لا يمكن احتمالُه إلاّ إذا جدّدنا كلّ يوم هذه الكذبة وهذا النسيان.

*

لعلّي عشتُ حياتي كلَّها دون أن يُفارقني الإحساس بأنّي أُبعِدتُ عن مكاني الحقيقيّ. لو لم يكن لعبارة «المنفى الميتافيزيقي» أيّ معنى، لكان وجودي وحده كافيًا كي يمنحها معنى.

*

كلّما كان أحدُهم مغمورًا بالمواهب قلّ تطوُّرُه على الصعيد الروحيّ. الموهبةُ عقَبةٌ أمام الحياة الباطنيّة.

*

لإنقاذ كلمة «العظمة» من الابتذال، علينا أن لا نستخدمها إلاّ في موضوع الأرق أو الهرطقة.

*

في الهند الكلاسيكيّة كان الحكيم والقدّيس يلتقيان داخل شخص واحد. لتكوين فكرة عن عمل بمثل هذا النجاح، علينا أن نتخيّل انصهارًا بين الإذعان والانتشاء، بين رواقيّ بارد وصوفيّ جامح.

*

الكائنُ مشبوه. ماذا نقول إذنْ عن «الحياة»، وهي انحرافُه ووَصْمَتُه؟

*

حين يُنقَلُ إلينا رأيٌ فينا ليس لصالحنا، فإنّ من الأفضل أن لا نغضب، وأن نفكّر عوضًا عن ذلك في كلّ ما ذَكَرْنا به الآخرينَ من سُوء، وأن نُقِرَّ بأنّ من العدل أن نُذْكَرَ بالسوء نفسِه. المُضحك في الأمر أنّه لا يُوجد شخصٌ يستحقّ الانتقاد أكثر من النمّام، ولا يُوجد شخصٌ أكثر منه سرعةَ انفعالٍ وقلّةَ استعدادٍ للاعتراف بعيوبه. يكفي أن نذكر له أدنى تحفُّظٍ أُبدِي في شأنه، كي يفقدَ رباطةَ جأشِه وتثورَ ثائرتُه ويغرقَ في حقدِه.

*

من الخارجِ، في كلّ عشيرة، في كلّ طائفة، في كلّ حزب، يسودُ الوفاق، ومن الداخل يسود الشقاق. النزاعات في الأديرة لا تقلّ تواتُرًا واحتدامًا عنها في أيّ مجتمع آخر. البشرُ لا يهجرون الجحيم إلاّ لإعادة إنشائه في مكان آخر.

*

يُعاشُ أقلُّ تحوُّلٍ على أنّه تقَدُّم. من حسن الحظّ تُوجَدُ استثناءات.

أُحِبُّ تلك الطائفة اليهوديّة من القرن الثامن عشر، التي كان أعضاؤها ينضمّون إلى المسيحيّة عن إرادةٍ في السقوط. وأُحِبُّ بالدرجة نفسها ذلك الهنديّ من أمريكا الجنوبيّة، الذي اهتدى هو

أيضًا، لكنّه ظلّ يستنكف من أن يصير فريسةً لِلدُّود، عوضًا عن أن يلتهمه أطفاله، ذلك الشرف الذي كان في انتظاره لو أنّه لم يتنكّر لمعتقدات قبيلته.

❋

إنّ من الطبيعيّ أن يكفّ الإنسان عن الاهتمام بالدين وأن يهتمّ بالأديان، لأنّه من خلالها وحدَها يستطيع أن يفهم الروايات المتعدّدة لانهياره الروحيّ.

❋

عند مراجعة مراحل مسيرتنا، يكون من المُذِلّ أن نقف على أنّنا لم نتعرّض إلى النكبات التي نستحقّ، والتي كان يحقّ لنا نطمح إليها.

❋

فكرةُ النهاية وشيكةً كانت أم لا، تُهيّج لدى البعض طاقة الخير أو الشرّ، وتلقي بهم في نشاط محموم. ولأنّهم سُذّجٌ بما يكفي كي يرغبوا في الخلود عن طريق مشروعهم أو عن طريق أعمالهم، فإنّهم يصرّون على إنهائها، على إنجازها: ليس من لحظة نضيعها.

الفكرة نفسُها تدعو آخرين إلى الغرق في **ما الجدوى؟** في بَصيرةٍ راكِدة. في حقائق الكساد التي لا يمكن إنكارُها.

❋

«اللعنة على كلّ من يعمد إلى أعمالي في الطبعات القادمة فيغيّر

أيّ شيء كان، جملةً، أو حتى كلمةً، مقطعًا، حرفًا، علامةَ ترقين!»

من الذي جعل شوبنهاور[1] يتحدّث على هذا النحو: الفيلسوفُ أم الكاتب؟ كِلاهُما معًا. وهذا الاقتران (لنفكّر في الأسلوب المُروِّع لأيّ عمل فلسفيّ) نادرٌ جدًا. لم يكن هيغل ليوجّهَ لعنةً مثل هذه. ولا أيّ فيلسوف آخر من الدرجة الأولى، باستثناء أفلاطون.

*

ليس أكثر إثارةً للغيظ من سخريةٍ بلا ثغرة، بلا انقطاع. سخرية لا تمنحك وقتًا كي تتنفّس فضلاً عن أن تفكّر. وعوضًا عن أن تكون مستترة، ظَرْفِيّة، فإنّها تأتي غليظة، آليّة، على النقيض من طبيعتها المرهفة. هذا هو على كلّ حال استخدامُ الألمانيّ لها، هو، الكائن الأكثر تفكيرًا فيها والأقلّ قدرة على استعمالها.

*

القلق لا يثيره شيء. إنّه يبحث عن تبرير، وللتوصّل إلى ذلك يستخدم أيَّ شيء، أوهَى تعلّةٍ يتعلّق بها بعد أن يكون قد اخترعها. إنّه حقيقة في ذاته، سابقٌ على تعبيراته الخاصّة، سابقٌ على تنويعاته، يثير نفسه، يُنجِبُها. إنّه «خَلْقٌ لا مُتناهٍ»، وهو بذلك أقدر على التذكير بتصرّفات الألوهيّة منه على التذكير بتصرّفات الروح.

*

---

(1) **آرثر شوبنهاور** (Arthur Schopenhauer): فيلسوف ألماني (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠) معروف بنزعته التشاؤميّة، من أعماله: «العالم فكرة وإرادة».

حزنٌ آليّ: روبوط رثائيّ.

*

أمام القبر تفرض نفسها هذه الكلمات: لعب، خديعة، مزحة، حلم. يستحيل أنّ نفكّر في أنّ وجودنا ظاهرة جديّة. ثمّت يقين في أن هناك عمليّة غشّ منذ البداية، في الأساس. يجدر بنا أن نكتب على واجهات المقابر: «لا شيء مأساويّ، كلّ شيء وهميّ».

*

لن أنسى بسهولة ملامح الهلع التي علت وجهه، التكشير، الذعر، اللا عزاء الأقصى، والعدوانيّة. لم يكن راضيًا، كلاّ. لم أر أحدًا بمثل ذلك الإحساس بالضيق في تابوته.

*

لا تنظر إلى الأمام ولا إلى الخلف، انظر في ذاتك بلا خوف ولا حسرة. لن يغوص أحد في ذاته ما دام عَبْدَ الماضي أو المستقبل.

*

ليس من اللياقة أن نعيبَ على أحدٍ عُقمَه، حين يكون مُسَلَّمًا به، حين يكون طريقتَه في تحقيق ذاته، حين يكون حُلمَه...

*

الليالي التي نمنا فيها كأنّها لم تكن. لا ترسخ في الذاكرة إلاّ الليالي التي لم نُغمض فيها جَفْنًا: الليلة في نظرنا هي الليلة البيضاء.

*

حوّلتُ مشاكلي العمليّة إلى مشاكل نظريّة للتخلّص من ضرورة حلّها. أنا ذا أتنفّسُ أخيرًا...في مواجهة ما لا حلّ له.

*

سألني أحد الطلبة عن موقفي من مُؤلّفِ زرادشت[١] فأجبتُ بأنّي كففتُ عن التعامُل معه منذ مدّة طويلة. سألني: لماذا؟ ـ لأنّي أجده أكثر سذاجة ممّا يجب.

أعيبُ عليه تسرُّعه وتحمُّسه وأنّه لم يدمّر أصنامًا إلاّ لاستبدالها بأُخرى. إنّه مُحطّم أوثان زائف لا يخلو من ملامح المراهق، ومن بكارةٍ مَا وبراءةٍ ما تلازمان مسيرته كمُتوَحّد. هو لم يدرس البشر إلاّ عن بعد. لو راقبهم عن كثب لما أمكنه إطلاقًا أن يتصوّر ولا أن يمتدح الإنسان الأعلى، تلك الرؤية الشاذّة المُضحكة كي لا نقول المثيرة للاستهزاء. إنّها وَهْمٌ أو نزوة لا يمكن أن تظهر إلاّ في عقل شخصٍ لم يجد الوقت كي يكبر، كي يعرف الزهد والسأَمَ الطويل الهادئ.

ماركوس أوريليوس[٢] أقرب إليّ منه بكثير. لا تَردُّدَ من ناحيتي بين غنائيّة الجُموح ونثر القناعة: أجد من الراحة وحتى من الرجاء لدى إمبراطور مُنهَك أكثر ممّا أجده لدى نبيٍّ خاطف.

---

(١) **زرادشت** (Zarathoustra): إشارة إلى كتاب «هكذا تكلّم زرادشت» الذي أصدره نيتشه بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥، وصدرت له مؤخّرا صيغة عربيّة محيّنة ومدقّقة لعلي مصباح. دار الجمل (٢٠١٣).

(٢) **ماركوس أوريليوس** (Marc Aurèle): الإمبراطور الروماني السادس عشر (١٢١ ـ ١٨٠) وأحد رموز الفلسفة الرواقية.

VI

أحبّ تلك الفكرة الهندوسيّة التي يتسنّى لنا اعتمادًا عليها أن نعهد بخلاصنا إلى طرَفٍ آخر، الأفضل أن يكون «قدّيسًا»، وأن نسمح له بالصلاة عوضًا عنّا، بالقيام بأيّ شيء في سبيل نجاتنا. ذاك هو بيع الروح لِله...

❊

«هل تحتاج الموهبة إلى العواطف؟ أجل، إلى الكثير من العواطف المقموعة» (جوبير)[١].

ليس من كاتبٍ أخلاقيٍّ واحد نعجز عن تحويله إلى سلَفٍ لفرويد[٢].

❊

يدهشنا دائمًا أن نرى الصوفيّين الكبار قد أنتجوا بهذا القدر

---

(١) **جوزيف جوبير** (Joseph Joubert): كاتب فرنسيّ (١٧٥٤ ـ ١٨٢٤)، صدر له أوّل كتاب بعد وفاته بإشراف شاتوبريان، الذي اشتغل جوبير سكرتيرًا له لفترة طويلة.

(٢) **سيغموند فرويد** (Sigmund Freud): طبيب نمساوي (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) مؤسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.

وتركوا عددًا بهذه الأهميّة من البحوث. لا شكّ أنّهم كانوا يعتقدون الاحتفاء فيها بالله وحده. هذا صحيح جزئيًا، جزئيًا فحسب.

نحن لا نبدع أثرًا دون أن نتعلّق به ودون أن نصير عبيدًا له. الكتابة هي العمل الأقلّ نُسكيّةً من أيّ عمل كان.

*

كلّما أطلتُ السهر ليلاً زارتني روحي الشرّيرة، كما حدث لبروتوس[1]، الذي زارته روحُهُ الشرّيرة قبل معركة فيليبو.

*

«هل لديَّ سحْنةُ شخصٍ يجب عليه أن يفعل شيئًا ما في هذه الدنيا؟» تلك هي العبارة التي أودّ الردّ بها على كلّ الفضوليّين الذين يسألونني عن نشاطاتي.

*

قِيلَ إنّ الاستعارة «ينبغي أن تكون قابلةً لأن تُرسَم». ـ إلاّ أنّ كلَّ ما أُنجِز من طريفٍ وحَيٍّ في الأدب منذ قرن يُناقض هذه الملاحظة. والدليل أنْ لا شيء مات مثل الاستعارة ذات الحدود الواضحة، الاستعارة «المتماسكة»، تلك التي لم يكفّ الشعر عن التمرّد عليها، حتى بات الشعر الميت يعني الشعر المُصاب بالتماسُك.

*

---

(١) **ماركوس جونيوس بروتوس** (Marcus Junius Brutus): فيلسوف وقائد رومانيّ (٨٥ ـ ٤٢ق.م)، شارك في اغتيال يوليوس قيصر وكانت هزيمته في معركة فيليبو (La bataille de pilippes) وهي إحدى مُدن مقدونيا، (٤٢ق.م) إعلانًا عن انهيار جمهوريّة روما.

عند استماعي إلى نشرة الأحوال الجويّة أثّرت فيّ بشدّةٍ عبارةُ «أمطار متفرّقة». ممّا يُبرهن بوضوح على أنّ الشعر فينا وليس في العبارة. وإن كانت كلمة «متفرّقة» نعتًا قادرًا على إحداث بعض الاهتزاز.

❊

ما أن أُعبّر عن أحد الشكوك وبعبارة أدقّ: ما أن أشعر بالحاجة إلى التعبير عن أحدها حتى أحسّ براحة غريبةٍ مُخيفة. سيكون أسهل عليّ بكثيرٍ أن أعيش دون ذرّةٍ من إيمان من أن أعيش دون ذرّةٍ من الشكّ. الشكّ المدمّر، المغذّي.

❊

لا وُجودَ لإحساسٍ كاذب.

❊

الدخول في الذات. الانتباه فيها إلى صمتٍ لا يقل قدامةً عن الكائن، بل لعلّه أقدم.

❊

نحن لا نرغب في الموت إلاّ عند إحساسنا الغامض بالضيق. نحن نهرب منه عند أوّل إحساسٍ بالضيق واضحِ المعالم.

❊

إذا كنتُ أكره البشر فإنّي لن أجد السهولة نفسها في القول بأنّي أكره ***الكائن*** البشريّ، والسبب أنّ في كلمة ***الكائن*** على الرغم من

كلّ شيء، شيئًا مُصْمَتًا، شيئًا مُلغِزًا وجذّابًا، وهي صفات لا علاقةَ لها بفكرة البشَر.

*

في الدامابادا[1] يُنْصَحُ كلّ من يريد الحصول على الخلاص بأن يهزّ السلسلة المزدوجة للخير والشرّ. نحنُ أكثر تخلُّفًا روحيًّا من أن نسلّم بفكرة أن يكون الخير نفسُهُ قيدًا. من ثمّ لن يتمّ تخليصنا.

*

كلّ شيء يدور حول الألم. الباقي تكميليّ، بل غير موجود بما أنّنا لا نتذكّر إلاّ ما يُؤلم. ولمّا كانت الأحاسيسُ المؤلمة وحدَها الحقيقيّة، فإنّ من غير المجدي تقريبًا أن نشعر بغيرها.

*

أعتقد مع ذلك المجنون كالفين[2] أنّنا مُعَدُّون للخلاص أو الهلاك الأبديّ ونحن في بطون أمّهاتنا، أنّنا عشنا حياتنا قبل أن نُولَد.

*

الحُرُّ هو من تبيَّنَ بُطلانَ كلّ وجهات النظر، والمُتحرّرُ هو من استخلص العبرة من ذلك.

*

(١) كتاب **الدامابادا** (Le Dhammapada): أحد النصوص الأساسيّة للبوذيّة، ومن أشهر صيغه الصيغة المكتوبة بلغة **البالي**.

(٢) **جون كالفين** (Jean Calvin): مُصلح ديني ولاهوتي فرنسي (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) مؤسّس المذهب الكالفينيّ القائم على مبدأ «النداء».

ما من قداسةٍ دون ميلٍ إلى الفضيحة. لا يصحّ هذا بالنسبة إلى القدّيسين فحسب. كلّ من يكشف عن نفسه بأيّ طريقة كانت، يؤكّد أنّه يملك قدرًا يزيد أو ينقص من الميل إلى الاستفزاز.

*

أشعر بأنّي حرّ لكنّي ***أعرف*** أنّي لست كذلك.

*

حذفتُ من قاموسي كلمةً بعد أخرى. خلّفت المجزرةُ ناجيًا وحيدًا: كلمة **وحدة**. استيقظتُ موفور الرضى.

*

لئن استطعتُ أن أصمُدَ حتى الآن، فلأنّ كلّ انهيارٍ أستبشعُه يتلوه ثانٍ أكثر بشاعة، ثمّ ثالث، وهكذا دواليك. لو كنت في الجحيم لوددت أن تتعدّد حلقاته كي أستطيع توقُّع محنة جديدة أغنى من السابقة. فلسفة مفيدة على الأقلّ في مجال العذاب.

*

أيَّ شيء تُخاطبُ الموسيقى فينا؟ من الصعب أن نعرف ذلك. لكنّ الأكيد أنّ المنطقة التي تلمسُها تبلُغ من العمق حدًّا أنّ الجنون نفسه يعجز عن دخولها.

*

كان ينبغي أن نُعفَى من سَحْبِ الجسد. عبءُ ***الأنا*** كان كافيًا.

*

النومُ لمدّة عدّة دورات فلكيّة سيكون مُرَحَّبًا به إذا أردتُ أن أستطيب بعض الأشياء من جديد، إذا أردتُ أن أستعيد ***الروح***.

*

لم أستطع قطّ أن أفهم ذلك الصديق الذي حدّثني بعد أن عاد من لابونيا[١]، عن الإحساس بالضيق الذي يشعر به المرء حين لا يرى أثرًا لبشرٍ طيلة أيّام وأيّام.

*

فاشلٌ ينتصب منظّرًا للزهد، مُصابٌ بالاختلاج يلعب دور الارتيابيّ.

*

جنازة في قرية نورمانديّة. سألتُ عن التفاصيل قَرَويًّا كان يراقب الموكب من بعيد. «لم يتخطَّ الشباب بعد، بالكاد بلغ الستّين، وجدوه ميتًا في الحقول. ماذا تريد؟ هكذا هو الأمر... هكذا هو الأمر... هكذا هو الأمر...»

هذه اللازمة التي بدت لي مضحكة في حينها ظلّت تلاحقني بعد ذلك. لم يكن ذلك الرجل الطيّب يدرك أنّه كان يقول في الموت كلّ ما يمكننا قوله وكلّ ما نعرفه عنه.

*

---

(١) **لابونيا** (Laponie): منطقة أوروبية على الحدود الشمالية للسويد والنورويج وفنلندة.

أحبُّ أن أقرأ كما يقرأ حارسُ عمارة: أن أتماهى بالكاتب والكتاب. كلُّ سلوك آخر يذكّرني بمُقَطّع الجثث.

*

ما أن يؤمن أحدُهم بأيّ مُعتَقَد حتى نحسده في البداية، ثمّ نرثي لحاله، ثمّ ننتهي إلى احتقاره.

*

لم يكن لدينا ما نقول، وفيما كنت أتفوّه بكلمات لا فائدة منها، كنت أشعر بأنّ الأرض تغرق في الفضاء، وأنّي أتدحرج معها بسرعة تُصيبني بالدوار.

*

سنوات وسنوات للاستيقاظ من ذلك النوم الذي يسترخي فيه الآخرون، ثمّ سنوات وسنوات للفرار من تلك اليقظة...

*

حين يكون عليّ أن أنجح في مهمّةٍ أخذتُها على عاتقي من مُنطلق الضرورة أو الرغبة، فإنّي ما أن أشرع في إنجازها، حتى يبدو لي كلُّ شيء مهمًّا جذّابًا، عَداهَا.

*

التفكير في الذين يوشكون على الموت، الذين يعرفون أنّ الزمن أُلغي بالنسبة إليهم، باستثناء الزمن الذي تجري فيه فكرة نهايتهم. التوجّه إلى هذا الزمن. الكتابة ***للمُصارِعين***...

*

الفراغُ الذي ينتجُ عن تَآكُلِ كيانِنا بِفِعْلِ عاهاتِنا يملأُه حُضور الوعي. ماذا أقول؟ هذا الفراغ هو الوعي نفسُه.

❊

نتفتَّتُ أخلاقيًّا حين نُقيمُ في مكانٍ أجمل ممّا ينبغي. تذوب الأنا عند احتكاكها بالفردوس.

ليس من شكٍّ في أنّ الإنسان الأوّل فضَّل الخيار الذي نعرفه تجنبًّا لهذا الخطر.

❊

في آخر التحليل، يُوجد من الإثبات أكثر ممّا يُوجدُ من الإنكار ـ على الأقلّ حتى الآن. فلنُنْكِر إذَنْ بلا نَدم. ستظلّ المُعتقدات دائمًا أثقل وزنًا.

❊

ماهيّةُ الأثر الأدبيّ هي المستحيل ـ أي ما لم نستطع بلوغه وما لم يكن ممكنًا أن نُمنَح: إنّها حصيلة كلّ الأشياء التي مُنِعت عنّا.

❊

ما حصل لغوغول[1] حين ذهب إلى الناصرة بحثًا عن «التجدُّد» فأحسّ هناك بالضجر وكأنّه «في محطّة قطار روسيّة»، ذاك ما يحصل لنا جميعًا حين نبحث خارجنا عمّا لا وجود له إلاّ داخلَنا.

❊

---

(١) **نيقولاي غوغول** (Gogol): أحد آباء الأدب الروسي (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢) من أعماله قصّة «المعطف» ومسرحية «المفتش العامّ». وفي الشذرة إشارة إلى انطباعاته بعد زيارة إلى مدينة الناصرة.

أن تقتل نفسَك لأنّك ما أنت عليه، نعم، لكن ليس لأنّ البشريّة كلّها تبصُق في وجهك.

❋

لماذا نخشى العدم الذي ينتظرنا في حين أنّه لا يختلف عن العدم الذي يسبقنا؟

هذه الحجّة التي رفعها القدامى ضدّ الموت لم تعد مقبولة كعزاء. كان من حظّنا أنّنا غير موجودين ***من قبل*** أمّا الآن فنحن موجودون، وهذا الجزء الصغير من الوجود أي من سوء الحظّ هو الذي يخشى الغياب. عبارة الجزء ليست دقيقة، بما أنّ كلّ جزءٍ يرى نفسه أفضل من الكون أو على الأقل ندًّا له.

❋

ما أن نتبيّن الوهميّة في كلّ شيء حتى نُصبح نحن أيضًا وهميّين، ونشرع في الحياة بعدَنا مهما كانت قوّة حيويّتنا وعجرفة غرائزنا. إلاّ أنّها لم تعد غير غرائز زائفة وحيويّة كاذبة.

❋

إذا كان مكتوبًا لك أن تستسلم للقلق فلا شيء سيمنعك من ذلك: سيدفعك إليه أتفه الأمور بقدر ما يدفعك إليه أكبر الهموم. أَذْعِنْ للانتظار المملّ في كلّ مناسبة: هكذا هو نصيبُك.

❋

أن تعيش يعني أن تتقهقر.

❋

الغريب أن كثيرين وكثيرين ***نجحوا*** في الموت.

*

من الصعب أن لا نحمل على أولئك الذين يكتبون لنا رسائل مُؤثِّرة.

*

في أحد أقاليم الهند النائية يُفسَّرُ كلُّ شيء عن طريق الأحلام، والأهمّ من ذلك أنّ الأحلام تُستخدم لعلاج الأمراض. هكذا على حدّ قولهم كانت تُدار الأعمال اليوميّة أو الرئيسيّة. إلى أن وصل الانجليز. قال أحدُ السُّكّان: منذ وصولهم لم نعد نحلم.

يكمن دون شكٍّ مبدأٌ شيطانيّ في ما نتّفق على تسميته «حضارة»، مبدأٌ شيطانيّ لم ينتبه إليه وعي البشر إلاّ بعد فوات الأوان، بعد أن بات من المستحيل أن نواجهه.

*

وُضوحُ الرؤية يؤدّي إلى الكساد إذا لم يُعَدِّلْهُ الطُّموح. يجب أن يعتمد أحدهما على الآخر وأن يحارب أحدهما الآخر دون أن ينتصر عليه، كي يُصبح الأثر ممكنا، كي تُصبح الحياة ممكنة.

*

ليس في وسعنا أن نغفر لمن نُعْجَبُ بهم، بل إنّنا نتحرّقُ إلى قطع الصلة بهم وإلى تحطيم ألطف قيدٍ موجود: قيد الإعجاب... لا من باب الوقاحة بل توقًا إلى العثور على أنفسنا، إلى التحرّر،

إلى أن نكون ذاتنا. نحن لا ننجح في ذلك إلاّ عن طريق ممارسة الظلم.

❋

ما كان لمشكل المسؤوليّة أن يصبح ذا معنى إلاّ في حالةٍ واحدة: لو استُشِرنا قبل أن نُولَد ووافقْنا على أن نكون تحديدًا ما هو نحن.

❋

ما انفكّ ***تعبي من الحياة***[1] يُربِكُني بطاقَتِه وحِدَّتِه. كلُّ هذه الحيويّة في شَرٍّ بهذا الضعف. أنا مدينٌ لهذه المُفارقة بعجزي عن اختيار ساعتي الأخيرة.

❋

بالنسبة إلى أفعالنا، وببساطة، بالنسبة إلى حيويّتنا، الطموحُ إلى وُضوح الرؤية لا يقلّ وبالاً عن وضوح الرؤية نفسه.

❋

الأبناءُ ينقلبون ويجب أن ينقلبوا على الآباء، وليس للآباء حيلة في ذلك لأنّهم خاضعون لقانونٍ يحكم علاقات الأحياء بشكل عامّ، ويتمثّل في أنّ كُلاًّ يُنجب عَدُوَّه.

❋

عَلَّمُونا أن نتشبّث بالأشياء إلى حدّ أنّنا حين نريد أن نتخلّص

(١) **التبديوم فيتايي** (Taedium vitae): التعب من الحياة، أو السأم من الحياة.

منها لا نعرف كيف نفعل. ولولا أنّ الموت يأتي لمساعدتنا، لظلّ إصرارُنا على البقاء يتيح لنا العثور على صِيغةٍ للوُجود من الناحية الأخرى للبِلَى، من الناحية الأخرى للخَرَفِ نفسِه.

*

كلّ شيء يُفهَم بشكل رائعٍ ما أن نسلِّم بأنّ الولادة حادثةٌ مشؤومة أو على الأقلّ في غير أوانها. أمّا إذا كنّا على رأي آخر فإنّ علينا أن نصبر على ما هو غير مفهوم، أو أن نغشّ كالجميع.

*

جاء في كتابٍ غُنوصيّ من القرن الثاني: «صلاةُ الإنسان الحزين لن تملك أبدًا القدرة على الصعود إلى الله».

... لمّا كنّا لا نصلّي إلاّ عند الوهن فإنّ في وسعنا أن نستنتج أن لا صلاة بلغت غايتها، على الإطلاق.

*

كان فوق الجميع ولم يكن ذلك ذنبه. كلّ ما في الأمر أنّه **نسي** أن يرغب.

*

في الصين القديمة كان في وسع النساء حين يتملّكهنّ الغضب أو الحزن أن يصعدن على مصطبات نُصبت لهنّ خصّيصًا في الشارع، وأن يُطلقن العنان لغضبهنّ أو تفجُّعهنّ. ينبغي أن يُعاد إحياء هذا الضرب من كرسيّ الاعتراف وأن يتمّ تبنّيه في كلّ مكان،

ولو من أجل تعويض كرسيّ الكنيسة الذي عفّى عليه الزمن، أو الآخر عديم الفائدة في هذه العيادة أو تلك.

❋

هذا الفيلسوف ينقصه تسلسُل الأفكار، أو كي نساير الرطانة، ينقصه «الشكل الداخليّ». إنّه أكثر تصنُّعًا من أن يكون حيًّا أو حتى «حقيقيًّا». إنّه دميةٌ مريعة. يا للسعادة وأنا أعلم أنّي لن أفتح كُتُبَهُ من جديد أبدًا!

❋

لا أحد يَجهَرُ بأنّه على ما يُرام وأنّه حرّ، في حين أنّ ذاك هو ما ينبغي أن يفعله كلّ من يتمتّع بهذه النعمة المزدوجة. لا شيء يشي بنا أكثر من عجزنا عن الصراخ بحظوظنا.

❋

أن أكون فشلتُ دائمًا في كلّ شيء، حبًّا في القُنوط.

❋

الطريقة الوحيدة التي تتيح للمرء حمايةَ عُزلته تتمثّل في أن يجرح الجميع، بادئًا بالذين يحبّهم.

❋

الكتابُ انتحارٌ مُرجَأ.

❋

مهما قيل فإنّ الموتَ يظلّ أفضل ما اهتدت إليه الطبيعة لإرضاء

الجميع. مع كُلٍّ منّا يتلاشي كلّ شيء، يكفُّ كلّ شيء عن الوجود إلى الأبد. يا لها من ميزة، يا له من تعسُّف. نتصرّفُ في الكون دون أن نبذل أيَّ جهد، نسحبه معنا في غيابنا. حقًّا، إنّ الموت عملٌ لا أخلاقيّ.

VII

إذا كانت مِحَنُك تدفعك إلى الانهيار وتُفسِد مزاجك عوضًا عن أن تبسطك وترتقي بك إلى حالة من النشوة المنشّطة، فاعلم أنّك لست صاحب موهبة روحانيّة.

*

اعتدنا أن نعيش في حالة انتظارٍ مراهنين على المستقبل أو على صورة زائفة للمستقبل، إلى درجة أنّنا لم نتصوّر فكرة الخُلود إلاّ بسبب حاجتنا إلى الانتظار ***طيلةَ الأبد***.

*

كلُّ صداقة هي مأساةٌ غير ظاهرة، سلسلةٌ من الجراح غير المرئيّة.

*

لوحة ***لوثر مَيْتًا***[1] بإمضاء لوكاس فورتناجيل. قناعٌ مرعبٌ

---

(١) **مارتن لوثر** (Martin Luther): رجل دين ولاهوتي ألمانيّ (١٤٨٣ ـ ١٥٨٦) رفض العمل بصكوك الغفران وأطلق عصر الإصلاح الأوروبيّ. **ولوكاس فورتناجيل** (Lucas Fortnagel): الرسام الذي خلّد صورة مارتن لوثر ميتًا، بشكل لا ينفي رواية انتحاره شنقًا على الرغم من محتولات إنكارها.

عدوانيٌّ سُوقيٌّ لخنزير رائع... يُصوِّرُ بإتقان ملامح ذاك الذي لن نفيه حقّه من المديح لقوله: «الأحلام كاذبة، وحدَهُ خُرْؤُنا في الفراش حقيقيٌّ».

*

كلّما عشنا أكثر اكتشفنا أنّه لم يكن من المجدي أن نعيش.

*

في العشرين من عمري، كلّ تلك الليالي التي قضيتها مطلاً على الظلمة، وجبيني إلى بلّور النافذة...

*

لم يحْظَ أيُّ مُستبدٍّ بسلطانٍ يمكن مُقارنتُهُ بذلك الذي يتمتّع به أيّ شخصٍ بائس يفكّر في قتل نفسِه.

*

تربيةُ النفس على عدَمِ تَرْكِ أثَرٍ هي حربٌ على الذات في كلّ لحظة، غايتها الوحيدة برهنةُ المرءِ لنفسِه على أنّه يستطيع، لو تعلّقت همَّتُه بذلك، أن يُصبح حكيمًا.

*

وُجُودُنا، هو وضعٌ لا يمكنُ تصوُّرُه بقدرِ ما لا يمكن تصوُّرُ نقيضه. ماذا أقول؟ بل إنّ إمكانيّة تصوّره أقلّ من إمكانيّة تصوّر نقيضه.

*

في العصور القديمة كانت «الكُتُب» أغلى من أن يُتاح تجميعها، إلاّ آذا كان المرءُ مِلِكًا أو طاغيةً أو... أرسطو[1]، أوّل من امتلك مكتبةً جديرة بهذا الاسم.

وثيقة إدانةٍ أخرى تُضاف إلى ملّف هذا الفيلسوف المشؤوم بما فيه الكفاية ومن أكثر من ناحية.

*

لو امتثلتُ إلى قناعاتي الأكثر حميميّة لكففتُ عن الفعل وعن ردّ الفعل بأيّ طريقة كانت. إلاّ أنّي ما زلت قادرًا على ***الأحاسيس***...

*

يجذبنا الوحش بشكلٍ خفيّ، يُطاردنا، يسكننا، مهما كانت بشاعته. إنّه يمثّل ميزاتنا وعاهاتنا وقد ضُخّمت. إنّه يُعلن ***عنّا***. إنّه حامل رايتنا.

*

على مرّ القرون، أكبَّ الإنسان على الإيمان، منتقلاً من دوغما إلى دوغما، من وهم إلى وهم، مخصّصًا وقتًا قليلاً جدًّا للشكوك، تلك المسافات القصيرة الفاصلة بين فترات العَمَى. والحقّ أنّها لم تكن شكوكًا بقدر ما كانت وقفات، فترات للراحة ناتجة عن تعبِ الإيمان، كُلّ إيمان.

*

(١) أرسطو: الفيلسوف اليوناني المعروف (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) وقد صدر سنة ١٩٥٧ كتاب من تأليف Herman Jean De Vleeschauwer بعنوان «أوديسّة مكتبة أرسطو وتأثيراتها الفلسفية».

البراءة هي الوضع المثاليّ ولعلّها الوضع الوحيد الذي يستحقّ صفة المثاليّة. ولا يمكن أن نفهم كيفَ يستطيع من يتمتّع بمثل هذا الوضع أن يرغب في الخروج منه. وعلى الرغم من ذلك فإنّ التاريخ منذ بداياته إلى اليوم ليس سوى ذلك ولا شيء سوى ذلك.

❊

أُغلِقُ الستائر وأنتظر. في الواقع أنا لا أنتظر شيئًا، انا ***أغيبُ*** فحسب. أتطهّرُ ولو لبضع دقائق من الشوائب التي تلوّث العقل وتزحمه، مرتقيًا إلى وعيٍ أُخْلِيَ من الأنا، وهكذا إِذَا أنا هادئٌ وكأنّي أستريح خارج الكون.

❊

أثناء طقس طرد الأرواح الشرّيرة في العصور الوسطى، كانوا يعدّدون كلّ أطراف الجسد التي على الشيطان أن يخرج منها، بما في ذلك أقلّها شأنًا: لكأنّها رسالةٌ مجنونة في علم التشريح تخلب الألباب بإفراطها في الدقّة وبإسرافها في التفاصيل واللا مُتَوَقَّع. تعويذة دقيقة. ***اُخرج من الأظافر!*** هذا غير معقول لكنّه لا يخلو من تأثير شعريّ. لأنّ الشعر الحقيقيّ ليس له أيّ شيء مشترك مع «الشعر».

❊

في كلّ أحلامنا، حتى تلك التي تعود بنا إلى الطوفان، يحضر دائمًا وبلا استثناء ولو لمدّةِ جزء من ثانية شيءٌ من الأحداث الصغيرة التي شهدناها البارحة. هذا الانتظام الذي لم أكفّ عن

التأكُّد منه طيلة سنوات هو الثابت الوحيد، القانون الوحيد أو شبه القانون الذي أتيح لي أن ألاحظه في تلك الفوضى الليليّة التي لا تُصدّق.

*

للمُحادثة قدرةٌ هائلة على الهدْم. من ثمّ نفهم لماذا يحتاج التأمُّل والعمل إلى الصمت.

*

اليقين بأنّي لست سوى حادثة عَرَضيّة رافقني في كلّ الظروف، المؤاتية أو المعاكسة. وإذا كان قد حماني من غواية الاعتقاد بأنّي ضروريّ، فإنه في المُقابل لم يستطع شفائي تمامًا من بعض الزّهوِ الملازم لفقدان الأوهام.

*

نادرًا ما نعثر على صاحبِ عقْلٍ حُرّ. وما أن نلاقي أحدهم حتى نلاحظ أنّ أفضل ما فيه لا يتجلّى في أعماله (الكتابة تُحمّلنا قيودًا بشكل غامض)، بل يتجلّى في ما يسِرُّ بِهِ حين يتخلّص من قناعاته أو وضعيّاته المُفتعلة بقدْرِ ما يتخلّص من اهتمامه بالصرامة العلميّة أو المظهر المشرّف، فإذا هو يعرضُ كلّ نقاط ضعفه. أي حين يبدو هرطوقيًا بالنسبة إلى نفسه.

*

إذا لم يكن الغريبُ خلاّقًا في مجال اللغة فلأنّه يريد أن يجيدها

مثل السكّان الأصليّين. وسواءٌ نجح في ذلك أم لم ينجح فإنّ في طموحه ذاك هلاكُه.

❊

أبدأُ كتابةَ رسالةٍ ثمّ أُعيد بدايتها عاجزًا عن التقدّم، متخبّطًا: ماذا أقول وكيف؟ أنسى حتى إلى من هي مُوجّهة. لا شيء يعثر فورًا على النبرة المطلوبة إلاّ العاطفة الجارفة أو المصلحة. المؤسف أنّ اللامُبالاة هي عدَمُ اكتراثٍ باللغة وعدَمُ إحساسٍ بالكلمات. في حين أنّنا ما أن نفقد صلتنا بالكلمات حتى نفقد صلتنا بالكائنات.

❊

مَرَّ كُلٌّ منّا في فترةٍ مَا بتجربة خارقة، تظلُّ بالنسبة إليه وبسبب الذكرى التي يحفظها عنها، العقبةَ الرئيسيّة أمام تحوُّلِهِ الباطنيّ.

❊

لا أعرف السكينة إلاّ حين تنام طُموحاتي. ما إن تستيقظ حتى يُعاودني القلق. الحياةُ حالةُ طُموح. الخُلْدُ وهو يحفر أنفاقه لا يخلو من طموح. حقًّا، الطموح منتشرٌ في كلّ مكان، وها نحن نرى آثاره حتى على وجوه الموتى.

❊

الذهاب إلى الهند بسبب الفيدانتا[١] أو البوذيّة[٢] شبيه بالمجيء

---

(١) **الفيدانتا (Védanta)**: فلسفة هندوسيّة تعنى بتحقيق الذات، وتُطلَق العبارة أيضًا على الشخص المتمكّن من نصوص الفيدا الأربعة.

(٢) انظر الصفحة ٨ الملاحظة ١.

إلى فرنسا بسبب الجانسينيّة[1]، وإن كانت هذه الأخيرة أحدث، بما أنّها لم تندثر إلاّ منذ ثلاثة قرون.

*

لا وجود لأيّ ذرّة من الواقع في أيّ مكان، إلاّ في أحاسيسي باللا واقع.

*

لو كففنا عن إيلاء الأهميّة لما هو غير مهمّ، لأصبح الوُجود عملاً غير قابلٍ للتطبيق على الإطلاق.

*

لماذا تُعْلِي الغِيتا[2] من شأن «التخلّي عن ثمرة الأفعال»؟

لأنّ هذا التخلّي نادر، غير قابلٍ للتطبيق، مناقض لطبيعتنا، ولأنّ الوصول إليه يعني تدميرَ كينونتنا السابقة والراهنة، قَتْلَ ما فينا من الماضي برمّته، إلغاءَ عمَلِ آلاف السنين، وبعبارة واحدة، تَحرُّرَنا من النوع، تَحرُّرَنا من هذه النفاية المُقرفة السحيقة.

*

كان ينبغي الاكتفاءُ بوضع اليرَقة، الاستغناءُ عن التطوُّر، البقاءُ

---

(١) **الجانسينيّة** (Jansénisme): حركة دينيّة سياسيّة ظهرت في فرنسا على يد الأسقف كورنيليوس جانسن، بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، ضدّ استبداد الملكيّة والبابويّة.

(٢) **البهاغافاد غيتا** (Bhagavad Gitā): نصّ محوريّ في المهابهاراتا أكثر النصوص الهندوسية المقدسة شهرة وتشكل جوهر الديانة الهندوسية الحديثة.

في حالة غير اكتمال، التنعُّمُ بقيلولة العناصر، والفناءُ في نشوةٍ جنينيّة.

*

الحقيقةُ تكمنُ في المأساة الفرديّة. حين أتعذّب حقًّا فإنّي أتعذّب أكثر بكثيرٍ من فردٍ، وأتخطّى دائرة أناي، ملتحقًا بماهيّة الآخرين. الطريقة الوحيدة للاقتراب من الكونيّة تتمثّل في اهتمامنا فقط بما يعنينا.

*

عندما نكون *ثابتين* على الشكّ، فإنّنا نشعر بمتعة في الحديث عنه، أكبر من تلك التي نشعر بها في ممارسته.

*

إذا أردنا معرفة بلادٍ فإنّ علينا أن نُخالِطَ كُتّابَهَا من ذوي الدرجة الثانية، الذين يعكسون وحدَهم طبيعتَها الحقيقيّة. الآخرون يشجُبون أو يُجمِّلون تفاهةَ مُعاصريهم: هم لا يريدون ولا يستطيعون الوقوف على مستوًى واحد معهم. إنّهم شهودٌ مشكوكٌ فيهم.

*

في شبابي كان يحدُثُ لي أن لا أُغمض عينًا طيلة أسابيع. كنت أعيش في ما لم يُعَشْ على الإطلاق. كنتُ أشعر بأنّ زمن الديمومة بلحظاتهِ كُلّها تَجمَّعَ فِيَّ وتَركّز، وهناك أخذَ يبلغُ أَوْجَهُ وهناك أخذ ينتصر. كنتُ أجعلهُ يتقدّم طبعًا. كنتُ داعِيَتَهُ وحَمّالَهُ، عِلّتَهُ وماهيّتَهُ، وكنتُ أُساهم في مجده كعميلٍ وكشريك. ما أن يذهب

النوم حتى يُصبح الخارقُ يوميًا، سهلاً: ندخُله دون استعدادات، فنقيم فيه، ونتهالك عليه.

*

يا لَعَددِ الساعات الهائل الذي أهدرتُهُ في التساؤُل عن معنى كلّ ما هو كائن، وكلّ ما يحدث لي... لكنّ هذا الكُلّ خالٍ من أيّ معنى. والعقول الجديّةُ تعرف ذلك، من ثمّ هي تصرف وقتها وطاقتها في مهمّاتٍ أكثر فائدة.

*

قرابَتِي من البايرونيّة الروسيّة[1]، من بيتشورين إلى ستافروغين[2]، ضجَرِي وشغفي بالضجر.

*

فلان الذي لا يروقني كثيرًا، كان يحكي حكايةً غبيّة إلى حدّ أنّي استيقظت مذعورًا. من الصعب على الذين لا نحبّهم أن يتألّقوا في أحلامنا.

*

---

(١) **البايرونيّة الروسيّة**: يشير سيوران هنا إلى أعمال روسية تأثّرت بالبايرونية، نسبة إلى اللورد بايرون الشاعر البريطاني (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤) رائد الرومنسيّة واحد أكبر شعراء اللغة الإنجليزيّة.

(٢) **بيتشورين** (Pétchorine): الشخصية الرئيسيّة في رواية «بطل من هذا الزمان» للشاعر والكاتب الروسي ليرمنتوف (Michel Lermontov) (١٨١٤ ـ ١٨٤١). ـ **ستافروغين** (Stavrogine): إحدى الشخصيات الرئيسيّة في رواية «الممسوسون» للروائي الروسيّ دوستويفسكي (١٨٢١ ـ ١٨٨١).

يبدو الشيوخ لقلّة مشاغلهم، وكأنّهم يريدون حلّ شيءٍ شديد التعقيد لا أحد يعرف كُنهه، مُكرّسين له كلّ ما تبقّى لهم من قدرات. ربّما كان ذاك هو السبب في أنّهم لا يقتلون أنفُسهم بشكلٍ جماعيّ، كما كان ينبغي عليهم أن يفعلوا، لو كانوا أقلّ استغراقًا في ما هم فيه.

*

الحبُّ الأكثر اتّقادًا لا يُقرِّبَ بين شخصين أكثر ممّا يفعلُ الافتراء. يتلازمُ المُفتَرِي والمُفْتَرَى عليه مُشكِّلَيْنِ وحدةً «مُتعالية»، فإذا هما متلاحمان إلى الأبد ولا شيء يستطيع الفصل بينهما.

أحدُهما يُسيء والآخرُ يخضع للإساءة.

وما كان هذا الأخير ليخضع لتلك الإساءة لو لم يألفها حدَّ العجز عن الاستغناء عنها، بل حدَّ المُطالبة بها. وهو يعلَمُ أنّ أمنياته ستتحقّق، وأنّه لن يُنسى أبدًا، وأنّه سيظلّ مهما حدث حاضرًا إلى الأبد في عقل وليّ نعمته الذي لا يكلّ.

*

الراهبُ الجوّال هو أفضَلُ ما أُنجِزَ حتى الآن. أن ينتهي بنا الأمر إلى عدم امتلاك ما يُتَخَلَّى عنه، ذاك ما ينبغي أن يكون حلمَ كُلِّ عقلٍ أُنقِذَ من ضَلالِه.

*

الإنكار المنتَحِب ـ الشكلُ الوحيد المُحْتَمَلُ للإنكار.

*

سعيدٌ أنت يا أيّوب، لأنك لم تكن مضطرًا إلى التعليق على صرخاتك.

*

في ساعاتٍ متأخّرة من الليل، أودّ أن أُطلق العنان لغضبي، أن أُرعِد وأُزْبِد، أن أقوم بعمل غير مسبوق كي أتخلّص من تشنُّجي، إلاّ أنّي لا أرى ضدَّ مَنْ ولا ضدَّ ماذا...

*

لاحظَ سان سيمون[1] أنّ مادام دوديكور[2] لم تَقُلْ طيلةَ حياتِها كلمةَ خيرٍ في شخص، إلاّ أَرْفَقَتْهَا «بأكثر مِنْ لَكِنْ مُوجِعة».

تعريفٌ رائع، لا للنميمة، بل للمُحادثة بشكل عامّ.

*

كلُّ حيٍّ يُحدث ضجّة. يا له من دفاعٍ عن الجماد.

*

كان باخ[3] ميّالاً إلى الشجار، مُغرمًا بالتقاضي، بخيلاً، نهِمًا إلى الألقاب والتشريفات، إلخ.

---

(١) **سان سيمون (Saint-Simon)**: أحد نبلاء فرنسا (١٦٧٥ ـ ١٧٥٥) اشتهر بمذكّراته عن عهد لويس الرابع عشر.

(٢) **السيدة دو ديكور (Mme d'Heudicourt)**: ماركيزة فرنسية (١٦٤١ ـ ١٧٠٩) وإحدى عشيقات لويس الرابع عشر، اشتهرت باسم «الذئبة الكبيرة».

(٣) ـ يوهان سيباستيان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠): المؤلف الموسيقي الألماني الذي أثر في عدد كبير من رموز الفكر العالمي.

حسنًا! ما تأثير ذلك؟

أحصى باحثٌ في تاريخ الموسيقى عدد مقطوعات الكانتاتا التي كان موضوعها الموت فقال: لم يحنَّ بشرٌ إلى الموت بقدر باخ. هذا هو المهمّ، والباقي بيوغرافيا.

*

يا لَبُؤْسِ أن نكون عاجزين عن بُلوغ حالات الحياد إلاّ عن طريق التفكير والجهد.

نحن نحتاج إلى الكَدِّ ليل نهارًا كي نحصل بشكل غير منتظم على ما يحصلُ عليه الأبله بلا جهد.

*

عشتُ دائمًا برؤيةٍ مفادُها أنّ جيشًا لا حصر له من اللحظات يسير ضدّي. كان الزمن بمثابة غابة دونسينان[١] الخاصّة بي.

*

الأسئلةُ المُتعِبة أو الجارحة التي يطرحها علينا سَيِّئُو الأدب، تُزعجنا وتربكنا، وقد تترك فينا نفس الأثر الذي تتركه بعض الأساليب المعتَمَدة في تقنية شرقيّة مُعيّنة.

---

(١) **غابة دنسينان** (La forêt de Dunsinan): غابة أسكتلندية، وسيوران يشير هنا إلى مشهد يرد في الفصل الخامس من مسرحية ماكبث، حيث يطلب مالكولم من كل جندي أن يقطع غصنًا من أشجار الغابة ويتقدم مختفيا وراءه فظنّ الأعداء أنّ الغابة تمشي...

ولماذا لا يُتاح للبلادة الغليظة والعدوانيّة أن تُفسح المجال لإشراقة؟ إنّها تساوي وزيادةً ضربةَ عصا على الرأس.

*

المعرفة ليست ممكنة، وحتى لو كانت ممكنة فإنّها لن تحلّ شيئًا. هكذا هو موقف الشكّاك. ماذا يريد؟ عمَّ يبحث إذنْ؟ لا أحد يعرفُ على الإطلاق، ولا حتى هو. الشكوكيّةُ سُكْرُ الطريق المسدود.

*

يُحاصِرني الآخرون فأحاول الإفلات منهم، دُونَ كبيرِ نجاحٍ والحقّ يُقال. إلاّ أنّي أُفلح يوميًّا في تأمين بعض الثواني للحديث مع ***ذلك الذي كنت أتمنّى أن أكون.***

*

يحسُنُ بنا متى بلغنا مرحلة متقدّمةً من العمر أن نغيّر أسماءنا، وأن نلجأ إلى مكان ناءٍ لا نعرف فيه أحدًا ولا نخشى أن نلقى فيه أصدقاء ولا أعداء، وهناك ننعمُ بالعيش عيشةَ شِرّيرٌ مُرْهَق.

*

لا نستطيع أن نُفكّر وأن نكون متواضعين. ما أن يتحرّك العقل حتى يَقُومَ مَقامَ الإله أو أيّ شيء كان. إنّه فُضولٌ، وتَعَدٍّ، وتدنيس. هو لا «يعمل» بل يُفكّك. الضغطُ الذي تشي به مساعيه يكشفُ عن طبعه الشرس المتصلّب. من دون جرعة من الضراوة لا يمكن أن نقود فكرةً إلى نهايتها.

*

أغلبُ الانقلابيّين والرُّؤَوِيّين والمُخَلِّصين كانوا إمّا مُصابين بداء الصَّرَع وإمّا مُصابين بعُسْر الهضْم. ثمّت إجماعٌ على فضائل الصرع يُقابِلُهُ اعترافٌ أقلّ بمزايا مشاكل المَعِدَة. والحالُ أنْ لا شيء يدفعُ إلى الإطاحة بكلّ شيءٍ أكثر من عمليّةِ هضمٍ تستعصي على النسيان.

❋

مهمّتي أن أتعذّب عوضًا عن كلّ الذين يتعذّبون ***دون أن يعلَمُوا بذلك***. عليّ أن أدفع الثمن بدلاً عنهم، أن أكفّر عن لا وعيهم، عن كونهم محظوظين بجهلهم إلى أيّ حدّ هم تُعساء.

❋

كلّما نَكّل بي الزمنُ حدّثتُ نفسي بأنّ على أحدنا أن ينسحب، فليس من الممكن أن نستمرّ إلى ما لا نهاية في هذه المُواجهة الوحشيّة.

❋

حين نكون في أقاصي الكآبة، فإنّ كلّ ما يجيء لتغذيتها ومَنْحِها مزيدًا من المادّة يرتفع بها إلى مستوًى نعجز عن اللحاق بها فيه، فإذا هي أكبر وأضخم ممّا يلزَم. لا عجَبَ من ثمَّ في أن ينتهي بنا الأمر إلى أن ننظر إليها وكأنّها ليست كآبتَنا.

❋

المُصيبةُ المُتوَقَّعةُ حين تحصُلُ، هي عشر مرّات بل مائة مرّة أشدّ وطأةً من المُصيبة التي لم نتوقّعها. لقد عشناها مُسْبَقًا طيلة

تخوّفاتنا، وما أن تنزل حتى تنضاف مخاوفنا السابقة إلى مخاوفنا الراهنة، متجمّعةً في كُتلة أثقلَ من أن تُطاق.

*

من البديهيّ أنّ الله كان حَلاً، وأنّنا لن نجد أبدًا حلاً مُرْضِيًا بهذا القدْر.

*

لن أُعجَبَ بشكلٍ كامل إلاّ بإنسانٍ فقَدَ شَرَفَهُ ـ وظلّ سعيدًا. سأقول لنفسي: هُو ذَا شخصٌ لا يعبأ برأي أشباهِه، ولا يبحث عن السعادة والعزاء إلاّ في نفسِه.

*

كان رَجُلُ الروبيكون بعد معركة فارسال[١] قد غفر لأكثر ممّا ينبغي من الناس. بدت هذه الشهامة مُهينة بالنسبة إلى أصدقائه الذين خانوه فأذلّهم حين عاملهم بلا حقد.

أحسُّوا بأنّه انتقص منهم وانتهكهم فعاقبوه على رأفته أو على احتقاره: هو يرفض إذنْ أن يهبط إلى دَرَكِ الضغينة! لو أنّه تصرّف كطاغية لما تعرّضوا له. لكنّهم أبغضوه لأنّه لم يقبل أن يُثير فيهم ما يكفي من الخوف.

*

---

(١) معركة **فارسال** (Pharsale)، دارت حوالي ٤٨ سنة ق.م، بين جيش يوليوس قيصر وجيش بمبيي، بعد أن عبر يوليوس قيصر نهر **الروبيكون** (Rubicon).

كلُّ ما هو ***كائنٌ*** يتمخّضُ آجلاً أم عاجلاً عن كابوس. لنحاول إذنْ ابتكار شيء أفضل من الكينونة.

*

كلّفت الفلسفةُ نفسَها بمهمّة تقويض المُعتقدات، وحين رأت أنّ المسيحيّة تنتشر وتوشك على الانتصار، تحالفت مع الوثنيّة التي بدت لها خرافاتُها أفضل من الحماقات المُظَفَّرة. هاجمت الفلسفةُ الآلهة وحطّمتها ظنًّا منها أنّها بذلك تُحرّر العُقول، لكنّها في الحقيقة كانت تُسلّم تلك العقول إلى عبوديّة جديدة أسوأ من العبوديّة السابقة، فليس للإله الذي سيحلّ محلّ الآلهة، أيّ ضعفٍ خاصّ تجاهَ التسامُح ولا تجاه السخرية.

قد يعترض أحدهم قائلاً إنّ الفلسفة ليست مسؤولة عن ظهور هذا الإله، وليس هو ما نصحت به. هذا أكيد، لكن كان ينبغي عليها أن تتوقّع أنّ لتقويض الآلهة ثمنًا، وأنّ آلهة أُخرى ستظهر لتشغل مكانها، دون أن تكسب الفلسفة شيئًا من وراء ذلك.

*

التعصُّبُ هو موتُ المُحادثة. أنت لا تتحدّثُ إلى مترشِّحٍ للشهادة. ماذا تقول لشخصٍ يرفض أن يتفهّمَ حُجَجك، وإذا لم تُسَلِّمْ بحُجَجِهِ فإنّه يُفضّل الهلاك على التسليم. مرحبًا بهُواة الفنّ والصوفيّين، فهم على الأقلّ يتفهّمون كلّ الحُجَج.

*

إنّه لادّعاءٌ للتفوُّق المُفرط أن نُصارح شخصًا برأينا فيه وفي

عمله. الصراحةُ لا تتوافَقُ مع الإحساس المرهف، ولا حتى مع الصرامة الأخلاقيّة.

*

أقاربُنا أكثر من غيرهم هم أوّل من يضع مزايانا موضع الشكّ. القاعدة كونيّة. البوذا نفسُه لم ينجُ منها: كان أحد أبناء عمومته أشدّ خُصومه عليه، وبعد ذلك فحسب جاء دورُ مارا، الشيطان.

*

بالنسبة إلى القَلِق لا فرق بين النجاح والفشل. ردُّ فعله واحد تُجاه هذا وذاك. كلاهما يُزعجه بنفس الدرجة.

*

عندما أَقلقُ أكثر من اللزوم لكوني لا أعمل، أقول لنفسي إنّ من الجائز أن أكون الآن ميتًا، ولا شكّ عندئذ في أنّي سأعمل أقلّ بكثير...

*

سُكنَى بالوعة ولا الوُقوفُ على منصّة.

*

تبدو لي مزايا البقاء في وضْعِ كُمونِ أبدِيٍّ أكثر من أن تُعَدّ، حتى إنّي حين أحاول تعدادها، لا أفهم كيف أمكَنَ للعبور إلى الوجود الحقيقيّ أن يحدث أصلاً.

*

الوجود يُساوي العذاب. تبدو لي المُعادَلةُ بديهيّة. إلاّ أنّها ليست كذلك بالنسبة إلى أحد أصدقائيّ. كيف أُقنعه بها؟ لا أستطيع أن **أُعِيرَهُ** أحاسيسي، بَيْدَ أنّها الوحيدة التي تملك القدرة على استمالتِهِ إلى الفكرة، وعلى منحِهِ تلك الجرعة الإضافيّة من الضيق بالوجود التي ما انفكّ يُطالب بها بإلحاح منذ زمن طويل.

*

إذا كنّا نرى الأشياء سوداء فلأنّنا نتأمَّلُها في السواد، ولأنّ الأفكار غالبًا ما تكون ثمرة السهر ومن ثمّ ثمرة الظلمة. إنّها لا تستطيع أن تتأقلم مع الحياة لأنّها لم تكن **بِقَصْدِ** الحياة. من ثمّ فإن التبعات التي يمكن أن تَحْتَمِلَها لا تخامر العقلَ أصلاً. نحن خارج كلّ حسابٍ بشريّ، خارج كلّ فكرة خلاص أو هلاك، خارجَ كلّ فكرة وجود أو عدم وجود، نحن في صمتٍ على حدة، الشرط الأعلى للخواء.

*

أن لا نكون هضمنا إهانةَ الولادة حتى الآن.

*

نُبذِّرُ أنفُسَنا في المحادثات بِقَدْرِ ما يُبذِّرُ المصروعُ نفسَهُ في نوباتِه.

*

للانتصار على الذعر أو القلق الشديد، ليس مِنْ شيءٍ يُضاهي أن نتصوَّرَ موكِبَ دفْنِنا. طريقةٌ ناجعة في متناول الجميع. وحتى لا نلجأ

إليها أكثر ممّا ينبغي في اليوم الواحد، فإنّ من الأفضل أن نختبر فائدتها منذ شروق الشمس. وإلاّ فإنّ علينا أن لا نستخدمها إلاّ في فترات استثنائيّة، مثل البابا إينوسنت التاسع[1]، الذي طلب أن تُرْسَمَ لهُ لوحةٌ تمثِّلُهُ وهو على فراش الموت، واعتاد أن يلقي عليها نظرة كلّما احتاج إلى اتّخاذ قرار مهمّ.

❊

ليس من إنكاريَّ إلاّ وهو متعطّشٌ إلى شيءٍ من **نَعَمْ** الكارثيّة.

❊

نستطيع أن نكون متأكّدين من أنّ الإنسان لن يبلغ أبدًا أعماقًا يمكن مُقارنتها بتلك التي عرفها طيلة قُرونٍ من المحادثة الأنانيّة مع إلهه ***الخاصّ***.

❊

مَا مِنْ لحظةٍ لا أكون فيها خارجَ الكون.

... كنتُ بِالكادِ قد رثيتُ لحالي ولِوَضْعِي كشخصٍ بائسٍ، حين انتبهتُ إلى أنّ المصطلحات التي وصفتُ بها شقائي هي المُصطلحات نفسُها التي تُعرِّفُ أوّلَ مُمَيِّزات «الكائن الأعلى».

❊

---

(١) **البابا إينوسنت التاسع** أو جيوفاني أنطونيو فاكينيتي (Innocent IX): بابا الكنيسة الكاثوليكية (١٥١٩ ـ ١٥٩١) تولى البابوية من ٢٩ أكتوبر ١٥٩١ حتى وفاته في ٣٠ ديسمبر من نفس العام.

أرسطو، طوما الأكويني[1]، هيغل ـ ثلاثةُ مُستعبِدين للعقل. النسقُ أسوأُ أشكال الاستبداد، في الفلسفة وفي كلّ شيء.

❊

الله هو الناجي الوحيد من الفكرة البديهيّة التي تؤكّد أنْ لا شيء يستحقُّ أن نُفكّر فيه.

❊

كنتُ وأنا شابٌّ لا أرى لذّةً تعادل لذّةَ اختلاق أعداء. الآن ما أن أتّخذ عدوًّا حتى تكون فكرتي الأولى أن أتصالح معه كي لا أُضطرّ إلى الاهتمام به. إنّها لمسؤوليّة كبيرة أن يكون لك أعداء. عبئِي يكفيني، لم أعد أستطيع حَمْلَ عِبْءِ الآخرين.

❊

الفرَحُ نُورٌ يَلْتَهِمُ نَفْسَهُ بشكلٍ دائم.
إنّه الشمسُ ***في بداياتها***.

❊

قَبْلَ أيّام من موته لاحظَ كلوديل[2] أنّ عبارة «ما لا ينضب» أصلحُ لتسمية الله من عبارة «اللامُتناهي».

---

(١) **توما الأكويني** (**Thomas d'Aquin**): فيلسوف ولاهوتي إيطالي (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤) انتمى إلى الرهبانية الدومينيكانية وأصبح مؤسس مدرسة في الفلسفة واللاهوت تحمل اسمه.

(٢) **بول كلوديل** (Paul Claudel): شاعر وكاتب مسرحيّ فرنسيّ (١٨٦٨ ـ ١٩٥٥) اعتبر رمزًا لحضور المسيحيّة في الشعر والأدب بشكل عامّ.

وكأنّ ذلك لا يعني الشيء نفسه أو يكاد.

هذا لا يمنع أنّ اهتمامه بالدقّة ووسواسه اللغويّ لحظةَ كان «عقدُ الإيجار» الذي يربطه بالحياة على وشك النهاية، أكثرُ إثارةً من أيّ كلمة أو حركة «سامِية».

❊

الخروجُ على المألوف ليس مِقْياسًا. كان باغانيني[1] مُفاجِئًا وغيرَ مُتَوَقَّعٍ أكثر من باخ.

❊

ينبغي على كُلٍّ منّا أن يكرّر على نفسِهِ يوميًا:

أنا واحد من مليارات تجرّ أقدامها على سطح الكوكَب.

واحدٌ منهم لا أكثر.

هذه الفكرة المُبتذلة يمكن أن تبرّر أيَّ استنتاج، أيَّ سلوكٍ أو فعلٍ: فُجور، عِفّة، انتحار، عَمَل، جريمة، كسَل أو تمرّد.

... ينتجُ عن ذلك أنّ لكُلٍّ منّا الحقّ في أن يفعل ما يفعل.

❊

التسمتسم، هذه العبارة المُضحكة تشير إلى مفهوم جوهريّ في الكابالا[2]. كان الله كلَّ شيء وفي كلِّ مكان، ومن ثمّ كان لابدّ أن

---

(١) **نيكولو باغانيني (Niccolò Paganini)**: عازف كمان ومؤلف موسيقي إيطاليّ (١٧٨٢ ـ ١٨٤٠) ألهم الكثير من كبار الموسيقيّين.

(٢) **الكابالا أو القبالة (Kabbale)**: حركة يهودية غنوصيّة تعنى بدراسة المعاني الخفية=

يتقلّص، أن يترك خواءً غيرَ مسكونٍ به، كي يسمح للعالم بالوجود: في هذا «الثقب» اتّخذ العالَمُ موقعه.

نحن إذنْ نحتلّ أرضًا بُورًا تنازل لنا عنها عن رحمةٍ أو عن نزوة. ومن أجل أن نكونَ تقلّصَ وحَدَّ من سُلطانه. نحنُ ثمرة نُقصانه الإراديّ وانسحابِه وغيابه الجزئيّ. لقد بلغ به الجنون أن يبتر نفسَهُ من أجلنا. آه لو أنّه رأى من سلامة الذوق وسلامة التفكير أن يظلّ ***كاملاً***!

*

في «إنجيل المصريّين»[1] يقول يسوع: «سيظلّ الرجال فريسةً للموت ما ظلّت النساءُ يلدن». ويُضيف مدقِّقًا: «جئتُ أخرّبُ ما تعمل النساء». حين نُعاشرُ حقائق الغنوصيّين القصوويّة نتوق إلى الذهاب إلى أبعد من ذلك، إن كان ذلك ممكنًا، كأن نقول شيئًا لم يُقَلْ مِنْ قبلُ على الإطلاق، يُجمِّد التاريخ أو يسحقه، شيئا لا يخلو من نيرونيّة كونيّة، أو من خَبَلٍ على نطاقِ المادّة.

*

أن نُترجم فكرةً مُتسلِّطة يعني أن نلقي بها إلى خارجنا، ان نُطردها، أن نخضعها إلى طقس تطهير. الأفكار المُتَسَلِّطة هي شياطينُ عالَمٍ بلا إيمان.

*

=الباطنيّة للتوراة. ـ **التسِمتسُم** (Tzintzum): مفهوم جوهريّ في الكابالا يشير إلى السيرورة السابقة على خلق العالم، من المنظور اليهوديّ، أي إلى نوع من التقلّص (الرحميّ) الذي سمح للربّ بإنشاء حقيقة خارجه.

(١) **إنجيل المصريين**: نص غنوصي كان يستخدم في الكنائس في القرنين الثاني والثالث. لا توجد له مخطوطات بل يعرف بعضه من مقتطفات لآباء الكنيسة.

الإنسانُ يتقبّل الموت ولا يتقبّل ساعةَ موته. مرحبًا بالموت في أيّ حين، إلاّ حينَ يجب علينا أن نموت!

*

ما أن ندخل مقبرةً حتى ينتابنا إحساسٌ بالسخرية الكاملة ينفي كلّ همٍّ ميتافيزيقيّ. إنّ الذين يبحثون عمّا هو «خفيٌّ» في كلّ مكان لا يذهبون بالضرورة إلى عمق الأشياء. «الخفيُّ» وكذلك «المُطلَق» لا يعنيان في أغلب الأحيان سوى تشنّج من تشنّجات العقل. إنّها كلمة يجدر بنا أن لا نستخدمها إلاّ حين لا نملك غير ذلك، في الحالات الميؤوس منها حقًّا.

*

حين أقوم بجَرْدٍ لمشاريعي التي ظلّت مشاريع والأُخرى التي تحقّقت، لا أعدم أسباب الحسرة على أنّ هذه الأخيرة لم يكن لها مصير الأُولى.

*

«ذُو النزوع إلى الشهوة شفوقٌ رحيم، وذَوُو النزوع إلى النقاء ليسوا كذلك». (القديس يوحنا السلمي)[1].

للكشف بمثل هذا الوضوح وهذه الحيويّة، لا عن الأكاذيب،

(١) **يوحنا السلمي (القديس)**، ناسك سوري، عاش في دير سنت كاترين (**٥٢٥** ـ 606) من كبار آباء الكنيسة الشرقية. كان لكتابه «سلم الفضائل» شهرة كبيرة في القرون الوسطى.

بل عن جوهر الأخلاق المسيحيّة، وكلّ أخلاق، كان لابدّ من قِدّيس، لا أكثر ولا أقلّ.

*

نتقبّل من دون فزع فكرةَ نومٍ بلا انقطاع، وفي المُقابل فإنّ فكرةَ يقظةٍ أبديّة (ليس الخلود إذا جاز تصوّرُه غير ذلك) تُلقي بنا في الرعب.

اللاوعيُ وطَنٌ، الوعيُ منفًى.

*

ليس من إحساسٍ عميقٍ إلاّ وهو ممُتِعٌ أو جنائزيّ، أو كلاهُما معًا.

*

لا أحد اقتنع مثلي بتفاهة كلّ شيء، ولا أحد تعامَلَ مثلي بمأساويّةٍ مع كُلٍّ هذا العدد الهائل من الأشياء التافهة.

*

إيشي، هنديٌّ أمريكيٌّ هو آخرُ من تبقّى من عشيرته، اختفى طيلة سنوات خوفًا من البِيض ثمّ أصبح في وضعٍ ميؤوس منه فاستسلم ذات يومٍ طوعًا إلى مُبيدي أهلِه. كان يظنّ أنّهم يدّخرون له نفسَ المُعاملة لكنّهم احتفلوا به. كان بلا عَقِب. كان حقًّا الأخير.

بعد أن تكون الإنسانيّة قد دُمّرت أو ببساطةٍ قد انطفأت، في

وسعنا أن نتصوّر ناجيًا، الناجي الوحيد، وهو تائه على وجه الأرض، ليس له حتى *من* يُسلّم إليه نفسَه.

❋

في أعمق أعماق ذاتِه يتوق الإنسان إلى الالتحاق من جديد بالوضع الذي كان عليه *قبل* الوعي. ليس التاريخ سوى الطريق الجانبيّ الذي يسلكه لتحقيق ذلك.

❋

شيء وحيد مهمّ: أن نتعلّم كيف نكون خاسرين.

❋

ما مِنْ ظاهرة إلاّ وهي نُسخة مُشوّهة عن ظاهرة أخرى أكثر اتّساعًا: الزمنُ عيبُ الأبديّة. التاريخُ عيبُ الزمن. الحياةُ عيبُ المادّة.

ما هو العاديّ إذنْ؟ ما هو السليم من كلّ عيب؟ الأبديّة؟ هي أيضًا ليست سوى عاهةٍ إلهيّة.

VIII

الكونُ عملٌ فاشل. لولا هذه الفكرة، لكان مشهدُ الظلم السائد تحت كلّ الأنظمة كافيًا كي يقود حتى فاقِدَ الإرادة إلى سُترة المجانين.

*

ممُارسةُ الإبادة تمنحُنا إحساسًا بالمقدرة وتتملّقُ شيئًا غامضًا ***بدْئيًا*** فينا. نحن نحدس بدوافع الرِّضَى السريّة لدى إلهٍ من الآلهة حين نُدمّرُ لا حين نَبْنِي.

من ثمّ جاذبيّةُ التدمير والأوهامُ التي يبعثها في نفوس المسعورين من كلّ العُصور.

*

ما مِن جيلٍ إلاّ وهو يعيش في المُطلَق: إنّه يتصرّف وكأنّهُ، إن لم يبلغ القمّة، قد بلغ النهايةَ، نهايةَ التاريخ.

*

يتصَوّرُ كلُّ شعبٍ في لحظة مُعيّنة من مسيرته أنّه ***مُختار***. عندئذٍ يكشف عن أفضل وأسوأ ما هو عليه.

*

لا مُصادفةَ في أن تكون اللّترابيّةُ[١] قد وُلدت في فرنسا وليس في إيطاليا أو إسبانيا. الإيطاليّون والإسبانيّون يتكلّمون بلا انقطاع هذا معلوم، لكنّهم **لا يُنصتون** إلى أنفسهم وهم يتكلّمون، في حين أنّ الفرنسيّ يتلذّذُ بفصاحته ولا ينسى إطلاقًا أنّه يتكلّم ويعي ذلك كلّ الوعي. هو وحدَه كان يستطيع أن يعتبر الصمت اختبارًا وزهدًا.

❋

إنّ ما أفسد عليّ الثورة الكبرى أنّ كلّ شيء فيها كان يدور على خشبةِ مسرح، وأنّ دُعاتَها كانوا ممّثلين من المهد، وأنّ المقصلة لم تكن سوى ديكور. تاريخُ فرنسا كُلُّهُ يبدو لي تاريخًا بناءً على طَلَب، تاريخًا *ملعوبًا*: كلّ شيء فيه مثاليّ من زاوية النظر المسرحيّة. إنّه عَرْضٌ، سلسلةٌ من الحركات والأحداث نتفرّج عليها أكثر ممّا نخضع لها، فرجةٌ طولها عشرة قرون. من ثمّ طابَعُ الخفّة الذي يغلب حتى على الرعب منظورًا إليه من بعد.

❋

المجتمعات المزدهرة أكثر هشاشةً بكثير من الأُخرى، بما أنّها لا تنتظر غير خرابِها، فالرفاهةُ ليست مثلاً أعلى حين نملكها ومن باب أولى حين تكون مُتاحةً منذ أجيال. فضلاً عن أنّ الطبيعة لم تُدخِلْها في حسابها ولا يمكنها أن تفعل دون أن تهلك.

❋

---

(١) **اللترابية** (La Trappe): رهبانيّة كاثوليكيّة، تعطي مكانةً هامّة للبساطة، والزهد، والصمت.

لو أصبحت الأُمَمُ بَلِيدَةَ الحِسّ في الوقت نفسه، لما بقيت صراعاتٌ ولا حروبٌ ولا إمبراطوريّات.

المُصيبةُ أنّ هناك شُعوبًا شابّة، وباختصار، أنّ هناك شبابًا ـ وتلك عقبةٌ رئيسيّة أمام أحلام المُحْسِنِين: العمل على أن يبلغ جميعُ البشر نفسَ الدرجة من الكلال والترهُّل.

❊

يجب أن نصطفَّ إلى جانب المقموعين في كلّ الظروف حتى حين يكونون على خطأ، دون أن نغفل طبْعًا عن أنّهم مجبولون من طينةِ قامعيهم نفسِها.

❊

من طبيعة الأنظمة المحتضرة أن تسمح بظهور خليطٍ مُشَوَّشٍ من المُعتقدات والمذاهب، وأن تُتيح في الوقت نفسه التوهّم بأنّ من الممكن تأجيل ساعة الاختيار إلى ما لانهاية...

من ثمّ ـ ومن ثمّ فحسبُ ـ ينحدرُ سحرُ الفترات ما قبل الثوريّة.

❊

وحدها القِيَمُ المُزيّفةُ رائجةٌ، والسبب أنّ الجميع يستطيعون هَضْمَها وتزويرها (المُزَوَّرُ من الدرجة الثانية). الفكرةُ الناجحة هي بالضرورة فكرةٌ زائفة.

❊

الثورات هي **روعة** الأدب الرديء.

❊

المُزعِجُ في المصائب العامّة أنّ أيًّا كان يعتبر نفسَهُ كُفؤًا بما فيه الكفاية للخوض فيها.

*

الحقُّ في قَتْلِ كلّ الذين يُغيظوننا ينبغي أن يُثبتَ في مقدّمة دستور المدينة المثاليّة.

*

الشيء الوحيد الذي ينبغي تعليمه للشباب هو أنّه لا يُوجَدُ شيءٌ أو لنقل لا يُوجد تقريبًا شيءٌ ننتظره من الحياة. أحلم ***بلوحة للخيبات*** تُصوِّرُ فيها خيباتُ الأمل المُدَّخَرة لكلٍّ منّا وتُعرَضُ في المدارس.

*

حسب الأميرة بالاتين[١] فإنّ مادام دي مانتنون[٢] التي حُرِمت من لَعِبِ أيّ دورٍ طيلةَ سنوات على إثر موت الملك، اعتادت أن تقول: «ثمّتَ روحُ دُوَارٍ تُخيِّمُ على الجميع وتنتشر في كلّ مكان منذ فترة».

«روحُ الدوار» هذه هو ما يشعر به دائمًا الخاسرون عن حقٍّ

---

(١) **الأميرة بالاتين** (La Princesse Palatine): زوجة فيليب دورليان (١٦٥٢ ـ ١٧٢٢)، اهتمّت بالفلسفة وتركت رسائل عديدة تُصوّر الحياة الملكيّة خاصّة في عصر لويس الرابع عشر.

(٢) **مادام دي مانتونون** (Mme de Maintenon): مربّية أبناء لويس الرابع عشر غير الشرعيّين (١٦٣٥ ـ ١٧١٩) ثمّ عشيقته وأثّرت كثيرًا في شخصيّته وتديُّنه بعيدًا عن السياسة.

طبعًا، وفي وسعنا أن نعيد النظر إلى التاريخ كلّه انطلاقًا من هذه العبارة.

*

التقدّم هو المَظْلَمَةُ التي يقترفها كلُّ جيلٍ في حقّ الجيل الذي سبقه.

*

الشبعانون يبغضون أنفُسَهم في العَلَنِ لا في السِّرّ، ويتمنّون أن يُزَاحُوا بطريقة أو بأخرى. إلاّ أنّهم يُفضّلون على كلّ حال أن يتمّ ذلك بمُساعدةٍ منهم.

ذلك هو المظهرُ الأكثر غرابةً والأكثر طرافةً لوضعيّة ثوريّة.

*

الشعبُ الواحد لا يَقُومُ إلاّ بثورةٍ واحدة. لم يُكرّر الألمانيّون مأثرة الإصلاح، والأصحّ أنّهم كرّرُوها دون أن يُضاهوها. فرنسا ظلّت إلى الأبد مدينة إلى ١٧٨٩. الأمر نفسُهُ يصحّ في شأن روسيا وسائر البلدان. هذا النزوع إلى سرقة الذات في مجال الثورة هو في الوقت نفسه مُطمئنٌ ومُحزِن.

*

كان الرّومانُ في مرحلة انحطاطهم لا يُحبّذُون إلاّ الراحة الإغريقيّة (otium graccum)، التي لم يحتقروا شيئًا مثلها في أيّام عنفوانهم.

التشابُهُ مع الأُمم المتحضّرة في أيّامنا هذه جليٌّ إلى حدٍّ أنّ من قِلّةِ الحياءِ أن نُشَدِّدَ عليه.

❊

اعتاد ألاريك[1] أن يقول إنّ «شيطانًا» كان يحرِّضُه على روما.

مَا مِنْ حضارةٍ مُنهكَة إلاّ وهي في انتظار هَمَجِيِّها، ما مِنْ هَمَجِيٍّ إلاّ وهو في انتظار شيطانه.

❊

الغرب: عُفونةٌ ذات رائحةٍ زكيّة. جُثَّةٌ مُعطَّرَة.

❊

كلُّ هذه الشعوب كانت كبيرة لأنّها كانت تملك أحكامًا مُسْبَقة كبيرة. لكنّها لم تعد تملكها. هل هي بَعْدُ أُمَم؟ إنّها على الأكثر حُشودٌ مُفتَّتة.

❊

البِيضُ يستحقّون أكثر فأكثر صفة *الشاحبين*، التي كان ينعتهم بها هنودُ أمريكا.

❊

في أوروبا تنتهي السعادة عند حُدُودِ فيينا. ليس وراء تلك المدينة سوى اللعنةِ بعد اللعنةِ منذ القِدَم.

❊

---

(١) **ألاريك الأول** (Alaric): زعيم القوط الغربيين (حوالي ٣٧٠ ـ ٤١٠)، اشتهر بالهمجية وعمل في خدمة روما وانقلب عليها ونهبها.

استطاع الرومان والأتراك والإنجليز تأسيس إمبراطوريّات ممتدّةٍ في الزمن لأنّهم كانوا عصيّين على كلّ مذهب، ولم يفرضوا أيّ مذهب على الأُمَم التي أَخْضَعُوها. لو أنّهم ابتُلُوا بأيِّ نزوعٍ تبشيريٍّ لما نجحوا على الإطلاق في ممارسة هيمنةٍ بهذا الطول. كانوا مُضْطَهِدِين غير مُتوقَّعين، مُديرين وطُفيليّين، سادةً بلا قناعات، يمتلكون فنَّ المزج بين القِيادةِ واللامُبالاة، بين الانضباط والإهمال. هذا الفنّ الذي يُمثِّل سرَّ القائد الحقيقيّ هو ما افتقر إليه الإسبانيّون قديمًا، كما سيفتقر إليه على الأرجح فاتِحُو زماننا هذا.

❊

تظلّ أُمّةٌ من الأُمم شرِسةً مُحتَرَمةً ما ظلّت مُحافظةً على وعيِها بتفوُّقِها ـ ما أن تفقد هذا الوعي حتى تتأنسَنَ وتفقد كلّ أهميّة.

❊

أَسْخطُ على عصري، ثمّ يكفيني كي أهدأ، أن أفكّر في ما سيأتي، في الغيرة ذات الأثر الرجعيّ التي سيشعر بها اللاحقون.

نحن ننتمي من بعض النواحي إلى البشريّة العجوز، تلك التي ظلّ في وسعها أن تتحسّر على الفردوس. أمّا الذين سيأتون بَعْدَنا فإنّهم لن يملكوا حتى التزوّد من هذه الحسرة. سيجهلون كلّ شيء عنها حتى الفكرة، حتى الكلمة!

❊

رؤيتي للمُستقبل ***واضحةٌ*** إلى حدٍّ أنّي، لو كان لي أطفال، لخنقتهم على الفور.

❊

عندما نُفكّر في الصالونات البرلينيّة في العصر الرومنطيقيّ، وفي الدور الذي لعبته هناك نساء مثل هنريات هرتز[١] أو راحيل لوفان[٢]، وفي الصداقة التي ربطت بين هذه الأخيرة ووليّ العهد الأمير لويس فرديناند[٣]، وحين نحدّث أنفُسنا بعد ذلك بأنّهنّ لو عِشْنَ في هذا القرن لَهَلَكْنَ في أحدِ أفران الغاز، فإنّنا لا نستطيع منْعَ أنفُسنا من اعتبار الإيمان بالتقدّم خرافةً من أكثر الخرافات زيْفًا وسذاجة.

*

هيزيود[٤] هو أوّل من أنشأ فلسفةً للتاريخ. وهو من أطلقَ أيضًا فكرةَ الأُفول. أيّ نورٍ سلّطه من ثمّ على الصيرورة التاريخيّة! إذا كان قد استطاع في صميم البدايات وفي ذروة العالَم ما بعدَ

(١) **هنريات هرتز** (Henriette Hertz): يهودية من أصول برتغالية (١٧٦٤ ـ ١٨٤٧) زوجة الفيلسوف والطبيب ماركوس هرتز وصاحبة أحد أهم الصالونات الثقافية في برلين في عصرها.

(٢) **راحيل لوفان** (Rachel Levin): يهودية ألمانيّة (١٧٧١ ـ ١٨٣٣) اعتبرت من أهمّ سيّدات المجتمع المثقّفات في عصرها وكان من رواد صالونها غوته وهنريش هينه وغيرهما.

(٣) **لويس فرديناند** (Louis-Ferdinand): أحد أمراء بْروسيا (١٧٧٢ ـ ١٨٠٦) كان فارسًا ومحبًا للفن وأحد تلاميذ بيتهوفن.

(٤) **هيزيود** (Hésiode): شاعر الإغريق المعروف (القرن الثامن قبل الميلاد) وصاحب «الأعمال والأيام» و«أنساب الآلهة».

الهوميريّ أن ينسب البشريّة إلى العصر الحديديّ، فماذا تراه يقول بعد ذلك بقرون قليلة؟ ماذا تراه يقول اليوم؟

ما انفكّ الإنسان يعتقد أنّه أَشْرَفَ على الأسوأ في كلّ عصر، إلاّ في العصور التي أعماها الطيش أو اليوطوبيا. عن طريق أيّ معجزةٍ استطاع، وهو يعلم ما يعلم، أن ينوّع بلا انقطاعٍ رغباته ومخاوِفَه؟

*

غداة حرب ١٩١٤ حين أُدخلت الكهرباء إلى القرية التي وُلدتُ فيها، حصلت ضجّةٌ عامّة تلاها أسفٌ صامت. وما أن زُوِّدَتْ بها الكنائس (كان لدينا ثلاثٌ منها) حتى اقتنع كلّ سكّان القرية بأنّ المسيح الدجّال[١] حلَّ ومعه حلّت نهايةُ العالَم.

قرَوِيُّو الكاربات أولئك كانوا سديدي النظر، كانوا ***بعيدي*** النظر. هم الذين بالكاد خرجوا ممّا قبل التاريخ، استطاعوا أن يعرفوا منذ تلك المرحلة ما لم يعرفه المتمدّنون إلاّ منذ قليل.

*

حُكمي المُسْبَق ضدّ كلّ ما يحتمل نهايةً سعيدة هو الذي جعلني شغوفًا بالقراءات التاريخيّة. الأفكارُ غيرُ صالحةٍ للاحتضار. إنّها تموت طبعًا لكنّها لا تعرف كيف تموت. في حين أنّ الحدث لا

---

(١) عدو المسيح أو **المسيح الدجّال** (L'Anté christ): ويُسمّى أيضًا ضدّ المسيح. ويُعتبر ظهوره في المسيحية والإسلام علامةً من علامات اقتراب الساعة.

يُوجد إلاّ بقصد أن ينتهي. سببٌ كافٍ كي نُفضّل صُحبة المؤرّخين على صُحبة الفلاسفة.

*

خلالَ سفارتِهِ الشهيرة إلى روما في القرن الثاني قبل حقبتنا التاريخيّة، استغلّ كارنياديس[١] الفرصة كي يخطُب في اليوم الأوّل لصالح فكرة العدالة وفي اليوم الثاني ضدّها. منذئذ أمكنَ للفلسفة أن تشرع في نشر دمارها في تلك البلاد التي ظلت عاداتها سليمة حتى ذلك الوقت. ما هي الفلسفة إذنْ؟ ***إنّها الدودة في الثمرة...***

ارتعب كاتُون[٢] الرقيب وهو يُعاين مهارات الإغريقيّ الجدليّة، فطلب من مجلس الشيوخ أن يستجيب إلى مطالب مبعوثي أثينا في أسرع وقتٍ مُمكِن، لِفَرْطِ ما بدا له حضُورهم في المدينة ضارًا وخَطِرًا. شبيبةُ رُوما لا يجدر بها أن تخالط عُقولاً هدّامةً بهذا الشكل.

لم يكن كارنياديس ورفاقه على الصعيد الأخلاقيّ أقلّ خطورة من القرطاجيّين على الصعيد العسكريّ. لا تخشى الأُمَمُ الصاعدة شيئًا كما تخشى غِيابَ الأحكام المُسبَقة والممنوعات، أي قلّةَ الحياء الفكريّة التي تصنع سِحْرَ الحضارات الآفلة.

*

---

(١) **كارنياديس** (Carnéade): فيلسوف ليبي قورينائي (٢١٤ ـ ١٢٩ق.م) أسّس الاكاديميّة الجديدة (وتسمّى أيضًا الاكاديميّة الثالثة) ودافع عن عدم وجود معيار مطلق للحقيقة.

(٢) **كاتون** الرقيب أو المحتسب (Caton le censeur): خدم روما جنديًا ومحاسبًا (٢٣٤ ـ ١٤٩ق.م) وترك كتابًا في علم الفلاحة قد يكون ترجمة لكتاب ماغون (قرطاج) واقتباسًا عنه.

عُوقِبَ هرقل[1] على نجاحه في كلّ مساعيه. الأمر نفسُه يصحّ في شأن طروادة، كانت مدينة سعيدة أكثر من اللزوم لذلك كان لابدّ لها أن تهلَك.

حين نُفكّرُ في هذه الرؤية التي يشترك فيها الكتّاب التراجيديّون، لا نملكُ إلاّ أن نعتقد نحن أيضًا أنّ العالَم الذي يُسمّى حُرًّا، والمُشبع بكلّ الحظوظ، لن يلبث أن يلقَى مَصير إيليون[2]، لأنّ غيرةَ الآلهة تعيش بعد غياب الآلهة.

*

«ما عاد الفرنسيّون يُريدون العمَل، هم يريدون كلُّهم أن يكتبوا»، هكذا قالت لي حارِسةُ البناية التي أقطن فيها، دُونَ أن تعرف أنّها كانت يومَها تُدينُ الحضارات الهرِمة.

*

تُصبح المجتمعات ميؤوسًا منها متى فقدت القدرة على أن تكون قصيرةَ النظر.

كيف يتسنّى لها بعقل منفتح، منفتح أكثر ممّا يجب، أن تُحَصِّنَ نفسها من تطرُّف الحريّة ومُجازفاتها القاتلة؟

*

---

(١) **هرقل** أو هيراكليس (Héraclès): هو في الميثولوجيا الإغريقيّة بطل نصف إله (ابن زيوس والآدمية ألكميني) وعُرف بقوّته الخارقة.

(٢) إيليون (Ilion): الاسم الآخر لطروادة.

الخصوماتُ الإيديولوجيّة لا تبلغ ذروتَها إلاّ في البلدان التي عرفت صراعًا من أجل كلمات، في البلدان التي حصل فيها قتْلٌ بسبب تلك الكلمات، وباختصار، في البلدان التي شهدت حروبًا دينيّة.

*

الشعب الذي أنهى مهمّته يُشبه المؤلّف الذي يُكرّر نفسَه، أو بالأحرى المؤلّف الذي لم يعد لديه شيءٌ يقوله.

لأنّ تكرار النفس يدلّ على أنّنا مازلنا نؤمن بذاتنا وبما دافعت عنه. لكنّ الأُمّةَ المنتهية لا تجد حتى القدرة على اجترار شعاراتِ زمانِها الغابر التي أمّنت لها تفوُّقَها وسُطوعَها.

*

أصبحت الفرنسيّةُ لغةً قَرَوِيّةً وتكيّف السكّان الأصليّون مع ذلك. وحده الغريبُ ظلّ غير قابلٍ للعزاء، وَحدَهُ أعلنَ الحِدادَ على *الفُوَيْرِقة*...

*

سعى ثيميستوكليس[1] إلى إعدام التُّرجمان الذي نقل كلام السُفَراء الذين أرسلهم خشايار[2] إلى الأثينيّين ليُطالبهم بالبرّ

---

(١) **تيميستوكليس** (Thémistocle): سياسيّ وقائد عسكريّ يوناني (٥٢٤ ـ ٤٥٩ق.م)، وهو صانع الانتصار على الفرس في معركة سالاميس.

(٢) **خاشايار** الأوّل (Xerxès): الملك الفارسيّ (٥١٨ ـ ٤٦٥ق.م) الذي حاول غزو اليونان وقاد حملة عسكرية ضدّ أثينا سنة ٤٨٠ق.م انتهت بتدمير الأسطول الفارسيّ في موقعة سالاميس.

والبحر. كان ذلك بمقتضى مرسوم وافق عليه الجميع، لأنّ التُّرجُمان «تجرّأ على استخدام اللغة اليونانيّة للتعبير عن أوامر أحد الهمجيّين».

لا يقوم شعبٌ بمثل هذه الحركة إلاّ إذا كان في ذروة مسيرته. ما أن يفقد الإيمان بِلُغَتِه، ما أن يكفّ عن الاعتقاد بأنّها أعلى أشكال التعبير، بأنّها اللغة نفسُها، حتى يكون قد بلغ أقصى درجات الانحطاط وأصبح خارج التاريخ.

❊

دافع أحدُ فلاسفة القرن السابق بكلّ سذاجة عن أن لا روشفوكو[1] على حقّ في ما يتعلّق بالماضي لكنّ المستقبل سيقوم بتكذيبه. فكرةُ التقدّم تدنّس شرف العقل.

❊

كلّما تقدّمَ الإنسان قلّت قدرته على حلّ مشاكِله، وما أن يُتاح له، وهو في مُنتَهى العمى، أن يتصوّر أنّه على وشك النجاح، حتى يُفاجئه اللامعقول.

❊

قد أزعج نفسي عند الاقتضاء من أجل القيامة، أمّا من أجل

(١) **لاروشفوكو** (La Rochefoucauld): دوق وكاتب فرنسي (١٦١٣ ـ ١٦٨٠) اشتهر بيوميّاته وكتاباته الشذريّة التي تحوّلت إلى حِكَم وأقوال مأثورة.

ثورة... أن أُساهم في نهايةٍ أو تكوينٍ، في كارثةٍ نهائيّة أو بدئيّة، أي نعم، ولكن ليس في تغييرٍ نحو أفضلٍ أو أسوأٍ مَا.

*

لا يملك قناعات إلاّ ذلك الذي لم يتعمّق في شيء.

*

بمرورِ الزمن يَلِدُ التسامُحُ من الشرور أكثر ممّا يلدُهُ التزمُّت ـ إذا ثبتت هذه الحقيقة فهي أخطر تهمةٍ يمكن أن تُوجَّه إلى الإنسان.

*

ما أن تكفّ الحيواناتُ عن الإحساس بالحاجة إلى الخوف بعضها من البعض الآخر، حتى تسقط في البلادة ويغلب عليها مظهرُ الخنوع الذي نلاحظه عليها في حدائق الحيوان. قد يمنحنا الأفراد والشعوب نفس المشهد لو أنّهم استطاعوا ذات يوم أن يعيشوا في انسجام، وأن يكفّوا عن الارتجاف علنًا أو خفيةً.

*

نتّخذُ مسافةً زمنيّةً من الأشياء فإذا لا شيءَ جيّد ولا شيء سيّئ. المؤرّخ الذي يحشر أنفَه في تقييم الماضي ليس سوى ***مبعوثٍ صحفيّ إلى قرنٍ آخر***.

*

بعد مائتي سنة (بما أنّنا مُطالَبُونَ بالدقّة!) سيُحشَرُ الناجُونَ من

الشعوب المُرفّهة بإفراط في محميّات، وسيذهب الناس لرؤيتهم، للتأمُّل فيهم بتقزّز أو بشفقة ودهشة، وكذلك بإعجاب ماكر.

❊

يبدو أنّ القردة التي تعيش في مجموعات تقوم بطرد كلّ فردٍ من أفرادها إذا تعامل مع البشر بطريقة أو بأخرى. كم نتحسّر على أنّ شخصًا مثل سويفت[1] لم ينتبه إلى تفصيلٍ بهذه الأهميّة!

❊

هل يجب علينا أن نلعن القرن الذي نعيش فيه أو كلّ القرون؟

هل نتصورّ البوذا يهجُرُ العالَمَ ***بسبب مُعاصِريه***؟

❊

إذا كانت البشريّة مولعةً إلى هذا الحدّ بالمُخلّصين، أولئك المسعورين الذين يؤمنون بأنفسهم دون أن يجفّ لهم ماءُ وجه، فلأنّها تتصوّر أنّهم بها يؤمنون.

❊

قوّةُ هذا الرئيس تتمثّلُ في أنه واهِمٌ وكَلْبيّ.

حالمٌ عديمُ الضمير.

❊

---

(١) **جوناثان سويفت** (Swift): كاتب إيرلندي أنجليزي (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥)، من أشهر مؤلّفاته «رحلات جلفر» و«حرب الكُتُب».

أفظَعُ الأعمال الإجراميّة يُقتَرَفُ بحماسة.

تلك الحالة المرَضيّة التي تكاد تكون مسؤولةً عن كلّ المآسي العامّة والخاصّة.

❊

المُستقبَل، اِذهبوا لرؤيته إذا كانت تلك رغبتكم. أُفضّل الاكتفاء بهذا الحاضر الذي لا يُصدَّق، وهذا الماضي الذي لا يُصَدَّق، تاركًا لكم أنتم عناءَ مواجهةِ ما لا يُصَدَّقُ نفسُه.

❊

قالت لي سيّدةٌ مُطَّلِعة:

ـ أنتَ ضدّ كلِّ ما أُنْجِزَ منذُ الحربِ الأخيرة.

ـ لقد أخطأتِ التاريخ. أنا ضدَّ كُلِّ ما أُنْجِزَ منذ آدم.

❊

هيتلر[١] هو بلا شكّ أكثر شخصيّةٍ في التاريخ إثارةً للرعب وتحريكًا للعواطف. لقد نجح في تحقيق النقيض تمامًا لما أراد تحقيقه، ودَمَّرَ نقطةً بعد نُقطة مَثَلَهُ الأعلى. لذلك هو وحشٌ على حدة، أيّ أنّه وحشٌ مرّتين، لأنّه وحشٌ أيضًا من جهة العواطف التي يحرّكها.

❊

---

(١) **أدولف هيتلر** (Hitler): السياسيّ الألمانيّ النازيّ (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥). ويبدو في عودة سيوران إلى ذكره الكثير من رواسب علاقته الملتبسة بشعارات النازيّة في شبابه.

كلّ الأحداث الكبرى تَسَبَّبَ فيها مجانين، مجانين... رديؤون. لنكن واثقين من أنّ الأمر نفسه سينطبق على «نهاية العالم» نفسِها.

❊

يُعلّمنا *الزوهار*[1] أنّ الذي يقترفون الشرّ على الأرض لم يكونوا أفضل حالاً في السماء، وأنّهم كانوا يتلهّفون إلى مُغادرتها، وحين وثبوا على باب الهاوية «سبقوا الزمن المُعيَّنَ لِهُبوطِهم هذا العالَم».

نتبيّن بِيُسْرِ العمق الذي تمتلكه هذه الرؤية عن وجودٍ سابِقٍ للأرواح، وفائدَتَها حين يتعلّق الأمر بشرح أسباب ثقة «الأشرار» بأنفسهم، وانتصارهم وصلابتهم وكفاءتهم. لقد استعدُّوا طويلاً لضَرْبَتِهم، ولا عجَبَ من ثمّ في أن يتقاسَمُوا الأرض: لقد استولوا عليها قَبْلَ يُصبِحوا فيها... منذ الأَزَل في واقع الأمر.

❊

ما يُميّز النبيّ الحقيقيّ من الآخرين، أنّه مصدرُ حركات ومذاهب تتنافَى وتتقاتل.

❊

في مدينة كبيرة أو في قرية صغيرة، لا نحبّ شيئًا أكثر ممّا نُحبُّ مُعاينةَ سُقوطِ واحدٍ من أمثالِنا.

❊

شهيّةُ التدمير راسخةٌ فينا إلى حدٍّ أنّنا عاجزون جميعُنا عن

---

(١) **كتاب الزوهار** (Le Zohar): انظر الصفحة ٥٧ الملاحظة ١.

استئصالها. إنّها جزءٌ من بنية كلٍّ منّا، بما أنّ قرارة الكينونة الذاتيّة شيطانيّة دون شكّ.

الحكيمُ مُدَمِّرٌ مُشبَع، مُحالٌ على المعاش. الآخرون مُدمِّرون *في الخِدمة.*

*

الشقاءُ حالةٌ سلبيّة يُخْضَعُ لها، في حين أنّ اللعنة تفترض انتخابًا بِعكِس الاتّجاه، ومن ثمّ هي تفترض فكرةَ مهمّةٍ مَا، فكرةَ قوّةٍ باطنيّة غير متورّطة في الشقاء. إنّ فردًا أو شعبًا ملعونًا هو بالضرورة ذو قيمة أخرى غير قيمةِ الفرد أو الشعب الشقيّين.

*

التاريخ بالمعنى الدقيق للعبارة لا يتكرّر. ولكن لمّا كانت الأوهام التي يقدر عليها الإنسان محدودةً من حيث العدد فإنّها تعود دائمًا في زيٍّ تنكُّريّ جديد، مُتيحةً لأيّ سفالةٍ بالغةٍ في القِدمَ أن تبدو جديدة، وبِطِلاءٍ مأساويّ.

*

أقرأُ صفحاتٍ عن جوفينيان[1] وعن القدّيس بازيليوس الكبير[2] وآخرين. صراعاتُ القُرون الأولى بين الأرثودوكسيّة

---

(١) الراهب **جوفينيان** (Jovinien): (توفي حوالي ٤٠٥م) كان ضد النسك المسيحي واتهم بالهرطقة.

(٢) **القديس بازيليوس الكبير** أو بازيليوس قيصريّة (Saint Basile): الأسقف اليوناني لقيصرية التركية (٣٣٠ ـ ٣٧٩) وأحد أهمّ علماء اللاهوت.

والهرطقات لم تعد تبدو لنا جنونيّة أكثر من الصراعات التي عودّتنا عليها الإيديولوجيّات الحديثة. طُرُقُ المُجادَلة، الأهواءُ المتشابِكة، الأعمالُ الجنونيّة والأُخرى المُثيرة للسخريّة، كلُّها تكاد تتطابق.

في الحالتين يدور كلّ شيء حول ما هو غير حقيقيّ وما لا يمكن إثباتُه، اللذَيْنِ يُشكّلان أساسَ العقائد سواءٌ كانت دينيّة أو سياسيّة.

لن يُصبح التاريخُ قابلاً للاحتمال إلاّ إذا تخلّصنا من هذه ومن تلك. حتى لو صحّ أنّهُ سينتهي عندئذ، مُسعِدًا الجميعَ، الخاضعين لهُ مثْلَ صانِعِيه.

*

لا يجعلُ التدميرَ مشبوهًا إلاّ سُهولتُه. في وسْعِ أيّ عابِر سبيل أن يبرع فيه. ولكنْ إذا كان التدميرُ سهلاً فإنّ تدميرَ الذات أقلّ سُهولة. ذاكَ تفوُّقُ الساقِط على المُشاغِب أو الفوضويّ.

*

أخشى أنّي، لو عشتُ في بدايات المسيحيّة، لخضعتُ لغوايتها. أكرهُ هذا المُتعاطِف، هذا المتعصّب الافتراضيّ، هذا الانضواءَ القادِمَ من ألفي سنة.

*

يتنازعُني العنفُ وخيبةُ الأمل، حتى أنّي أظهر لنفسي بمظهر

إرهابيٌ خرج وفي عزمه أن ينفِّذ اعتداءً مَا، فتوقّف في منتصف الطريق ليراجع سِفْرَ الجامِعة[1] أو إبكتاتوس[2].

❊

الإنسان، لو صدّقْنا هيغل، لن يكون حرًّا تمامًا «إلاّ إذا أحاط نفسَه بعالَمٍ أنشأه كلَّهُ بنفسِه».

ذاكَ ما قام به تحديدًا، لكنّه لم يكن على الإطلاق مُقيّدًا وعبدًا أكثر ممّا هو الآن.

❊

لن تُصبح الحياةُ مُحتَمَلةً إلاّ في حضن بشريّةٍ لم يعد لها إطلاقًا أيُّ وهمٍ على سبيل الاحتياط، بشريّة ثابَتْ تمامًا إلى رُشدها وباتت **سعيدة** بذلك.

❊

كلُّ ما أُتيحَ لِي أن أُفكِّر فيه وأن أشعُر بهِ لا يتميّز عن تمرينٍ في اليوطوبيا المُضادّة.

❊

الإنسان لن يدوم فالفناء يترصّدُه، وسيتوجّبُ عليه أن يدفع ثمن

---

(١) سفر الجامعة (Ecclèsiaste): هو أحد أسفار التناخ والعهد القديم.

(٢) **إبكتاتوس** (Epictète): فيلسوف رواقي روماني (٥٥ ـ ١٣٥) قال إنّ السعادة موجودة في النفس لا خارجها. لم يترك كتبًا لكن تلميذه أريانوس جمع تعاليمه في كتابين: «المحادثات» و«الدليل المختصر».

مسيرته شديدة الغرابة. إذ أنّ من المُضادّ للطبيعة وممّا لا يمكن تصوُّره أن يبقى طويلاً وينتهي نهايةً سعيدة. هذا المنظور مُحبِطٌ وهو من ثمّ مُحتَمَل.

❊

«الاستبداد المستنير»: النظام الوحيد الذي يمكن أن يُغري عقلاً لم يعد مُباليًا بشيء، وباتَ عاجزًا عن أن يكون شريكًا للثورات، بما أنّه لم يعد حتى شريكًا للتاريخ.

❊

ليس أشدّ وطأةً من نبيّين في عصرٍ واحد. على أحدهما أن ينسحب ويتوارى كي لا يُصبح عرضةً للسخرية. إلاّ إذا حصل ذلك لكليهما، وهو ما قد يكون الحلّ الأكثر إنصافًا.

❊

أشعر بالتأثّر وحتى بالصدمة كلمّا وقعتُ على **بريء**. من أين هو قادم؟ عَمَّ يبحث؟ ألا يُمَهِّدُ ظُهورُهُ لكارثةٍ مَا؟ إنّه لاضطرابٌ شديد الخصوصيّة ذاك الذي يعترينا أمام شخصٍ لا يمكننا بأيّ وجهٍ من الوجوه أن نعتبره من أمثالنا.

❊

حيثُما سجَّلَ المُتحضّرون ظُهورَهم لأوّل مرّة، اعتبرهم السكّانُ الأصليّون كائنات شرّيرة، أشبهَ بالموتى العائدين أو الأشباح. ولا مرّةً اعتبروهم ***أحياء***.

حدْسٌ لا نظير له. نظرةٌ نبوئيّة بامتياز.

❋

لو أنّ كُلاً منّا «فَهِمَ» لانتهى التاريخ منذ وقت طويل. لكنّنا في الأساس عاجزون بيولوجيًّا عن «الفهم». وحتى لو فهم الجميعُ باستثناء شخصٍ واحد، فإنّ التاريخ سيستمرّ بسببه، بسبب عَماه، بسبب وَهْمٍ وَحِيد.

❋

أكّدَ أحدُهم أنّنا في نهاية «دورةٍ كَونِيّة» وأنّ كلّ شيء سينهار عمّا قريب. وأنّه لا يشكُّ في ذلك لحظةً.

في الوقت نفسِه هو ربُّ عائلة، وعائلة كبيرة العدد. أيُّ شُذُوذ زيّنَ لهُ بقناعاته تلك أن يُلقي بالطفل تلو الآخر في هذا العالم الهالِك؟ إذا كنّا نتوقّع النهاية وعلى يقينٍ من أنّها لن تتأخّر ونكادُ نتعجَّلُها، فإنّ من الأفضل أن ننتظرها لِوَحْدِنا. لا يَجُوزُ التكاثُرُ في بَطْمُسْ[1].

❋

مونتاني الحكيم لم يترك عَقِبًا، وروسو[2] الهيستيريُّ ما انفكّ يُؤثّر في الأُمَم. لا أحبّ إلاّ المُفكّرين الذين لم يُلْهِمُوا أيّ خطيب.

❋

---

(١) **بطمس** (Patmos): جزيرة يونانية تطل على بحر إيجه، كان الرومان ينفون فيها المُخالفين، ذكرت في سفر الرؤيا في العهد الجديد.

(٢) **مونتاني** (Montaigne): الكاتب والمفكّر الفرنسي (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢) ـ **روسو** (Rousseau): الكاتب والفيلسوف الذي ولد في جينيف (١٧١٢ ـ ١٧٧٨).

سنة ١٤٤١ في مجمع فلورنسا[١]، تقرَّرَ أنّ الوثنيّين واليهود والهراطقة والمُنفصلين لا يجوز لهم أن يكونوا مُشتركين في «الحياة الأبديّة»، وأنّهم سيذهبون كُلُّهم إلى الجحيم ما لم ينضمّوا إلى الكنيسة الكاثوليكيّة قبل نهاية حياتهم.

كانت الكنيسةُ كنيسةً حقًّا أيّامَ كانت تُجاهر بمثل هذه الفظاعات. المُؤسّسَةُ لا تكون حيّةً وقويّةً إلاّ حين تنبُذُ كُلَّ ما عَدَاها. المُصيبةُ أنّ الأمر نفسه يصحّ في شأنِ الأمّة أو النظام.

*

العقلُ الجِدّيّ والصادِق لا يفهم شيئًا ولا يمكنه أن يفهم شيئًا من التاريخ. في المُقابل يملك التاريخ قدرةً رائعة على توفير المباهج لعلاّمة ضليعٍ في التهكُّم.

*

يا لهُ من إحساسٍ بالرفاهية الخارِقة، لِمُجرَّدِ التفكير في أنّنا، كبشر، قد وُلدنا منحوسين، وأنّ كلّ ما قُمنا به وكلّ ما سنقوم به سيسهر عليه النحس.

*

ارتبط أفلوطين[٢] بصداقةٍ مع عضوٍ من أعضاء مجلس شيوخ

---

(١) **مجمع فلورنسا** (Concile de florence ١٤٤١): المجمع المسكوني السابع عشر في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.

(٢) **أفلوطين** (Plotin): الفيلسوف اليوناني (٢٠٤ ـ ٢٧٠) مؤسس الأفلاطونية الحديثة.

روما، كان قد حرّر عبيده وتخلّى عن ممتلكاته وأصبح يأكل وينام لدى أصدقائه لأنّه لم يعد يملك شيئًا. من زاوية النظر «الرسميّة» كان هذا الشيخ ضالاً، ولا شكّ أنّ حالته كانت تبدو مُقلقة. بل إنّها كانت كذلك حقًّا: قِدّيس في مجلس الشيوخ... حُضوره، إمكانيّتُه حتى، يا لها من علامة! لا شكّ أنّ العصابات على الأبواب...

❊

الإنسانُ الذي تغلّب كُليًا على الأنانيّة، ولم يحتفظ بأيّ أثَرٍ منها، لا يستطيع أن يصمُدَ أكثر من واحد وعشرين يومًا. ذاك ما تُعلّمُهُ إحدى مدارس الفيدانتا الحديثة.

ما كان لأيّ واعظٍ غربيّ، بما في ذلك أكثرهم تشاؤمًا، أن يجرؤ على عَرْضِ فِكرةٍ عن الطبيعة البشريّة بمثل هذه الدقّة المروّعة، الناطقة.

❊

نتمسّكُ أقلّ فأقلّ بالتقدّم وأكثر فأكثر ***بالتحوُّل***. وكلُّ ما نحتجّ به للبرهنة على مزاياه لا يعدو أن يكون أمارةً فوق أمارةٍ على كارثة منقطعة النظير.

❊

لا نستطيع أن نتنفّس ـ ونصرخ ـ إلاّ في نظامٍ مُتعفّن. لكنّنا لا ننتبه إلى ذلك إلاّ بعد أن نُساهم في تدميره، وحين لا تبقى لنا قدرة إلاّ على التحسُّر عليه.

❊

ليس ما نسمّيه غريزةً خلاّقةً سوى انحراف وفسادٍ في طبيعتنا: نحن لم نُولَدْ كي نُجَدِّد أو نقلبَ الأمور رأسًا على عقب، بل وُلِدنا كي نستمتع بنصيبنا من شِبْهِ الكينونة، ونستهلكه بهدوء، ثمّ نختفي دون ضجّة.

*

كان الأزتيك[1] على حقٍّ في الإيمان بضرورة تهدئة الآلهة ومَنْحِهِم كلَّ يوم شيئًا من الدم البشريّ، كي يمنعوا العالم من الانهيار والسقوط في الفوضى من جديد.

لم نعد نؤمن بالآلهة ولم نعد نقدّم لها القرابين منذ وقت طويل. وعلى الرغم من ذلك مازال العالم موجودًا. هذا صحيح. إلاّ أنّنا أهدرنا نهائيًّا الفرصة لنعرف لماذا لا ينهار على الفور.

(١) **الأزتيك** (Les Aztèques): الشعب الذي أسّس إحدى أبرز الحضارات العالميّة، وبلغ ذروته مع ازدهار إمبراطوريّة ما يُسمّى حاليًّا بالمكسيك.

IX

لا شيء يحدونا في كلّ ما نسعى إليه إلاّ الحاجة إلى العذاب. رحلتُنا بحثًا عن الخلاص هي نفسُها عذاب، بل هي أكثر العذابات مكرًا وأفضلها تمويهًا.

*

إذا صحّ أنّ الموت يعود بنا إلى ما كنّا عليه قبل أن نكون، أما كان من الأفضل أن نكتفي بالإمكانية المحض وأن نقف عندها؟ ما جدوى هذا المنعطف، في حين كنّا نستطيع البقاء إلى الأبد في اكتمالٍ غير متحقّق؟

*

كلّما خذلني جسدي تساءلتُ، كيف يمكنني بجيفةٍ مثل هذه أن أقاوم استقالة الأعضاء...

*

كانت الآلهة القديمة تسخر من البشر وتحسدهم وتُطاردهم وعند الحاجة تضربهم. ولمّا كان إله الأناجيل أقلّ تهكُّمًا وغيرةً، فإنّ الفانين حُرِمُوا لسوء حظّهم حتى من عزاء اتّهامه. عند هذه النقطة ينبغي أن

نبحث عن سبب غياب أو استحالة ظهور أسخيلوس[١] مسيحيّ. الإله الطيّب قتل التراجيديا. زيوس[٢] كان أجدرَ بامتنانَ الأدب.

*

مهما عادت بي الذاكرة، فإنّي لا أذكُرُني إلاّ مُوَسوَسًا مجنونًا بالتنازل. ولكن التنازل عمّاذا؟

إذا كنتُ في القديم قد تمنّيتُ إلى حدّ كبير أن أُصبح شخصًا ذا شأن، فما ذلك إلاّ لأستطيع أن أقول ذات يوم مثل شارلكان في يوستي[٣]: «أنا ذا لم أعد شيئًا».

*

أعاد باسكال كتابة بعض ***الرسائل الريفية*** للمرّة السابعة عشرة. وإنّنا لنقف مشدوهين لقدرته على بذل هذا القدر من الطاقة والوقت في عملٍ يبدو لنا اليوم بلا أهميّة. كلّ جدلٍ يتقادم، كلّ جدلٍ مع البشر. في ***الخواطر***[٤] كان الجدل مع الله. لذلك ظلّ يعنينا بعضَ الشيء.

*

---

(١) **إسخيلوس** (Eschyle): مسرحي تراجيدي يوناني (٥٢٦ ـ ٤٥٦ق.م) ثالث ثلاثة إلى جانب سوفوكليس وأوريبيدس.

(٢) **زيوس** (Zeus): حاكم جبل الأولمب في ميثولوجيا الإغريق، وسلاحه الأساسيّ الصاعقة.

(٣) **يوستي** (Yuste): مدينة في غرب إسبانيا يوجد فيها الدير الذي اعتزل فيه شارلكان من ١٥٥٧ إلى حين وفاته سنة ١٥٥٨.

(٤) **الرسائل الريفية** (Les Provinciales) عمل باسكال الذي اعتُبر تجديدًا في النثر. ويشير سيوران إلى كتاب «خواطر» أو «أفكار» (Pensées).

اعتكف القدّيس سيرافيم دي ساروف[1] في عزلة تامّة طيلة خمسة عشر عامًا، لم يفتح خلالها باب حجرته لأحد، ولا حتى للأسقف الذي كان يزور الصومعة بين الحين والآخر. كان يقول «الصمتُ يقترب بالإنسان من الله ويجعله في الأرض شبيهًا بالملائكة».

كان على القدّيس أن يُضيف أنّ الصمت لا يبلغ أقصى درجات عمقه إلاّ عند استحالة الصلاة...

*

أبناءُ الحداثة فقَدُوا الإحساس بالمصير، ومن ثَمّ لم يعودوا قادِرين على تذَوُّقِ الرثاء. علينا فورًا أن نعيد إحياء الكورس في المسرح، والنادبات في الجنازات.

*

القَلِقُ يتشبّث بكلّ ما يدعم ويُحفِّزُ إحساسهُ بالضيق. وبما أنّ القلق قاعدةُ وجودِه وازدهارِه فإنّ السعيَ إلى شفائه منه يُزعزع توازُنَهُ. يعرفُ راهِبُ الاعتراف الذكيّ أنّ القلق ضروريٌّ وأنّنا ما أن نجرِّبَهُ مرّةً حتى نعجز عن الاستغناء عنه. ولمّا كان لا يجرؤ على المُجاهرة بمنافعه فإنّه يلفُّ ويدور مادحًا الندم باعتباره قلَقًا مُشَرِّفًا مُعتَرفًا به. جميلٌ يعترف له به زبائنه. لذلك ينجح هو بسهولةٍ في

---

(١) **القديس سيرافيم دو ساروف** (Saint Séraphim de Sarov): رجل دين روسي (١٧٥٤ ـ ١٨٣٣) من رموز الكنيسة الاورثوذوكسيّة.

الاحتفاظ بهم، بينما يُعاني زملاؤه اللائكيّون ويتذلّلون في سبيل الاحتفاظ بزبائنهم.

❊

قلتم لي إنّ الموت غير موجود. أقرُّ بذلك، شرْطَ التأكيد فورًا على أنْ لا شيء موجود. إنّه لمن الغُلُوّ الصرف أنّ نعتبر أيّ شيء حقيقيًا وأن ننكر ذلك على ما يبدو حقيقيًا بمثل هذا الوضوح.

❊

إذا حدث أن اقترفنا حماقةَ البوح بسرّنا لأحد، فليس من وسيلة تجعلنا واثقين من أنّه سيحتفظ به لنفسه، غير أن نقتُله على الفور.

❊

«تزورُ الأمراضُ البشرَ، بعضُها بالنهار وبعضُها بالليل، جالبةَ العذابَ للفانين ـ في صمتٍ، لأنّ زيوس الحكيم حرَمَها الكلام». (هيزيود).

ذلك من حسن الحظّ، لأنّها بشعة وهي صامتة، فماذا تكون وهي ثرثارة؟ هل يمكننا أن نتخيّل مرضًا يُعلن عن نفسه؟ إعلانات عوضًا عن الأعراض! لقد أعرب زيوس عن لُطفٍ هذه المرّة.

❊

في عصور العُقْم، كان لابدّ من البيات الشتويّ، والنوم ليل نهارًا للمحافظة على القوى، عوضًا عن تبذيرها في الإهانات والأحقاد.

❊

الميزةُ التي لا يُستهانُ بها لكراهيةِ البشر، كونها تؤول بك إلى أن تتحمّلهم، جرّاء نفاد تلك الكراهية نفسها.

*

أُغلِقُ المصاريع وأستلقي في الظلمة. يتلاشى العالم الخارجيّ بعد أن تخفت ضجّته حتى تكاد لا تبين. لا يبقى إلاّ أنا و... تلك هي المشكلة. نُسّاكٌ كثيرون عاشوا حياتهم يحاورون ما كان الأكثر تخفّيًا فيهم. ليتني أستطيع أسوةً بهم أن أفرغ إلى هذا التمرين الأقصى، حيث نلتحق بحميميّة كياننا الخاصّ! لا شيء أهمّ من هذا الحوار بين الأنا والذات، هذا العبور من إحداهما إلى الأُخرى، الذي لا يُصبح ذا قيمةً إلاّ حين نجدّده باستمرار، وبطريقة تؤدّي بالأنا إلى أن تُذَوَّبَ في وجهها الآخر، في صيغتها الأساسيّة.

*

السخْطُ يُزمجِرُ حتى بين يدي الله، وليس أدلّ على ذلك من تمرُّدِ الملائكة الأوَّل. نكاد نقتنع بأنْ لا أحد من الخليقة في كلّ مستوياتها يغفر للآخر تفوُّقَهُ. نستطيع حتى أن نتصوّر زَهْرَةً **تَحْسِد**.

*

ليس للفضائل وجه. إنّها مبنيّة للمجهول، مُجَرَّدة، مُتَّفَقٌ عليها، لذلك هي أسرع إلى البلَى من الفضائل، المشحونة بالحيويّة بما لا يُقارَن، والتي تتّضحُ وتتفاقم مع التقدّم في السنّ.

*

في فجر الفلسفة كان طاليس[1] يقول «كُلُّ شيءٍ مليءٌ بالله». أمّا في الطَّرَف المُقابل، في هذا الغروب الذي صرنا إليه، فإنّنا نستطيع أن نقول، لا عن حاجةٍ إلى التناظُر فحسب بل احترامًا أيضًا للحقيقة التي لا تحتاج إلى برهان، إنّ «كلّ شيء فارغٌ من الله».

*

كنتُ وحدي في تلك المقبرة المشرفة على القرية حين دخلت امرأةٌ حامل. غادرتُ المكانَ على الفور كي لا أُجْبَرَ على النظر عن كثب إلى حاملة الجثّة تلك، وكي لا أُضطرّ إلى التفكير في التبايُن بين بطنٍ عدوانيّ وقبور مُنطَمِسة، بين وعدٍ كاذب ونهاية كلّ وعد.

*

الرغبةُ في الصلاة لا علاقة لها بالإيمان. إنّها تنبع من اكتئاب من نوعٍ خاصّ، وتدوم على قدر ديمومته، حتى لو غابت الآلهة وغاب ذِكْرُهم إلى الأبد.

*

«ليس لأيّ عبارةٍ أن ترجو شيئًا غيرَ هزيمتها الخاصّة» (غريغوار بالاماس)[2].

---

(١) **طاليس** (Thalès): من كبار الفلاسفة ما قبل السقراطيّين (٦٢٤ ـ ٥٤٦ق.م) وأحد الحكماء السبعة عند الإغريق.

(٢) **غريغوريوس بالاماس** (Grégoire Palamas): رجل الدين المولود في القسطنطينيّة (١٢٩٦ ـ ١٣٥٩) وأحد رموز الكنيسة الأرثودوكسية.

إدانةٌ بهذه الجذريّة لكُلّ أدب ما كان لها أن تصدُرَ إلاّ عن صوفيّ، عن أحد مُحترفي ما لا يُوصف.

❋

في العُصور القديمة، كان الكثيرون، من بين الفلاسفة تحديدًا، لا يتردّدون في اللجوء إلى الاختناق الطوعي، ممتنعين عن التنفُّس إلى أن يُدركهم الموت. هذه الطريقةُ الأنيقةُ الناجعة في الوقت نفسه، لوضْعِ حدٍّ للحياة، اندثرت تمامًا، ولا شيء يؤكّد على الإطلاق أنّها قد تظهر من جديد ذات يوم.

❋

قِيلَ ذلك وكُرِّر: إنّ فكرةَ المصير التي تعني تغييرًا وتاريخًا لا تنطبق على كائنٍ لا يتغيّر، لذلك ليس في وسعنا الحديث عن «مصير» الله.

لا شكّ في ذلك نظريًا. أمّا عمليًا فنحن لا نكفّ عن الخوض في مصير الله، خاصّة في العصور التي تشهد اضمحلالَ العقائد واهتزازَ الإيمان، حيث لا شيء يبدو قادرًا على مُقاومة الزمن، وحيث يُجرّ الله نفسُه إلى الانحلال العامّ.

❋

ما أن نقول *نُريدُ*، حتى نقع تحت طائلةِ الشيطان.

❋

الحياةُ لا شيء. الموتُ هو كلُّ شيء. وعلى الرغم من ذلك لا يُوجد شيءٌ هو الموتُ بمعزِلٍ عن الحياة.

إنّ غياب هذه الحقيقة المنفصلة المستقلّة بذاتها هو تحديدًا ما يجعل الموت كونيًا. إنّه لا يملك مجالاً خاصًا به. إنّه كُلّيُّ الحُضور مثل كُلِّ ما يفتقر إلى هُويّة، مثل كلّ ما ليس له حدٌّ ولا هيئة: إنه لا تناهٍ فاحِش.

❊

نشوة. كنت مبتهجًا بلا سبب، مدفوعًا بقوّةٍ أجهل كنهها، عاجزًا عن تمثُّل مزاجي العاديّ وما ينتج عنه من أفكار، حتى أنّي حدّثتُ نفسي بأنّ هذا الابتهاج مجهول المصدر، هو ما يشعر به دون شكّ أولئك الذين يعملون ويكافحون و**يُنتجون**.

إنّهم لا يُريدون ولا يستطيعون التفكير في ما يُلغيهم. وحتى لو فعلوا فإنّ ذلك سيظلّ بلا تأثير، تمامًا كما كان الشأن بالنسبة إليّ في ذلك اليوم الذي لا يُنسى.

❊

لماذا نعلّق على ما يستبعد التعليق؟

النصُّ المشروح لم يعد نصًا. علينا أن نعيش مع الفكرة لا أن نقطّع أوصالها. أن نتصارع معها لا أن نصف مراحلها. إنّ تاريخ الفلسفة نفيٌ للفلسفة.

❊

حاولتُ أن أعرف، بدافع وسواسٍ مشبوه، ما هي على وجه الدقّة الأشياءُ التي تعبتُ منها، وقرّرتُ أن أضع لها قائمة.

وعلى الرغم من أنّها لم تكتمل فقد بدت لي هذه القائمة أطول وأكثر إحباطًا ممّا يُطاق، حتى أنّي فضّلتُ الانكفاءَ على ***التعب في ذاته***، تلك الصيغة المثيرة للزهو، القادرة بفضل مُقوِّمها الفلسفيّ على شدّ عزم أيّ مُحبَط، حتى المُصاب بالطاعون.

❊

تدميرُ النحو والصرف وتفجيرهما. انتصارُ الالتباس والتقريبيّ. كلُّ ذلك جيّدٌ جدًّا. لكن حاولوا أن تكتبوا وصيّتكم، وسترون إن كانت الصرامةُ اللغويّة المرحومة حقيرةً بِقدْرِ ما توهّمتم.

❊

القولُ المأثور؟ نارٌ بلا لَهب. من ثمّ نفهم أنْ لا أحد يرغب في الاستدفاء بها.

❊

لن يمكنني الارتقاء إلى «الصلاة بلا انقطاع» كما يوصي بها الهُدوئِيُّون[١]، حتى لو فقدت العقل. أنا لا أفهم من التقوى إلاّ تجلّيات الشطط والتطرّف المشبوهة، وما كان للنُّسْكِ أن يستوقفني

---

(١) **الهُدوئيون** (Hésychastes): نسبة إلى الهدوئيّة (Hésychasme) وهي حركة روحية متجذّرة في تاريخ الكنيسة الشرقية (الأرثودوكسية) ويُعتبر القديس غريغوريوس أعظم لاهوتيّيها.

لحظةً لولا أنّنا نعثر فيه على تلك الأشياء التي هي نصيب الراهب السيّء: الخمول، الشراهة، الشغف بالحزن، النهمُ إلى العالَم والنفور منه، التنازُع بين التراجيديا والأمل الملتبس في انهيارٍ داخليّ...

*

لم أعد أذكر أيّ الآباء نصح بالعمل اليدويّ لمواجهة السويداء[1]. نصيحة جديرة بالإعجاب ما فتئتُ أعملُ بها تلقائيًا. ليس في وسع أيّ كآبة، تلك السويداء العلمانيّة، ان تصمد أمام البريكولاج.

*

لا قهوة، لا كحول، لا تبغ، منذ سنوات! من حسن الحظّ أنّ لديّ القلق، الذي يعوّض بشكلٍ مُجْدِ أقوى المنشّطات.

*

أخطرُ ما تؤاخَذُ عليه الأنظمة البوليسيّة، كونها تُرغِمُنا من باب الحيطة، على إتلاف الرسائل واليوميّات الشخصيّة، أي ما هو الأقلّ زيفًا في الأدب.

*

---

(١) **السويداء** (L'Acédie): هكذا فضلنا ترجمة العبارة. الكاثوليك يعتبرونها مرضًا يُصيب الروح فتسأم وتنفر من الصلاة وتستسلم إلى الهمود التامّ، وهذه أعراض السويداء أو مرض العشق عند قدامى العرب.

للإبقاء على العقل متنبّهًا، اتّضح أنّ النميمة لا تقلّ نجاعةً عن المرض: كلاهما يدفع إلى نفسٍ التحرّز، نفس الحذر المتشنّج، نفس الإحساس بعدم الاطمئنان، نفس الذعر المُحفّز، نفس الإغناء الوخيم.

*

أنا لا شيء، هذا بديهيّ. لكنّي أردتُ أن أكون شيئًا لفترة طويلةٍ، لذلك أنا لا أنجح في كَبْتِ هذه الإرادة: إنّها موجودة بما أنّها وُجِدت، وهي تشغل بالي وتهيمن عليّ على الرغم من أنّي أرفضها. ومهما حاولتُ إبعادها إلى ماضيّ فإنّها تتمرّد عليّ وتنكّد عيشي. هي لم تتحقّق على الإطلاق، لذلك ظلّت على حالها، وهي غير مستعدّة للخضوع إلى أوامري.

أنا عالِقٌ بيني وبين إرادتي فماذا في وسعي أن أفعل؟

*

في كتابه *سُلَّمُ الفضائل*[1] يلاحظ القدّيس يوحنّا السلمي أنّ الراهب المغرور لا يحتاج إلى أن يُطارده الشيطان فهو شيطانُ نفسِه.

أفكّر في فلان الذي فشل في حياته في الدير. كان أقدر الناس على ان يتميّز ويلمع في المجتمع. ولمّا كان غير مؤهّل للتواضُع والطاعة فقد اختار العزلة حتى تورّط فيها. لم يكن يملك في ذاته

(١) **سلّم الفضائل** (Echelle du paradis): كتاب القديس يوحنّا السلمي أحد كبار الكنيسة الشرقيّة (الأورثودوكسيّة).

شيئًا كي يصير «خليل الربّ» وفق عبارة يوحنّا السلميّ. بالتهكّم نحن لا نستطيع تحقيق خلاصنا ولا خلاص الآخرين. بالتهكّم نحن لا نستطيع إلاّ إخفاء جراحنا إن لم نُخْفِ قَرَفَنا.

*

إنّها لَقُوّةٌ كبيرة وحظٌّ كبير أن نستطيع العيش من دون أيّ طموح. وأنا أُلزِمُ نفسي بذلك. إلاّ أنّ إلزام نفسي بذلك لا يخلو بدوره من طموح.

*

الوقتُ الفارغُ المخصَّصُ للتأمّل هو في الحقيقة الوقتُ الوحيدُ الملآن. علينا أن لا نخجل أبدًا من مراكمة اللحظات الفارغة. الفارغة في الظاهر، الملآنة في الحقيقة. التأمّل هو وقتُ الفراغ الأقصى الذي ضاع سِرُّه.

*

الحركات النبيلة مشبوهةٌ دائمًا. نحن نندم عليها كلّما قمنا بها. إنّها زيف وتمثيل وادّعاء. وإن كنّا لا نقلّ ندمًا على الحركات الدنيئة.

*

لو أنّي أُعيدُ التفكير في أيّ فترة من فترات حياتي، المحموم منها والمحايد، تُرَى ماذا يبقى منها وأيّ فرقٍ يوجَدُ بينها الآن؟ لقد بات كلّ شيءٍ متشابهًا غائم المعالم وغير ملموس، حتى أنّي لم أكن أقرب إلى الحقيقة، أعني إلى وضعي الراهن وأنا أُراجع تجاربي، إلاّ حين كنت أشعر بأنّي لا شيء. ما جدوى كلّ ما

اختبرتُه إذَنْ؟ لم يعد ثمّتَ من «نشوة» في وسع الذاكرة أو الخيال إعادةُ إحيائها!

*

لا أحدَ ينجح، قبل لحظته الأخيرة، في استهلاك موته بشكلٍ كامل. الموتُ يحتفظ ببعض الجدّة، حتى بالنسبة إلى المحتضر.

*

حسب الكابالا، خلق الربُّ الأرواح منذ البداية، وكانت كلّها أمامه في الشكل الذي ستكون عليه فيما بعد حين تتجسّد. كانت كلّ روح حين يحين وقتُها تتلقّى أمرًا بأن تلتحق بالجسد الذي نُذِر لها، إلاّ أنّ كلّ واحدة منها كانت تتوسّل عبثًا لخالقها كي يجنّبها تلك العبوديّة وذلك الدنس.

كلّما فكّرتُ في ما لابدّ أنّه حدث حين حان دور روحي، ازددتُ يقينًا بأنّه إذا كان لروحٍ أن تنفر من التجسُّد أكثر من الأرواح الأخرى، فهي روحي بلا ريب.

*

نتحامل على الشكّاك ونتحدّث عن «آلِيَّةِ الشكّ» لكنّنا لا نتّهم إطلاقًا المؤمِنَ بأنّه وقع في «آليّةِ الإيمان». في حين أنّ صفة الآليّة أقرب إلى الإيمان منها إلى الشكّ، لأنّ لهذا الأخير عُذْرًا في كونه يمرّ من مفاجأة إلى مُفاجأة - داخِلَ الحيرة طبعًا.

*

هذا القليل من النور داخل كُلٍّ منّا، الذي يرجع إلى ما قبل ولادتنا وإلى ما قبل كلّ ولادةٍ بكثير، هو ما ينبغي أن نُحافظ عليه إذا كنّا نريد أن نجدّد صلتنا بذلك الصفاء البعيد، الذي لن نعرف أبدًا لماذا فُصلنا عنه.

*

لم يُتَحْ لي أنّ أشعر مرّةً واحدةً بالاكتمال والسعادة الحقيقيّة دون أن أُفكِّرَ في أنّها اللحظة الأنسب كي أنسحب إلى الأبد.

*

تأتي لحظةٌ يبدو لنا فيها من غير المجدي أن نختار بين الميتافيزيقا والهواية، بين ما لا يُسْبَرُ غَوْرُه والطُّرْفة.

*

كي نُحكِم قياس التراجع الذي سجّلته المسيحيّة بالنسبة إلى الوثنيّة، ليس علينا إلاّ نعمد إلى السخافات التي روّجها آباءُ الكنيسة حول الانتحار، ونُقارِنَها بالآراء التي عبّر عنها في نفس الموضوع أشخاصٌ مثل بلينيوس وسينيكا وشيشرون[١].

*

أيُّ مغزى لما نقول؟ هل ثمّتَ من معنًى لتلك السلسلة من

---

(١) **بلينيوس الأكبر** (Pline): العالم والمؤرخ الإيطاليّ (٢٣ ـ ٧٩م) صاحب «التاريخ الطبيعيّ». ـ **سينيكا** (Sénèque): الفيلسوف والكاتب المسرحي الروماني (حوالي ٤ق.م ـ ٦٥م) ـ **شيشرون** (Cicéron): الكاتب والخطيب الروماني (١٠٦ ـ ٤٣ق.م).

الجُمَل التي يتكوّن منها الخطاب؟ وهل من موضوع لهذه الجُمَل لو توقّفنا عندها واحدةً بعد الأُخرى؟

ليس في وسعنا أن **نتكلّم** إلاّ إذا تجاهلنا هذا السؤال أو حرصنا على طرحِهِ أقلّ ما يمكن.

*

«لا أُبالي بشيء على الإطلاق» ـ لو نطقنا بهذه العبارة ولو لمرّةٍ واحدة، بهدوء، وعن إدراك كامل لدلالتها، لأصبح التاريخُ مُبرَّرًا، ومعه نحن جميعًا.

*

«ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميعُ الناس حسنًا»(١)!

كان المسيح يتنبأُ هنا بنهايته. الجميع اليوم يقولون فيه حسنًا حتى أكثرُ الكافرين به عنادًا، وأولئك بشكلٍ خاصّ. كان يعلمُ أنّه سيقع ذات يوم ضحيّةَ الاستحسان الكونيّ.

المسيحيّةُ هالِكةٌ مَا لم تتعرّض إلى قمعٍ لا يقلّ ضراوةً عمّا تعرّضت إليه في بداياتها. ينبغي عليها ومهما كان الثمن أن تصطنع أعداء وأن تُعِدَّ لنفسِها مصائب كُبرى. الوحيدُ الذي قد يكون قادرًا حتى الآن على إنقاذها هو نيرونٌ(٢) جديد...

*

---

(١) إنجيل لوقا. الأصحاح السادس.

(٢) **نيرون** (Néron): الإمبراطور الروماني (٣٧ق.م ـ ٦٨م) الذي سجّل له التاريخ أنّه أحرق روما بعد أن قتل أمّه التي وضعته على العرش وأمر مُعلّمه سينيكا بقتل نفسه.

أعتقد أنّ الكلامَ قريبُ العهد. يصعب عليّ أن أتصوّر حوارًا يعود إلى ما قبل عشرة آلاف عام. ويصعبُ عليّ أكثر أن أتصوّر وُجود حوار في المستقبل، لا بعد عشرة آلاف بل حتى بعد ألف عام فحسب.

❉

في كتابٍ للطبّ النفسانيّ لا تَشُدُّني إلاّ أقوالُ المَرْضَى، وفي كتابٍ نقديّ لا تشدُّني إلاّ الاقتباسات.

❉

لا أحدَ يستطيعُ شيئًا لتلك البولونيّة، التي كانت في ما وراء الصحّة والمرض، في ما وراء الحياة والموت. لا يمكن شفاءُ شبح، فضلاً عن شفاءِ ميتٍ حيّ. لا شفاءَ إلاّ لمن ينتمون إلى الأرض، ولمن يملكون فيها جذورًا، مهما كانت سطحيّة.

❉

فتراتُ العُقْم التي نمرّ بها تتزامنُ مع تفاقُم فطنتِنا، ومع كُسوف المعتوهِ فينا.

❉

الذهاب إلى أقاصي فنّه وأكثر من ذلك إلى أقاصي كيانِه، تلك هي شريعةُ كلِّ من يعتبر نفسه ***مُختارًا*** بقدرٍ مَا.

❉

الكلام هو الذي أتاح للبشر الإيهام بأنّهم أحرار. لو أنّهم فعلوا

ما هم فاعلون، دون أن ينبسوا، لذهب الظنّ إلى أنّهم روبوتات. إنّهم ينخدعون بكلامهم كما يخدعون الآخرين: ما داموا يُعلنون عمّا ينوون القيام به فكيف يمكن أن يخطر على البال أنّهم ليسوا سادةَ أفعالهم؟

*

في قرارة نفسِه يشعر كلٌّ منّا بأنّه خالد ويعتقد ذلك حتى وهو يعلم أنّه ميتٌ بعد لحظة. نحن نستطيع أن نفهم كلّ شيء، أن نسلّم بكلّ شيء، أن نُدرِك كلّ شيء، باستثناء موتنا، في حين أنّنا نفكّر فيه بلا انقطاعٍ مُذعِنين.

*

في المسالخ، في تلك الصبيحة، ظللتُ أنظر إلى الحيوانات وهي تُقادُ إلى المذبحة. كلّها تقريبًا كانت في اللحظة الأخيرة ترفض أن تتقدّم، ولإرغامها على ذلك كانوا يضربونها على قوائمها الخلفيّة.

كثيرًا ما يمرُّ هذا المشهد ببالي، كلّما لُفِظْتُ من النوم، وأنا لا أملك أيّ قوّة لمواجهة العذاب اليوميّ للزمن.

*

أزعم أنّي بارعٌ في تبيّن السمة العابرة لكلّ شيء. يا لها من براعة أفسدت عليّ كلّ أفراحي، وأكثر من ذلك: كلَّ أحاسيسي.

*

كُلٌّ يُكَفِّرُ عن لحظته الأُولى.

❊

أعتقد أنّي أحسستُ للحظةٍ بما يعنيه الاستغراقُ في البراهمن[١] بالنسبة إلى مُؤمنٍ بالفيدانتا. وكم تمنّيت لو أنّ تلك اللحظة كانت قابلة للامتداد، إلى ما لا نهاية.

❊

بحثتُ في الشكّ عن علاج للحيرة، فانتهى العلاجُ إلى التضامُنِ مع المرض.

❊

«إذا انتشر مذهبٌ من المذاهب فلأنّ السماء أرادت ذلك». (كونفوشيوس)[٢].

... ذاك ما وددت إقناع نفسي به كلّما شعرتُ أمام إحدى تلك الضلالات المنتصرة، بغيظٍ يُدانِي السكتة.

❊

ما أكثر المهووسين، المُختلّين، المُنحطّين، الذين أُعجِبتُ بهم! أشعر الآن بارتياح شبيه بلذّة الجماع، لفكرة أنّه لن تُتبنّى قضيّةٌ بعد الآن، مهما كانت...

❊

---

(١) البراهمن (Le brahman): يشير مصطلح **البراهمن** في الهندوسيّة إلى الوعي المطلَق. ويرى البعض أنّه يُقابِل الـ«أتمان»، وحين يحلّ هذا في ذاك يُصبحان ذاتًا واحدة.

(٢) كونفوشيوس (Confucius): الحكيم والفيلسوف الصيني (٥٥١-٤٧٩ق.م).

هل هو بهلوان؟ هل هو قائد أوركسترا اختطفته الفكرة؟ هو ذا يهتاج ثمّ يهدأ، مُناوبًا بين الأليغرو والأندانتي(١)، متحكّمًا في نفسه مثل الدراويش أو الدجّالين. كلّما ظلّ يتكلّم أعطاك انطباعًا بأنّه يبحث دون أن تعلم أبدًا عمّاذا: إنّه خبير في فنّ تزييف المفكّر. لو قال شيئًا وحيدًا واضحًا تمامًا لهلَك. ولمّا كان يجهل مثل مُستمعيه إلى أين يريد أن يصل، فإنّ في وسعه الاستمرار طيلة ساعات، دون أن يستنفد إعجابَ الدُّمَى التي تنصت إليه.

❊

إنّهُ لاَمْتِيازٌ أن نعيش في صراعٍ مع زمننا. نحن واعون في كلّ لحظة بأنّنا لا نفكّر كالآخرين. هذا المُستوى من التبايُن الحادّ، مهما بدا واهيًا وعقيمًا، يملك وضْعًا فلسفيًا عبثًا نبحث عنه في التأمّلات المعنيّة بالأحداث.

❊

«ليس في وسعنا عملُ شيء»، هكذا ظلّت تلك العجوز التسعينيّة تردّ على كلّ ما قلت، على كلّ ما صرختُ به في أذنيها حول الحاضر، حول المستقبل، حول سير الأشياء...

تماديتُ في عرض مخاوفي ومآخذي وشكاويّ أملاً في أن أنتزع منها ردًّا آخر، دون أن أظفر بشيء غير تلك العبارة الهَرِمَة «ليس

(١) **أليغرو/ أندانتي** (Allegro/Andante): من الإيطالية، وتعني في الموسيقى الإيقاع السريع (أليغرو) والإيقاع المتوسط أو المعتدل (أندانتي) فلا هو سريع ولا هو بطيء.

في وسعنا عملُ شيء». حتى نفد صبري، فانصرفتُ ساخطًا عليها، ساخطًا على نفسي: كيف عَنَّ لي أن أفتح قلبي لهذه البَلْهاء؟

ما أن صرتُ في الخارج حتى انقلبت مشاعري رأسًا على عقب: «العجوز على حقّ. كيف لم أُدرك فورًا أنّ لازِمَتَها الرتيبة تلك تتضمّن حقيقةً، قد تكون أهمّ الحقائق على الإطلاق، بما أنّ كلّ ما يَحدُثُ يُنادي بها وكلّ ما فينا يرفُضها؟».

X

الحُدوس نوعان: البدئيّة (هومير[1]، الأوبانيشاد[2]، الفولكلور) والمتأخّرة (البوذيّة، الماهايانا[3]، رواقيّة روما، غنوصيّة الإسكندريّة). بُرُوقٌ أولى وومضات مُنهَكة. يقظةُ الوعي وإِعياءُ اليقظة.

*

إذا صحّ أنّ كُلَّ ما يَفْنَى لم يُوجَدْ على الإطلاق، فإنّ الولادة أقلُّ وجودًا من البقيّة بما أنّها مصدر كلّ فانٍ.

*

---

(١) **هوميروس** (Homère): شاعر إغريقي (بين القرنين الثامن والتاسع قبل الميلاد)، تُنسب إليه «الإلياذة» و«الأوديسة» ويعتقد البعض أنّه شخصيّة أسطوريّة اكثر ممّا هي تاريخيّة.

(٢) **الأوبانيشاد** (Upanishade): الجزء النظريّ من النصوص المقدّسة للديانة الهندوسيّة، وتتضمّن المسائل المتعلّقة بالمُطلق والحقيقة السامية. عرّبها المؤرخ والجامعيّ التونسيّ عبد السلام زيّان (شمس للنشر والإعلام ٢٠٠٨).

(٣) **ماهايانا** (Mahayana): أحد المذهبين الرئيسيين للبوذية وهو منتشر أساسًا في دول شرق آسيا مثل الصين وكوريا واليابان ومنغوليا وفيتنام وأقطار الهمالايا مثل التيبت والنيبال إلخ.

حذار من صِيَغِ التلطيف فهي تُشدِّدُ البشاعةَ التي تزعم إخفاءها.

أعتقد أنّ من السخافة وربّما من غير المعقول أن نقول ***الراحل*** عوضًا عن المتوفّى أو الميت.

❊

ينسى الإنسان أنّه فانٍ فيشعرُ بأنّه منذور للقيام بأمور عظيمة، وينجح أحيانًا في ذلك.

هذا النسيان، ثمرة الشطط، هو في الوقت نفسه سبب شقائه. «أيّها الفاني فكّر مثل فانٍ». لقد استنبطت العصور القديمة ***التواضُع التراجيديّ***.

❊

من بين كلّ تماثيل الفروسيّة للأباطرة الرومان، لم ينجُ من الغزوات الهمجيّة ومن عوامل الزمن إلاّ تمثال ماركوس أوريليوس[١]، أقلّ الأباطرة تمثيلاً للمنصب وأكثرهم قدرة على التلاؤم مع أيّ وضعٍ آخر.

❊

نهضتُ وفي البال أكثر من مشروع مقتنعًا بأنّي سأعمل طيلة الصبيحة. وما كدتُ أجلسُ إلى طاولتي حتى أثبطَتْ عزيمَتِي تلك اللازمةُ البغيضة المنكرة المُقنعة:

---

(١) **تمثال ماركوس أوريليوس**: موجود في الكابيتول وهو أقدم تمثال من نوعه وصلنا من روما القديمة.

«عمّ جئت تبحث في هذا العالم؟»

رجعتُ إلى فراشي كالعادة، على أمل أن أعثر على جوابٍ مَا، وعلى الأرجح، على أمل أن أعود إلى النوم.

❊

نختار ونحسم ما دمنا لا نتجاوز سطح الأشياء. ما أن نذهب إلى العمق حتى نعجز عن الاختيار والحسم، ولا يبقى في مستطاعنا إلاّ أن نتحسّر على السطح...

❊

الخوف من أن نكون مخدوعين ليس سوى الصيغة المبتذلة للبحث عن الحقيقة.

❊

إذا عرفنا أنفُسَنا جيّدًا دون أن نحتقرها بشكلٍ كامل، فما ذلك إلاّ لأنّنا مُتعَبون أكثر من أن ننغمس في مشاعر قصوويّة.

❊

من مجفّفات القريحة اتّباع مذهب أو معتقد أو نظام ـ خاصّة بالنسبة إلى كاتب. إلاّ إذا كان يعيش كما هو الحاصل في كثير من الأحيان، على النقيض من الأفكار التي يدّعيها. إنّ من شأن هذا التناقُض أو هذه الخيانة تحفيزُهُ وإبقاؤُهُ في اللاطمأنينة والإحساس بالحرج والخزي، وكلّها شروط مناسبة للإنتاج.

❊

كان الفردوسُ المكانَ الذي نعرف فيه كلّ شيء لكنّنا لا نشرح فيه شيئًا. الكون ما قبل الخطيئة، ما قبل ***التعليق***...

❊

لستُ مؤمنًا وهذا من حسن حظّي. لو كنتُ صاحِبَ إيمان لعشتُ في خوف دائم من أن أفقده، فإذا هو يضرُّ بِي عوضًا عن أن يُساعدني.

❊

حين يكون المُحتال الغَشّاش واعيًا بأنّه كذلك، أي مُتفرّجًا على ذاته، فإنّه يكون بالضرورة أكثر تقدُّمًا في المعرفة من عقْلٍ رصينٍ كامل الجدارة، لكنّه من كتلةٍ واحدة.

❊

ليس من كائنٍ يملكُ جسدًا إلاّ وهو يستحقّ لقب المنبوذ. أمّا إذا كانت «الروح» بلواه الإضافيّة، فليس ثمّت من لعنةٍ لا يمكنه أن يُطالِب بها.

❊

ماذا نقول لشخصٍ خسر كلّ شيء؟ الكلام الأكثر إبهامًا والأكثر إنشائيّةً سيكون دائمًا الأكثر نجاعة.

❊

عُلْوِيّةُ الحسرة: الأفعال التي لم ننجزها، تُكوِّنُ بسبب ملاحقتِها لنا وتفكيرِنا الدائمِ فيها، مضمونَ وَعْيِنا الوحيد.

❊

نَوَدُّ أحيانًا لو كُنّا كانيباليّين، لا من أجل مُتْعَةِ الْتِهامِ هذا أو ذاك، بل من أجل مُتْعَةِ تَقيُّئِه.

*

الانقطاعُ عن الرغبة في أن نكون بشرًا... الحلمُ بشكلٍ آخر من أشكال الانحطاط.

*

الأفضل عند كلّ منعرج أن نستلقي ونترك للساعات أن تمرّ. لا قيمة للقرارات التي نتّخذها واقفين. إنّها من إملاء الغرور أو الخوف. بَلِيّتان نظلّ عرضةً لهما ونحن مضطجعون، لكنّهما تكونان أخفّ وطأة وأكثر امتدادًا في الزمن.

*

إذا تشكّى أحدُهم من أنّ حياته لم تُفْضِ إلى شيء، فليس علينا إلاّ أن نذكّره بأنّ الحياة نفسها تتشكّى من وضعٍ مماثلٍ إن لم يكن أسوأ.

*

الآثارُ الأدبيّةُ تموت. ولأنّ الشذرات لم تعش، فإنّها لا تستطيع زيادةً عن ذلك أن تموت.

*

الرعبُ من الهامشيّ يشلُّنِي. لكنّ الهامشيّ هو جوهر التواصُل (وبالتالي الفكر)، إنّه لحم الكلام والكتابة ودَمُهُما. أن نرغب في التخلّي عنه لا يختلف عن أن نُضاجع هيكلاً عظْميًا.

*

الرضا الذي نستمدّه من إنجاز مهمّة (خاصّة حين نكون يائسين منها أو حتى محتقرين لها) يُبين بوُضوح كم أنّنا مازلنا منتمين إلى التراب العضويّ.

❊

مَزِيَّتِي لا تتمثّلُ في أنّني عديم الفعاليّة بشكل كامل، بل تتمثّل في أنّي أردتُ ذلك.

❊

إذا كنتُ لا أُنكِرُ أُصُولي، فلأنّ من الأفضل في النهاية أن لا نكون شيئًا على أن نكون شِبْهَ شيء.

❊

خليطٌ من الآلِيّة والنزوة. الإنسان روبوتٌ ذو ثغرات، رُوبُوتٌ *مُختلّ*. لنأملْ أن يظلّ كذلك وأن لا يتمّ تقويمه ذات يوم.

❊

إنّ ما ينتظره كلٌّ منّا منذ القِدَم، سواءٌ كُنّا صبورين أم لا، هو الموت طبعًا. لكنّنا لا نعرف ذلك إلاّ حين يُداهِمُنا... حين يكون الأوان قد فات على استمتاعنا به.

❊

ليس مِنْ شَكٍّ في أنّ الإنسان شرعَ في الصلاة قبل الكلام بكثير. تلك الأهوال التي مرّ بها عند مغادرته الحيوانيّة وعند إنكارها، كيف كان له أن يصبر عليها لولا الدمدمة والأنين، بشائر الصلاة وطلائعها؟

❊

في الفنّ وفي كلّ شيء، يكون المُعَلِّقُ عادةً أكثر اطّلاعًا وفطنةً من موضوع التعليق. تلك غَلَبَةُ القاتل على الضحيّة.

*

«حمدًا للآلهة التي لا ترغم أحدًا على البقاء حيًا».

انفتح سينيكا (ذو الأسلوب المفتقر إلى المتانة حسب كاليغولا)[1]، على الجوهريّ، ولم يكن ذلك بسبب انتسابه إلى الرواقيّة بقدْرِ ما كان بسبب منفاه طيلة ثمانية أعوام في كورسيكا، التي كانت متوحّشة بشكلٍ خاصّ في ذلك العصر.

تلك المحنة أسبغت على عقلٍ عَقيم بُعدًا لم يكن ليكتسبه بشكل عاديّ. لقد أَعْفَتْهُ من مُساعدَةِ المرض.

*

هذه اللحظة، لحظتي حتى الآن، هي ذي تمضي، تُفلت منّي، هي ذي تختفي. هل أتورّط مع اللحظة التالية؟ أُصَمِّمُ على ذلك: هي ذي هنا، على ذمّتي، وفي الوقت نفسِه ها هي بعيدة. هكذا من الصباح إلى المساء، لا شاغل إلاّ صناعة الماضي!

*

بعد أن جرَّب عبثًا كُلَّ شيء من ناحية المتصوّفين، لم يبق أمامه إلاّ منفذ واحد: الانغماس في الحكمة...

*

(١) **كاليغولا** (Caligula): إمبراطور روماني (١٢ ـ ٤١م)، اشتهر بالغطرسة والدموية والإباحيّة والمُجون، واعتبره الكثير من المؤرخين مجنونًا حقيقيًا.

ما أن نطرح على أنفُسنا الأسئلة التي تُسَمَّى فلسفيّة وما أن نستخدم ما لا يمكن تجنُّبه من رطانتها، حتى يبدو علينا الترفُّع والعدوانيّة، في مجالٍ يغلب عليه المُعضل ومن ثمّ لا مناص فيه من التواضع. ليس هذا الوضع شاذًّا إلاّ في الظاهر. كلّما كَبُرَ حجمُ المسائل التي نتناولُها فَقدْنا توازُننا إلى درجةٍ أنّنا قد ننسب إلى أنفُسنا حجمَ تلك المسائل. وإذا كان غرور الفُقهاء «مُنْتِنًا» أكثر من غرور الفلاسفة، فلأنّ الاهتمام بالله لا يتمّ من دون عقاب: إنّه يؤدّي بنا رغمًا عنّا إلى أن ننتحل بعض صفاته، وأسوأها طبعًا.

*

يذوِي العقلُ حين يكون في سلامٍ مع نفسه ومع العالم لكنّه يتفتّح عند أدنى مُعاكَسة. ليس التفكيرُ إجمالاً سوى الاستغلال الوقح لِمَضايِقِنا ونكباتِنا.

*

هذا الجسد الذي كان وفيًّا في ما مضى، تنكّر لي وتمرّد عليّ ولم يعد شريكي. أيّ مصيرٍ لمنبوذٍ مغدورٍ مُهمَلٍ مثلي، لولا إعاقات مزمنة تريد تأكيد إخلاصها لي، فتؤنس وحدتي في كلّ ساعةٍ من ساعات النهار والليل؟

*

الناسُ «المَرْمُوقُون» لا يستنبطون شيئًا في مجال اللغة. بينما يُبدع في هذا المجال أولئك الذين يرتجلون بدافع التباهي أو يتمرّغون في بذاءةٍ مشوبةٍ بالانفعال. إنّهم كائنات طبيعيّة تعيش على سطح

الكلمات. هل تكون العبقريّة اللغويّة حكرًا على الأماكن السيّئة؟ مهما يكُنْ من أمر فإنّها تتطلّب قدرًا أدنى من الدناءة.

❊

يجدر بنا أن نكتفي بلغةٍ واحدة وأن نعمّق معرفتنا بها في كلّ مناسبة. بالنسبة إلى كاتب، الثرثرةُ مع بَوّابٍ أكثرُ منفعةً بكثير من الحوار مع عالِمٍ، في لغةٍ أجنبيّة.

❊

«... الإحساس بأنّي كلّ شيء واليقين بأنّي لا شيء». أتاحت لي المُصادفة في شبابي أن أقع على هذا المقطع فهَزَّني. كُلُّ ما كنت أشعر به عندئذ وكلّ ما سأشعر به في ما بعد بدا لِي مُختزَلاً في هذه الصيغة الخارقةِ العاديّة، هذا التوليف بين التوسّع والفشل، بين النشوة والمأزق. في أغلب الأحيان لا ينبثقُ الكشفُ من تناقُضٍ ظاهريّ بِقَدْرِ ما ينبثق من نافِلةِ القَوْل.

❊

الشعر يتنافى مع الحساب والتعمُّد. إنّه عدمُ اكتمالٍ وتوجُّسٌ وهُوَّة وليس هندسةً رتيبة أو ترصيفًا لنعوتٍ مستنزَفة. نحن جميعًا أكثر جراحًا وسُقوطًا وأكثر تعبًا وهمجيّةً في تعَبِنا من أن يظلّ في وسعنا تقديرُ ***الصنعة***.

❊

لا يمكننا الاستغناء عن فكرة التقدُّم على الرغم من أنّها لا تستحقّ الاهتمام. كما هو الشأن بالنسبة إلى «معنى» الحياة .**لابدّ**

للحياة من معنى، لكنْ هل مِنْ معنًى واحدٍ لها لا يتّضح بعد الفحص أنّه تافِه؟

❊

أشجارٌ تتْلَف. بُيوتٌ تنبثق. ثُمّ وُجوهٌ، وُجوهٌ في كلّ مكان. البَشَرُ يتفشّى. البَشَرُ سَرَطانُ الأرض.

❊

في فكرةِ القدَر المحتوم شيءٌ مَا يَحْنُو عليك ويُغريك باللذّة. إنّها تُبقيك دافئًا.

❊

ساكنُ الكُهوف الذي أُتيح له أن يَعْبُرَ كُلَّ درجات الشِّبَع...

❊

مُتعةُ أن نفتري على أنفُسنا تُضاهي في الكثير مُتعةَ أن يُفتَرَى علينا.

❊

أعرف أكثر من أيٍّ كان الخطَرَ الناشئ عن كوني ولدتُ وبي عَطشٌ إلى كلّ شيء. هديّةٌ مسمومة. انتقام العناية الإلهيّة. ما كان لي أن أصِل إلى شيء، على الصعيد الروحيّ طبعًا، الصعيد الوحيد المهمّ، وأنا مُثقَلٌ بذلك الشكل. ليس فشلي عَرَضيًا على الإطلاق بل هو جزءٌ من ماهيّتي.

❊

الكُتّابُ الصُّوفِيّون و«أعمالهم الكاملة»!

حين نتوجّهُ إلى الله وإلى الله وحدَهُ كما يزعمون، فإنّ من الأجدر أن نتَحاشَى الكتابة.

الله لا ***يقرأ***...

*

كُلّما فكّرتُ في ما هو جوهريّ، خُيِّلَ إليّ أنّي ألمحهُ في الصمت أو في الانفجار، في الذهول أو في الصراخ. لم يخطُر لي قَطُّ أنّه في الكلام.

*

حين يقضي المرءُ نهاره في اجترار عبثيّة الولادة، فإنّ كلّ ما يخطّط له وكلّ ما يقوم بإنجازه يبدو له تافهًا وعديم الجدوى.

إنّه أشبه بمجنون شُفيَ ولم ينقطع عن التفكير في الأزمة التي مرّ بها وفي الحلم الذي صحا منه، حتى لم يعد لشفائه أيّ فائدة.

*

تُمثِّلُ شهيّةُ العذاب بالنسبة إلى البعض ما تمثّله الرغبةُ في الربح بالنسبة إلى آخرين.

*

بدأ البشر بدايةً خاطئة، كانت نتيجتها الأولى مُغامرته المؤسفة في الفردوس، ولم يكن للبقيّة إلاّ أن تتبعها.

*

لن أفهم أبدًا كيف يمكن للمرء أن يعيش وهو يعلم أنّه، في أدنى الأحوال، ليس خالدًا.

❊

الكائن المثاليّ؟ ملاكٌ دمّرَتْهُ رُوحُ الدُّعابة.

❊

حين كان يُسألُ بعد سلسلةٍ من الاستفسارات حول الرغبة والقَرَف والسكينة: «ما الغاية من النيرفانا[1] وما هو معناها الأخير؟» لم يكن البوذا يُجيب. كان **يبتسم**. ابتسامة أثارت مماحكاتٍ كثيرة عوضًا عن أن يتمّ اعتبارها ردًّ فعل طبيعيّ على سؤال بلا موضوع. ذاك ما نقوم به أمام استفسارات الأطفال. نبتسم لأنّه ما من جواب قابلٍ للإدراك. لأنّ الجواب سيكون بلا معنى أكثر من السؤال. لا يعترف الأطفال بحدٍّ لشيء. إنّهم يريدون دائمًا أن ينظروا إلى الماوراء، أن يروا الما بعد. لكن ليس هناك ما بعد. النيرفانا حدّ، بل هي الحدّ. إنّها التحرُّر. إنّها المأزقُ الأخير...

❊

ليس من شكٍّ في أن الوجود لم يكن ليخلو من بعض المفاتن قبل مجيء الضجيج، لِنَقُلْ قبل العصر الحجَرِيّ الحديث.

متى يا تُرَى يظهر البشر الذي يعرف كيف يخلّصنا من جميع البشر؟

❊

---

(١) انظر الصفحة ٢٠ الملاحظة ١.

كثيرًا ما نقول لأنفُسنا إنّه ينبغي علينا أن لا نعيش أكثر ممّا يعيش المولود ميتًا، لكنّنا عوضًا عن أن نولّي الأدبار عند أوّل فرصة، فإنّنا نتمسّك بكلّ يوم إضافيّ، بحماسةِ مجنون.

❊

وُضوحُ الرؤية لا يجتثّ الرغبة في الحياة، وما أبعده عن ذلك. دورُه الوحيد أن يجعلنا غير صالحين للحياة.

❊

الله: مرضٌ نتوهّم أنّنا شُفينا منه لأنّ أحدًا لم يعد يموت بسببه.

❊

اللاوعيُ «قاعِدةُ حياة» الحياةِ وسِرُّها. إنّه الملاذ الوحيدُ في مواجهة الأنا، ضدَّ ما نشعُر به من سُوءٍ بعدَ أن حُوِّلْنا إلى أفراد، ضدَّ الأثر الموهِن للعزيمة الذي يصاحبُ حالةَ الوعي. تلك الحالة المُخيفة التي يصعبُ جدًّا أن نواجهها، إلى درجة أنّه ينبغي جعلُها حكرًا على أبطال ألعاب القُوَى.

❊

ليس من نجاحٍ في أيّ مجالٍ كان إلاّ ونتيجتهُ إفقارٌ داخليّ. إنّه يُنْسِينا من نكونُ ويحرمُنا مِحنةَ حُدودِنا.

❊

لم أعتبر نفسي على الإطلاق ***كائنًا***. أنا لا مُواطنٌ، هامشيٌّ، أنا

ذلك اللا شيء الذي لا وُجودَ له إلاّ بِفَضْلِ عَدَمِهِ المُفرط، بِفَضْلِ عَدَمِهِ بالِغ الوفْرة.

❊

أن أكون غرقتُ في مكانٍ مَا بين الأبجرامة والزّفْرة!

❊

العذابُ يفتح العينين ويُساعد على رؤية أشياء ما كنّا لننتبه إليها لولاه. هو من ثمّ لا يصلح إلاّ للمعرفة، وباستثناء ذلك فإنّ وظيفته الوحيدة تسميم الوجود، الأمر الذي يخدم المعرفة أيضًا.

«لقد تعذّب إذَنْ فَقَدْ فَهِم». ذاك كلّ ما نستطيع قوله عن ضحيّةٍ من ضحايا المرض أو الظلم أو أيّ صنفٍ من أصناف سُوءِ الحظّ. لا يُصلِحُ العذابُ أحدًا (باستثناء من كان صالحًا من قبل)، فهو يُنسَى كما يُنسى كلّ شيء، ولا يدخل في «تُراث الإنسانيّة»، ولا يُحافَظُ عليه بأيّ شكلٍ من الأشكال، بل يضيع كما يضيع كلّ شيء. فائدتُه الوحيدة كما أسلفتُ، أنّه يفتح العينين.

❊

قال الإنسان ما كان عليه قولُهُ وعليه الآن أن يستريح. لكنّه لا يُوافق على ذلك. وعلى الرغم من أنّه دخل في مرحلة الناجي الأخير، فإنّه يُجهِدُ نفسَهُ وكأنّه في مُفتَتح مسيرةٍ مُدهِشة.

❊

ليس للصُراخ معنًى إلاّ في كَوْنٍ مخلوق. إذا لم يكن الخالقُ موجودًا فما جدوى أن نسترعِيَ الانتباه؟

*

«عند وصولي إلى ساحة الكونكورد، فكّرتُ في أن أدمّر نفسي».
لم تلاحقني عبارةٌ في الأدب الفرنسيّ كلّه، مثل هذه.

*

المهمّ في كلّ مجال هو البداية والخاتمة، العقد والحلّ، الطريق إلى الوجود والطريق إلى خارج الوجود، ذاك هو التنفُّسُ والنَّفَس، أمّا الوجود في ذاته فليس سوى مطفأة.

*

كلّما مضى الزمن أقنعتُ نفسي بأنّ سنواتي الأولى كانت فردوسًا. لكنّي مخطئ دون شكّ. إذا كان من فردوس فإنّ عليّ البحث عنه في ما قبل سنواتي كلّها.

*

قاعدةٌ ذهبيّة: أترُكْ صورةً ناقصةً عنك...

*

كلّما كان البشرُ بشرًا فَقَدَ شيئًا من حقيقته: ذاك هو الثمن الذي عليه أن يدفعه مُقابل ماهيّته المتميّزة. لو قُيِّضَ له أن يذهب إلى أقصى خُصوصيّته وأن يُصبح بشرًا بشكلٍ كاملٍ مُطلَق، لما بقي فيه شيء يُذكّر بأيّ نوعٍ من الوجود.

*

الصمت أمام أحكام القدَر، إعادة اكتشاف عبارة *اِخْرَسْ* القديمة، بعد قرون من الاستعطاف الصاخب، ذاك ما ينبغي علينا إِلزامُ أنفُسنا به، ذاكَ هو صراعُنا، إن كان للصراع من معنًى حين يتعلّق الأمر بهزيمةٍ مُتَوَقَّعةٍ ومَقبُولَة.

❊

ليس من نجاحٍ إلاّ وهو يُسيءُ إلى سمعتنا، بحيث لا مجال بعدَهُ لاستعادة الاعتبار، في عيوننا طبعًا.

❊

غصراتُ الحقيقة التي تكشفنا لأنفسنا تفوق كلّ ما نستطيع تحمُّله. الشخصُ الذي يكفّ عن الكذب على نفسِه (إن كان وجود مِثْلِهِ ممكنًا حقًّا) هو شخصٌ جدير بالرثاء!

❊

لن أقرأ الحكماء بعد الآن. لقد أساؤوا إليَّ أكثر ممّا يجب. كان ينبغي عليّ أن أستسلم إلى غرائزي وأن أدع جنوني يتفتّح. لكنّي فعلتُ العكس تمامًا. ارتديتُ قناع العقل فانتهى القناع إلى الحلول محلّ الوجه مُغتصبًا ما تبقّى.

❊

حين تنتابني نوبةٌ من نوبات جُنون العظَمَة، أُحدّث نفسي بأنّ من المستحيل أن أكون قد أخطأتُ التشخيص، وأنّ كُلّ ما هو مطلوبٌ منّي أن أصبر، أن أنتظر حتى النهاية، حتى ظهور البشر الأخير، الكائن الوحيد الذي سيُثبت أنّي على حقّ...

❊

الفكرةُ التي تقول إنّ من الأفضل لو أنّنا لم نُوجَدْ على الإطلاق، هي من تلك الأفكار التي تثير أكبر قدرٍ من الاعتراض. ليس في وسعِ أيٍّ منّا أن ينظر إلى نفسه إلاّ من داخله، لذلك يعتقد كلٌّ منّا أنّه ضروريّ ولا غنًى عنه، لذلك يشعر كلٌّ منّا بنفسه ويتبيّنها وكأنّه حقيقةٌ مُطلَقة، وكأنّه كُلٌّ، وكأنّه الكُلّ. ما أن نتماهى تمامًا مع وجودنا ذاته حتى نردّ الفعل مثل إله، حتى **نكون** الإله.

عندما نعيش في الوقت نفسِه داخل ذاتنا وعلى هامشها، وعندئذٍ فحسب، نستطيع أن نتصوّر في سكينةٍ كاملة، أنّ من الأفضل لو أنّ الحادثةَ التي هي نحنُ لم تَحْدُثْ على الإطلاق.

*

لو أنّي استجبتُ إلى نُزوعي الطبيعيّ لفجرّتُ كلَّ شيء. ولأنّي لا أملك الشجاعة اللازمة، فإنّي أُكفّر عن ذلك محاولاً إرهاق نفسي بمُعاشرة أولئك الذين اهتدوا إلى السكينة.

*

لا يُؤثّرُ فينا كاتبٌ مَا لأنّنا قرأناه كثيرًا بل لأنّنا فكّرنا فيه أكثر ممّا يجب. لم أَدْرُسْ بشكلٍ خاصّ لا باسكال ولا بودلير، لكنّي لم أكفّ عن التفكير في هُمومِهما التي رافقتني في كلّ مكان بوفاءٍ لا يقلّ عن وفاء همومي.

*

في كلّ مرحلة من مراحل العمر ثمّتَ إشاراتٌ متفاوِتةُ الوُضوح تُنَبِّهُنا إلى أنّ الأوان قد آن كي نُخلي المكان. لكنّنا نتردّد ونُرجِئُ،

مُتوهّمين أنّ مجيء الشيخوخة هو الذي سيجعل تلك الإشارات واضحةً حقًّا، وعندئذ يكون من غير اللائق أن نستمرّ في التردّد. والحقّ أنّ هذه الإشارات واضحةٌ فعلاً، لكنّنا لم نعد نملك ما يكفي من القوّة لإنجاز الفعل اللائق الوحيد الذي يستطيع الحيُّ إنجازَه.

*

فجأةً خطَرَ على بالِي اسمُ أحد المشاهير في طفولتي. تُرَى من ظلَّ يذْكُرهُ إلى اليوم؟ إنّ تفاصيل من هذا النوع هي التي تكشف لنا أكثر من الاجترارات الفلسفيّة، عن حقيقة الزمن ولا حقيقته الفاضحة.

*

إذا كنّا نجحنا في البقاء على الرغم من كلّ شيء، فلأنّ عاهاتنا من الكثرة والتناقُض إلى درجة أنّ بعضها يُلغي بعضها الآخر.

*

اللحظاتُ الوحيدة التي أتذكّرها بشيء من العزاء، هي تلك التي تمنّيتُ أن لا أكون فيها أيَّ شيءٍ بالنسبة إلى أيّ شخص، تلك التي خجلتُ فيها من فكرةِ أن أترك أدْنَى أثرٍ في ذاكرة أيٍّ كان.

*

الشرطُ الضروريّ للتحقُّق الروحيّ: أن تكون دائمًا صاحب الرهان الخاسر..

*

من المهمّ في كلّ الظروف، حين نريد أن نقلّل من عدد خيباتنا ونوبات غضبنا، أن نذكّر أنفُسنا بأنّنا هنا كي ينغّص بعضُنا على بعضِنا حياتَه، وبأنّ التمرّد على هذا الواقع هو تقويضٌ لأساس العيش المُشتَرَك.

*

لا يُصبح المرَضُ مرَضَنا إلاّ بدايةً من اللحظة التي يُسَمَّى لنا فيها، لحظة لَفِّ الحبْلِ حول رقبتنا...

*

أفكاري كُلّها مُلتفتةٌ ناحية الاستسلام، وعلى الرغم من ذلك لا يمرّ يوم دون أن أتوجّه بإنذارٍ إلى الله أو إلى أيٍّ كان.

*

يوم يفهمُ كلٌّ منّا أنّ الولادة هزيمة، سيبدو الوجود وقد بات أخيرًا أخفَّ وطأةً، شبيهًا باليوم المُوالي للاستسلام، شبيهًا باستراحة المهزوم وتنفُّسه الصعداء.

*

ظَلَّ كلُّ ما يحدثُ معقولاً وواضحًا ما دمنا مؤمنين بالشيطان، أمّا بعد أن كففنا عن الإيمان به، فقد صار لزامًا علينا عند كلّ حدث أن نبحث عن تفسير جديد، صعب المنال بقدر ما هو اعتباطيّ، يُحيّر الجميع ولا يُرضي أحدًا.

*

نحن لا نُلاحق الحقيقة دائمًا، لكنّنا ما أن نبحث عنها بعَطَشٍ وعُنف حتى نَكْرَهَ كُلَّ **تعبير**، كُلَّ ما يمتُّ إلى الكلمات والأشكال، كُلَّ الأكاذيب النبيلة التي تَفُوقُ الأكاذيبَ المبتذلة بُعْدًا عن الحقيقيّ.

❊

ليس مِنْ حَقِيقيٍّ إلاّ ما هو ناجم عن الانفعال أو السِينيزم. كُلُّ الباقي «مهارة».

❊

الحيويّةُ والرفضُ متلازمان. التسامُح، باعتباره إحدى علامات فقر الدم، يُلغي الضحك، بما أنّه ينحني أمام كلّ أشكال الاختلاف.

❊

هُمومُنا الفيزيولوجيّة تُساعدنا على النظر إلى المستقبل باطمئنان: إنّها تُعفينا من الإفراط في القلق، وتبذل قصارى جهدها كي لا يحصل أيٌّ من مشاريعنا بعيدة المدى على الوقت الكافي لاستنفاد كلّ مدّخراتنا من الطاقة.

❊

الإمبراطوريّة تتصدّع، الهمجُ يتحرّكون... ما العمل، إن لم يكن الفرار من القرن؟

يا لتلك الأزمنة السعيدة التي كان لنا فيها مفرّ، تلك التي كانت

فضاءاتُها المعزولة تتيح لنا الوصول إليها وترحّب بنا. لقد تمّ تجريدُنا من كلّ شيء، حتى من الصحراء.

*

الحدَثُ وسُوءُ التفاهُم مترادِفان بالنسبة إلى كُلِّ من اتّخذ من فضْحِ المظاهر عادةً من عاداتِه المُزعِجة.

الذهابُ إلى الجوهريّ يعني الخروج من اللعبة والاعتراف بالهزيمة.

*

ليس من شكٍّ في أنّ فلانًا على حقّ حين يُقارن نفسه بـ«بُركان»، إلاّ أنّه يخطئ حين يخوض في التفاصيل.

*

دوامُ تفكير الفقراء في المال، ودوامُ تفكيرهم فيه بلا انقطاع، يُضيّع عليهم مزايا الفقر الروحيّة، ويسقط بهم حيث يسقط الأغنياء.

*

النفْس ـ ليست أكثر من هواء، أي ريح، أو دُخان في أفضل الأحوال ـ هكذا اعتبرها اليونانيّون الأوائل، ولا نملك إلاّ الاعتراف لهم بأنّهم على حقّ، كُلّما سئمنا التنقيب في أنَانَا أو في أَنَوات الآخرين، بحثًا عن أعماق غريبة، وإن أمكن، مشبوهة.

*

آخرُ خطوةٍ في اتّجاه اللامُبالاة تدميرُ فكرة اللامُبالاة نفسِها.

*

السّيرُ في غابةٍ بين صفّين من السراخس، ذاك هو موكب النصر. أين منه أصوات الناخبين وهُتافات الجمهور؟

❊

أن نقلّل من شأن ذوينا، أن نسبّهم، أن ننسفهم، أن نُهاجِم الأُسُس، أن نضرب أنفُسنا في القاعدة، أن نخرّب نقطة انطلاقنا، أن نُعاقب أنفُسنا على جذورنا...، أن نلعن كلّ هؤلاء اللا مُختارين، هؤلاء الرعاع من الدرجة الثانية، عديمي القيمة، الممزّقين بين الادّعاء والرثاء، والذين لا مهمّة لهم إلاّ أن يكونوا بلا مهمّة...

❊

يجدُرُ بِي وقد دمّرتُ كلّ روابطي أن يغمرني إحساسٌ بالحريّة. والحقُّ أنّ ذلك الإحساس يغمرني فعلاً، وهو حادٌّ، إلى درجةِ أنّي أخاف الاستمتاع به.

❊

حين تتمخّضُ عادةُ النظر إلى الأمور وجهًا لوجه عن نوعٍ من الهَوَس، فإنّنا نبكي المجنونَ الذي كُنّا والذي لم نَعُدْ.

XI

الشخص الذي نحِلّه المحلَّ الأرفع يُصبح أقرب إلينا حين يرتكب فعلاً غير لائق به. هو بذلك يُعفينا من مشقّة التقديس. وانطلاقًا من تلك اللحظة نشعر تجاهه بارتباطٍ حقيقيّ.

*

لا شيء أكثر خطورةً من النذالات والبذاءات التي نقترفها بسبب الخجل.

*

لم يُفكّر فلوبير[1] أمام النيل والأهرام حسب أحد الشهود إلاّ في النورماندي وفي العادات والمشاهد المتعلّقة بتلك التي ستصبح مادام بوفاري. ما كان لشيء وجودٌ في نظره بعيدًا عنها. أن نتخيّل يعني أن نتقيّد وأن نُقصِي: من دون قدرةٍ هائلة على الرفض لا مجال لأيّ مشروع، لأيّ أثَر، لأيّ وسيلة لتحقيق أيّ شيء.

*

---

(١) **غوستاف فلوبير** (Flaubert): الروائي الفرنسي (١٨٢١ ـ ١٨٨٠)، صاحب «التربية العاطفية» ومادام «بوفاري» و«صلامبو».

كلُّ ما يُشبه الانتصار من بعيد أو من قريب، يبدو لي مُخزيًا إلى درجة أنّي لا أستطيع أن أُحارب في كلّ الظروف إلاّ عاقدًا العزم على أن أكون المغلوب.

لقد تجاوزتُ المرحلةَ التي تبدو فيها الكائنات مهمّة، ولم أعد أرى أيّ مُوجب للصراع في عَوالِم معلومة.

*

لا تُعَلَّمُ الفلسفةُ إلاّ في الأغورا، في حديقة، أو في البيت. الكرسيُّ ضريحُ الفيلسوف، موتُ كلِّ فكرٍ حيّ. الكرسيُّ هو العقلُ في حداد.

*

أن يظلّ في وسعي الإحساس بالرغبة حتى الآن، يُثبتُ جيّدًا أنّي لا أملك إدراكًا دقيقًا للواقع، أنّي أهذي، أنّي على مسافةٍ بعيدة ممّا هو حقيقيّ. نقرأ في الداهامابادا: «لا يكون الإنسانُ فريسةً للرغبة إلاّ لأنّه لا يرى الأشياء كما هي».

*

كنتُ أرتجف من الغيظ: شرَفي كان في الميزان. الساعات تمرّ والفجر يقترب. هل أسمح لتفاهةٍ بأن تنغّص عليّ ليلتي؟ عبثًا حاولتُ التقليل من شأن الحادث لكنّ الأسباب التي كنت اخترعها لأهدّئ من روعي ظلّت كلّها بلا أثر. لقد بلغتْ بهم الجرأة أن يفعلوا بي هذا! كنتُ على وشك أن أفتح النافذة وأن أصرخ مثل

المجنون حين استحوذتْ على عقلي فجأةً صورةُ كوكبنا وهو يدور مثل الخذروف، فسكن غضبي على الفور.

*

الموتُ ليس عديم الجدوى بشكلٍ كامل. بفضله هو رغمًا عن كلّ شيء، قد يُتاح لنا أن نستعيد فضاءَ ما قبل الولادة، فضاءَنا الوحيد...

*

كم كانوا على حقّ فيما مضى حين كانوا يفتتحون اليوم بالصلاة، بنداءِ استغاثة. ما لم نعرف إلى من نتوجّه سيؤول بنا الأمر إلى الجُثُوِّ أمام أوّل معبود مخبول.

*

الوعيُ الحادّ بامتلاك جسد. ذاك هو غيابُ الصحّة.

... يجدر بي من ثمّ أن أقول إنّي لم أكن يومًا في صحّةٍ جيّدة.

*

كلُّ شيءٍ خديعة، كنتُ دائمًا على يقين من ذلك. لكنّ هذا اليقين لم يهدّئ من روْعي إلاّ في لحظات حضوره العنيف في ذهني...

*

إدراكُ أنّ الأُمور إلى زوال، مرفوعًا إلى مرتبة الرؤية، إلى مرتبة التجربة الصوفيّة.

*

ليس من طريقةٍ لنتحمّلَ نكبات الدهر الواحدة تلو الأُخرى غير أن نحبّ فكرة النكبة نفسِها. نجاحُنا في ذلك يَضع حدًّا للمفاجآت: نُصبح أعلى درجةً من كلّ ما يحدث، نُصبح ضحيّةً لا تُقهَر.

❊

نُراقبُ أنفُسنا عند مشاعر الألم القويّة أكثر ممّا نفعل عند مشاعر الألم الضعيفة، نزدوج، نبقى خارج ذاتنا حتى حين نئنّ أو نصرخ. كُلُّ ما يحبسُنا في العذاب يُوقِظُ في كُلٍّ منّا العالِمَ النفسانيّ، الفُضوليّ، كما يُوقظ فينا المُولَعَ بالتجارب: نريد أن نرى إلى أين نستطيع أن نذهب في ما لا يُطاق.

❊

ما الظُّلمُ بالنسبة إلى المرَض؟ في وسْعِنا طبعًا القولُ إنّ من الظُّلْمِ أن نمرض. وهو في الواقع ردُّ فعل كُلٍّ منّا دون أن يهمّه إن كان على حقّ أو على خطأ.

المرض **موجود**. ليس من شيء حقيقيّ أكثر منه. وإذا اعتبرناه ظالمًا فإنّ علينا أن نجرؤ على التعامُل بالمثل مع الوُجود نفسِه، أي أن نتحدّث في النهاية عن ***مَظْلَمَةِ أن نُوجَد***.

❊

الخليقةُ كما كانت لم تكن تُساوي الكثير. وبعد أن أُصلِحت على عَجل ها هي تساوي أقلّ. ليتَها تُرِكَت على حقيقتها، على تفاهتها الأولى!

نفهم من ثَمَّ لماذا يُبطئُ المسيحُ المُقبل، الحقيقيّ، في الظهور.

المهمّة التي تنتظره ليست سهلة: كيف سيتسنّى له أن يُخلّص البشريّة من ***هَوَس الأفضل***؟

*

حين نشرع في كراهية ذاتنا، بعد أن تثور ثائرتنا بسبب تعوُّدنا المفرط علينا، نُدرك أنّ الوضع أسوأ ممّا كان، وأنّ كراهية الذات تزيدُ صِلتَنا بنا متانةً.

*

لا أقاطعه، أتركُ له أن يزِنَ مزايا كلٍّ منّا منتظرًا أن يُجْهِز عليّ... عجزُهُ عن فهم البشر مُرْبِك. إنّه يُقيِّمكَ بفطنةٍ وسذاجةٍ في آنٍ وكأنّك كِيانٌ أو صِنْف. لم يؤثّر فيه الزمن لذلك بات عاجزًا عن الإقرار بأنّي خارجَ كلّ ما يُدافع عنه، بأنّي لم أعد معنيًا بشيء ممّا يشيد به.

يغدو الحوار بلا معنى حين يدور مع شخصٍ هاربٍ من تسلسُل السنوات. أطلُبُ من الذين أحبّهم أن يتكرّموا عليّ بأن يشيخوا.

*

الوهَلُ[1] أمام أيّ شيء كان، أمام الممتلئ والخاوي في الوقت نفسه. الوهَل البدئيّ...

*

(١) الوهل: هكذا ترجمنا عبارة «Le trac»

الله موجود، وإن لم يُوجَد.

*

فلان[1] عاجز عن استيعاب الشرّ. هو يُلاحظُ وُجودَه لكنّه لا يستطيع إدراجه في تفكيره. لو خرج لتوّه من الجحيم لما علمنا بذلك، لفرط ما هو مترفّعٌ في أحاديثه عن كلّ ما يُسيء إليه.

عبثًا نبحث في أفكاره عن أدنى أثرٍ للمِحَنِ التي مرّ بها. لديه فحسب ومن حين إلى آخر بعض الأفعال الانعكاسيّة الدالّة على إنسانٍ جريح.

لقد انغلق في وجه كُلِّ ما هو سلبيّ حتى أنّه لم يعد يدرك أنّ كلّ ما نملك ليس سوى رأسمال اللا وُجُود. إلاّ أنّ في حركاته أكثر من حركةٍ تكشفُ عن عقلٍ ممسوس. ممسوس دون أن يعلم. إنّه مُخرِّبٌ مغلوبٌ على أمرِه ومُعقّمٌ بالخير.

*

الفضولُ الذي يدفعنا إلى قِياس تقدّمنا في الانحطاط هو كلُّ ما نملكُ من أسبابٍ للتقدُّم في السنّ.

نعتقد أنّنا بلغنا الحدّ الأقصى، أنّ الأُفُق أصبح مسدودًا إلى الأبد، نشرع في الشكوى، نستسلم إلى الإحباط، ثمّ نُدرك أنّ في وسعنا الوقوع أكثر نحو الأسفل، أنّ هناك الجديد، أنّ الأملَ لم

---

(١) استعمل سيوران الحرف «D» للإشارة إلى الشخص المعني وفضلنا استعمال كلمة «فلان».

يُفقَد تمامًا بعد، وأنّ في وسعنا أن نغرق أكثر، متلافين هكذا خطرَ التجمُّد والتصلُّب...

❊

«لا تبدو الحياةُ نعمةً إلاّ لمن كان بلا عقل»، هكذا راقَ لهيجيسياس[1] أن يقول قبل ثلاثة وعشرين قرنًا، هو الفيلسوف السيرياني الذي لم يبق منه شيءٌ تقريبًا غير هذه العبارة... لو وُجِد أثرٌ نودّ إعادة اختراعه لكان أثرهُ تحديدًا.

❊

لا يقتربُ من شرطِ الحكيم من لم يحالفهُ الحظّ ليُنسَى في حياته.

❊

أن تفكّر يعني أن تقوّض، أن تقوّض *نفسَك*. الفعلُ تنجرّ عنه مخاطر أقلّ لأنّه يسدّ الثغرة الفاصلة بيننا وبين الأشياء بينما يزيدها التفكير اتّساعًا بشكل خطِر.

... أنا سعيد ومُشبَع ما دمتُ أمارس تمرينًا بدنيًا، ما دمتُ أمارس عملاً يدويًا. ما أن أتوقّف حتى يأخذني دوارٌ سيّئ فلا أتطلّع إلاّ إلى الفرار إلى الأبد.

❊

(١) **هيجيسياس** (Hégésias): الفيلسوف القوريني (حوالي ٢٩٠ق.م) الذي كان يرى أنّ السعادة غير ممكنة ودفع الكثيرين إلى الانتحار ممّا جعل بطليموس يمنعه من مكتبة الإسكندرية.

في النقطة الأقصى أسفَل الذات، حين نلمس القاع ونتحسّس الهوّة، نُرفَعُ دفعةً واحدة ـ ردّ فعلٍ دفاعيّ أو غرور مُضحك ـ عن طريق الإحساس بأنّنا *أعلى درجةً* من الله. إنّه الوجه المتضخّم والدنس لغواية حَسْم الأمر.

❊

برنامج عن الذئاب مع نماذج من العواء. يا له من خطاب! ليس أكثر منه حرقةً. أبدًا لن أنساه، ويكفيني في المستقبل في فترات الوحدة الكُبرى، أن أستحضره بوضوح، كي أشعر بالانتماء إلى جماعة.

❊

ما أن أصبحت الهزيمة على الأبواب حتى أخذ هتلر لا يتكلّم إلاّ عن النصر. كان مؤمنًا به ـ لقد تصرّف على كلّ حال وكأنّه مؤمن به ـ وظلّ حتى النهاية حبيسَ تفاؤله، حبيسَ إيمانه. كان كلُّ شيء ينهار من حوله. لم يمض يوم دون أن يأتيه بما يُكذّب رجاءَه. لكنّه ظلّ مصرًّا على التعويل على المستحيل، متعاميًا بشكل لا يقدر عليه إلاّ الميؤوس من شفائهم. لقد امتلك القوّة اللازمة للذهاب إلى النهاية، لاختراع البشاعة تلو البشاعة، مستمرًّا في ذلك إلى ما بعد جنونه بل إلى ما بعد قدَرِه. هكذا يكون في وسعنا أن نقول عنه، هو الذي فشل في كلّ شيء، إنّه تحقّق أفضل من أيِّ فانٍ آخر.

❊

«أنا ومن بعدي الطوفان»[1] هو الشعار غيرُ المُعتَرَف بهِ لكلٍّ منّا. نحن لا نُسلِّمُ بأنّ الآخرين سيعيشون بعدنا إلاّ على أمل أن يُعاقَبُوا على ذلك.

❊

أُتِيحَ لأحدِ علماء الحيوان في إفريقيا أن يراقب الغوريلاّ عن كثب، فأدهشه ما يغلب على حياتها من رتابة وبطالةٍ فائقة. كانت تقضي الساعات تلو الساعات دون أن تفعل شيئًا على الإطلاق... أما كانت تعرف الضجر؟

هذا السؤال لا يمكن أن يصدر إلاّ عن بشر، عن قردٍ مشغول. الحيوانات لا تتهرّب من الرتابة بقدْرِ ما تبحث عنها، وهي لا تخشى شيئًا كما تخشى أن تنقطع تلك الرتابة، لأنّها لا تنقطع إلاّ كي يحلّ محلّها الخوف، سبب كلِّ انشغال.

السكونُ إلَهِيٌّ. وعلى الرغم من ذلك فإنّ الإنسان لم يتمرّد إلاّ عليه. وحده الإنسان في الطبيعة يعجز عن تحمُّل الرتابة، وحده يريد بكلّ ثمن أن يحدث شيء، أيُّ شيء. هكذا يؤكّد أنّه غير جدير بسَلَفِه: الحاجةُ إلى الجديد مأثرةُ غوريلاّ مُغَرَّرٍ به.

❊

---

(١) **أنا وبعدي الطوفان** (Après moi le déluge): تُنسب هذه العبارة إلى لويس الخامس عشر، ويرجّح بعض المؤرّخين أنّ مادام بومبادور هي التي نسبتها إلى الملك.

نقتربُ أكثر فأكثر من النقطة التي نعجز فيها تمامًا عن التنفُّس. يومَ نصل إلى هناك سيكون اليوم المشهود. لكنّنا للأسف لم نتجاوز بعدُ الليلةَ التي تسبقه.

*

لا تهيمنُ أُمّةٌ على غيرها ولا تُحافظ على هذه الهيمنة إلاّ بقدْرِ ما توافق على عاداتٍ سخيفةٍ بالضرورة، وتتشيّع إلى أحكام مُسبقةٍ دون أن تعتبرها كذلك. ما أن تُسمِّيَ تلك الأمور بأسمائها حتى تَسقُطَ الأقنعة ويُفتَضح كلُّ شيء.

لا مجالَ لإرادة السيطرة، والرغبة في لعبِ دور، والأمر والنهي، مِن دون جرعةٍ قويّةٍ من الغباء. التاريخ في جوهره غبيّ... إنّه يستمرّ ويتقدّم لأنّ الأُمَم تُصفّي أحكامها المُسبقة الواحد بعد الآخر. لو تخلّصت منها دفعةً واحدة لما بقي سوى تفكُّكٍ كونيّ سعيد.

*

لا يمكننا أن نعيش بلا دوافع. لم يعد لديّ دوافع لكنّني أعيش.

*

كنتُ في صحّةٍ جيّدة. كنتُ في أفضل أحوالي على الإطلاق. فجأةً أصابني بَرْدٌ أيقنتُ أنْ لا علاج له. ماذا حدث لي؟ الحقّ أنّها لم تكن المرّة الأولى التي يغمرني فيها مثل هذا الإحساس. كنتُ

في السابق أتحمّله دون أن أحاول فهمه. أمّا هذه المرّة فقد أردتُ أن أعرف، وعلى الفور. استبعدتُ الفرضيّة تلو الأُخرى. لم يكن من الجائز أن يتعلّق الأمر بمرض، فلا أثر لأيٍّ من الأعراض التي يمكن التشبّث بها. ما العمل؟ كنتُ في بلبلةٍ تامّة عاجزًا عن العثور حتى على شِبْهِ تفسير، حين خطَرَ لي ـ وكان ذلك مصدر ارتياحٍ حقيقيّ ـ أنّ الأمر يتعلّقُ بالبرد الأكبر، البرد النهائيّ، الذي كان بكلّ بساطة يتدرّب، يقوم بتجربة أخيرة...

*

في الفردوس ليس للأشياء ظلال لأنّ الأنوار تُحيطُ بها من كلّ جانب. الأحرى أن نقول إنّها بلا حقيقة، مثل كلِّ ما تجاهلتْهُ الظلماتُ وهجَرَهُ الموت.

*

حُدوسُنا الأولى هي الحقيقيّة. الآراءُ التي عبّرتُ عنها في شبابي المُبكّر تُجاه الكثير من الأمور تبدو لي الآن صائبةً أكثر فأكثر، وها أنا أعود إليها بعد الكثير من التيه والدوران، وكُلّي أسفٌ، لكوني بنيتُ وُجودي على أنقاض تلك البديهيّات.

*

لا أتذكّر مكانًا عبرتُه إلاّ إذا حظيتُ فيه بشيء من الضَّنَى بواسطة الكآبة.

*

في السوق، أمام ذلك المهرّج الذي كان يُكشّر ويصرخ ويُجهِدُ نفسَه، كنتُ أقولُ في سرّي إنّه كان يقوم بواجبِهِ، هو، بينما أنا أتهرّبُ من واجبي.

*

الظهورُ والعملُ في أيّ مجالٍ كان، ينمّان عن مُتعصّب متستّرٍ بِقَدْرٍ مَا. إذا لم نعتبر أنفُسَنا مُكَلَّفين بمهمّة، فإنّ من الصعب أن نُوجَد، ومن المستحيل أن نفعل.

*

اليقينُ بأنْ لا خلاصَ هو شكلٌ من أشكال الخلاص، بل هو الخلاصُ **نفسُه**. انطلاقًا من ذلك نستطيع أن نرتّب حياتنا كما نستطيع أن نُنشئ فلسفةً للتاريخ. ما لا يُحَلّ باعتبارِهِ حَلاًّ، باعتبارهِ المنفذ الوحيد...

*

عاهاتي نغّصت عليّ وُجودي، لكنّي بفضلها أُوجَد، بفضلها أتخيّلُ أنّي أُوجَد.

*

لم أهتمَّ بالإنسان إلاّ منذ أصبح غيرَ مؤمنٍ بنفسِه. حين كان في ذروة صعودهِ لم يكن يستحقّ سوى اللامُبالاة. الآن هو مبعث إحساسٍ جديد، تعاطف من نوع خاصّ: الرعب الحَنون.

*

لا أستطيع أن أعتبر نفسي حرًّا بعيدًا عن كلّ شيء، على الرغم من أنّي تخلّصتُ من معتقدات وارتباطات كثيرة. جُنونُ التَّخَلِّي المُتبقِّي من أهوائي لا يُفارقني لحظةً. إنّه يُنهكني ولا يكفُّ عنّي ويُطالِبُني بالاستمرار في التخلّي. ولكن التخلّي عن ماذا؟ ماذا تبقّى لي كي أرفضه؟ احترتُ. انتهى دوري واكتملت مسيرتي وعلى الرغم من ذلك لم يتغيّر شيء في حياتي. أنا ذا في النقطة نفسها، وعليَّ أن أتخلّى أكثر وبلا انقطاع.

XII

ليس من موقفٍ أكثر زيفًا من أن نفهم ونظلّ أحياء.

*

حين ننظر بهدوء إلى نصيبنا من الديمومة، يبدو لنا نصيبُ كُلٍّ منّا مُساويًا لنصيب الآخر من حيث التفاهة ومن حيث القدرة على الإشباع، سواء امتدّ ليوم أو لقرن.

«لقد استنفدت وقتي». ـ تلك أفضل عبارةٍ نستطيع التفوّه بها دائمًا في الوقت المناسب، في أيّ لحظة من لحظات الحياة، بما فيها اللحظة الأولى.

*

الموتُ هو رَاعِي أولئك الذين أُتِيح لهم أن يرغبوا في الفشل الذريع وأن يبرعوا فيه. هو جائزة كلّ الذين لم ينجحوا ولم يكونوا حريصين على النجاح... الموتُ ينصرهم ويعترف لهم لهم بأنّهم كانوا على حقّ. أمّا بالنسبة إلى الآخرين الذين اجتهدوا كي ينجحوا والذين نجحوا فعلاً، فيا لَهُ من تَسْفيه، يا لَهُ من صَفْعة!

*

بعد خمسة عشر عامًا من العزلة الكاملة تلقّى أحدُ الرهبان المصريّين مجموعة كبيرة من الرسائل من أهلِهِ وأصدقائه، فلم يفتحها بل ألقى بها إلى النار كي يتلافى هجوم الذكريات. نحن لا نستطيع المحافظة على اتّحادنا مع ذاتنا وأفكارنا إذا سمحنا للأشباح بالظهور والعربدة. ***الصحراء*** لا تعني حياةً جديدةً بقدر ما تعني موت الماضي، أي أنّنا قد هربنا أخيرًا من تاريخنا الخاصّ. الرسائل التي نكتُبها أو نتلقّاها في القرن فضلاً عن تلك التي نكتُبها أو نتلقّاها في العزلة التامّة، تؤكّد أنّنا مُصَفَّدُون، أنّنا لم نفكّ أيّ ارتباط، أنّنا لسنا سوى عبيد وأنّنا نستحقّ أن نكون كذلك.

❊

قليلاً من الصبر وتصل اللحظةُ التي لا يبقى فيها شيءٌ ممكن، اللحظةُ التي تعجز فيها البشريّة وقد تقوقعت على نفسها عن قَطْعِ أيّ خطوة إضافيّة في أيّ اتّجاه.

قد نُفلح إجمالاً في تصوُّرِ هذا المشهد غيرِ المسبوق، لكنّنا نظلّ مع ذلك في حاجة إلى ***تفاصيل***... كما أنّنا قد نخشى على الرغم من كلّ شيء أن نُفوّتَ الحفل، أن لا نظلّ متمتّعين بما يكفي من الشباب كي نحظى بحُضوره.

❊

سواءٌ خرجت من فم بقّال أو من فم فيلسوف فإنّ كلمة **وجود** لا تعني في الحقيقة أيّ شيء، مهما بدت في الظاهر غنيّةً مُغرِيةً مثقلةً

بالدلالة. وإنّه لمن غير المعقول أن يستخدم العاقلُ الرشيد مثل هذه الكلمة في أيّ مناسبة كانت.

*

صاحيًا في منتصف الليل، كنتُ أدور في غرفتي واثقًا من أنّي مُختارٌ وشِرّير. ميزةٌ مُضاعَفَة، طبيعيّةٌ في نظر السهران، مُغِيظةٌ أو غيرُ مفهومةٍ في نظر سُجناء المنطق النهاريّ.

*

ليس الحصولُ على طُفولةٍ شقيّة في متناول الجميع. كانت طُفولتي أكثر من سعيدة. كانت **مُتَوَّجَة**. لا أجد نعتًا أفضل من هذا للإشارة إلى طابعها الانتصاريّ حتى في الشدائد. كان لابدّ لذلك من ثمن. ما كان لذلك أن يبقى بلا عقاب.

*

إذا كنتُ أُحبّ مُراسلات دستويفسكي إلى هذا الحدّ فلأنّها لا تخوض إلاّ في المرض والمال، الموضوعين الوحيدين «المُثِيرَيْن». كلُّ ما خَلاهُما إنشاءٌ ورُكام.

*

يبدو أنّ المياه ستغمر إنجلترا بالكامل بعد خمسمائة ألف سنة. لو كنت إنجليزيًا لوضعتُ السلاحَ فورًا.

لِكُلٍّ وحدتُهُ الزمنيّة. بالنسبة إلى البعض هي اليوم أو الأسبوع أو الشهر أو السنة. بالنسبة إلى البعض الآخر هي عشر سنوات وربّما مائة... هذه الوحدات التي لم تتخطَّ المُستوى البشريّ يمكن أن تتوافق مع كلّ مشروع، مع كلّ عمَل.

هناك من يتّخذ وحدةً زمنيّة من الزمن نفسِه وهناك من يرتفع فوق الزمن أحيانًا. أيّ مشروع وأيّ عمل يستحقُّ أن يُحمَلَ على محمَل الجِدِّ بالنسبة إلى هؤلاء؟

إنّ من يُفرط في النظر إلى البعيد ومن يُعاصِرُ *كُلَّ* المُستقبل، لا يظلّ قادرًا على الاشتغال ولا حتى على الحركة...

*

فكرةُ الفَناء تُصاحِبُني في كلّ مناسبة: هذا الصباح وأنا أضع رسالة في صندوق البريد، حدّثتُ نفسي بأنّها موجَّهةٌ إلى *فانٍ*.

*

تكفي تجربةٌ واحِدةٌ مُطلَقة في أيّ مجالٍ كان، كي تمنحك في نظرك صُورةَ أحدِ الناجِين.

*

عشتُ دائمًا على وعي باستحالة الحياة. ولولا الفضول إلى معرفة كيف سيتسنّى لي أنْ أعبر من دقيقةٍ إلى أُخرى، من يوم إلى آخر، من سنةٍ إلى أُخرى، لما تمكّنتُ من تحمُّل الوُجود.

*

أوّل شَرْطٍ كي تُصبح قدّيسًا، أن تُحِبّ المُزعِجين، أن تتحمّل *الزيارات*...

*

نهزُّ الناس، نوقظُهم من النوم، مع عِلْمِنا بأنّنا نقترف بذلك

جريمة، وأنّ من الأفضل ألف مرّة أن نتركهم يستمرّون في النوم، لأنّنا لا نملك ما نقترحه عليهم حين يستيقظون...

*

بُورْ روايال[١]. كم دارت وسَطَ تلك الخُضرة من معارك وصراعات بسبب بعض التفاهات. لا يمضي زمن على عقيدةٍ من العقائد حتى تبدو مجانيّةً وغيرَ مفهومة، شأنها في ذلك شأن العقيدة المُضادّة التي دمّرتها. وحدَهُ يبقى منهما الذهولُ الذي أثارَهُ كِلاهُما.

*

المسكين الذي يشعر بالزمن، الذي يقع ضحيّةَ الزمن ويموتُ بهِ، الذي لا يحسّ بشيء آخر، المسكينُ الذي يكونُ الزمنَ في كلّ لحظة، يعرفُ ما لا يستطيع عالِمُ الماورائيّات أو الشاعرُ إلاّ تخمينَهُ في ضوءِ انهيارٍ أو مُعجِزة.

*

هذا الدويُّ الداخليّ الذي لا يتمخّض عن شيء والذي يجعلنا لا نتخطّى حالةَ البركان المُثير للضحك.

*

كلّما انتابتني نوبةُ غضبٍ عارم بدأتُ بالحزن واحتقار النفس ثم

---

(١) **بور روايال** (Port-Royal): من أهمّ الموانئ في جامايكا، اعتبرت في بعض الفترات التاريخية مدينة القراصنة وعرفت ازدهارًا كبيرًا ومحنًا كثيرة وتعرّضت أكثر من مرّة إلى زلازل مدمّرة.

قلتُ في سرّي: يا لها من فرصة، يا لها من نِعمة! ما زلتُ حيًّا. ما زلتُ أنتمي إلى تلك الأشباح ذات اللحم والعظْم...

*

البرقيّةُ التي وصلتني للتوّ بدتْ أوّلاً بلا آخِر. لم تغفَل عن شيءٍ من ادّعاءاتي ونقائصي. لم تغفل حتى ذلك العيب الذي لم أنتبه إليه شخصيًّا إلاّ بالكاد فأشارت إليه وأعلنت عنه. يا للكهانة ويا للدِّقّة! عند نهاية لائحة الاتّهام الطويلة لم أعثر على مؤشّر أو أثر يسمح بمعرفة كاتبها. تُرى من يكون؟ ولماذا هذا التسرُّع وهذه الدعوَى الغريبة؟ هل وُوجِهَ أحدٌ على الإطلاق بحقيقته بصرامةٍ في التحامُل أشدّ من هذه؟ من أين طلع هذا المُقتصُّ ذُو العِلْم الكُلّيّ الذي لا يجرؤ على الكشف عن اسمِه، هذا الجبانُ المُطّلِعُ على كُلّ أسراري، هذا المُفَتِّشُ الذي لم يُسعفني بأيِّ من ظُروف التخفيف المُعتَرَف بها لأكثر الجلاّدين صلابة؟ قد أكون ضللتُ أنا أيضًا، ومن حقّي أنا أيضًا بعضُ الحِلْم. أتراجع أمام قائمة عُيوبي. أختنق. لا أستطيع الاستمرار في تحمُّل استعراض الحقائق هذا... يا لها من برقيّة ملعونة!

أمزّقها وأستيقظ...

*

من الطبيعيّ وممّا لا مناص منه أن تكون لك آراء لا أن تكون لك قناعات. كلّما صادفتُ صاحب قناعاتٍ تساءلتُ ما العيبُ العقليّ وما الصّدْعُ الذي جعله يمتلكها. مهما كان هذا السؤال

مشروعًا فإنّ اعتيادي على طَرْحِه يُفسد عليّ كلّ محادثة، ويُشقي ضميري، ويجعلني أبدو بغيضًا في نظري.

*

اعتقدتُ في وقتٍ من الأوقات أنّ الكتابةَ أمرٌ مهمّ. من بين كلّ الخرافات التي آمنتُ بها، تبدو لي هذه أكثرها تعريضًا للشبْهة وأعصاهَا على الفهم.

*

أفرطتُ في استخدام كلمة *القَرَف*. لكن هل من مُفردةٍ أُخرى لوصفِ حالةٍ لا ينقطع فيها السُّخْطُ عن تعديل القُنُوط ولا يكفّ فيها القُنُوطُ عن تعديل السُّخْط؟

*

حاولنا تعريفَهُ طيلةَ السهرة مستعرضين كلّ العبارات الملطّفة التي تسمح لنا بأن لا نتفوّه بكلمة **غَدْرٍ** في شأنه. إنّه ليس غدّارًا. هو مُراوغٌ فحسب، بطريقة شيطانيّة، وهو في الوقت نفسِه بريء ساذج وربّما ملائكيّ. لنتصوّرْ إذا استطعنا مزيجًا من أليوشا وسميردياكوف[1].

*

حين نكفُّ عن الإيمان بأنفُسنا نكفُّ عن الإنتاج والعِراك، نكفُّ

---

(١) أليوشا أو ألكسي (Aliocha): وسميردياكوف (Smerdiakov) من أبطال رواية دوستويفسكي «الإخوة كارامازوف».

حتى عن طرح الأسئلة والردّ عليها، في حين أنّ العكس هو الذي ينبغي أن يحدث، بما أنّنا أصبحنا انطلاقًا من تلك اللحظة، وقد تحرّرنا من كلّ رابط، قادرين على إدراك الحقيقيّ وعلى تبيُّن ما هو واقعٌ وما هو ليس كذلك. لكن ما أن ينضب إيمانُنا بدورنا الشخصيّ أو بنصيبنا الخاصّ حتى نزهد في الاطّلاع على أيّ شيء، وإن كان «الحقيقة»، على الرغم من أنّنا عندئذ أقرب إليها من أيّ وقتٍ كان.

❊

لن أصمد في الفردوس «موسمًا»، ولا حتى يومًا. كيف أُفسِّرُ إذنْ الحنينَ الذي أشعر به تجاهه؟ أنا لا أُفسِّره، إنّه يسكنني منذ القديم، لقد كان فِيَّ مِنْ قَبْلِي.

❊

في وسع أيٍّ كان أن يشعر في أوقاتٍ متباعدة بأنّه لا يشغَلُ سوى نُقطةٍ ولحظة. أمّا أن يراودك هذا الشعور ليل نهارًا أو بالأحرى في كلّ ساعةٍ فهو أمر أقلّ شُيوعًا، وانطلاقًا من تلك التجربة، من ذلك المُعطَى، نلتفت إلى النيرفانا أو التهكّم أو إليهما معًا.

❊

على الرغم من أنّي آليتُ على نفسي أن لا أُخطئ في حقّ الإيجاز المُقدّس، فإنّي أظلّ دائمًا شريك الكلمات، وحين يُغويني الصمت لا أجرؤ على دُخوله بل أكتفي بالطواف على محيطه.

❊

قد يكون علينا أن نحدّد صدق ديانةٍ من الديانات على أساس احتفائها بالشيطان. كلّما بوّأته مكانةً مرموقة كان ذلك شهادة لها على أنّها معنيّةٌ بالواقع، وأنّها ترفض الخِدَع والأكاذيب، وأنّها جادّةٌ، وأنّها تُفضّل المُعاينة على الهذيان والمُواساة.

❊

لا شيء يستحقُّ أن يُقَوَّض، ربّما لأنْ لا شيء يستحقُّ أن يُبنَى. هكذا ننفصل عن كلّ شيء، عن البدئيّ والنهائيّ، عن الارتقاء والانهيار.

❊

أن يكون كُلُّ شيء قيل ولم يعد ثمّت ما يُقال هو أمر نعرفه وندركه. إلاّ أنّ الأمر الذي قلّما ندركه، أنّ هذه الفكرة البديهيّة تمنح اللغة وضعًا غريبًا وربّما مُقلقًا، يُكفّرُ عنها. لقد أُنْقِذت الكلماتُ أخيرًا لأنّها كفّت عن الحياة.

❊

يا للخير العميم ويا للشرّ الهائل اللذَيْنِ تسنّى لي أن أجنيهما من تفكيري الطويل في أحوال الموتى.

❊

مزيّةُ الشيخوخة التي لا جدال فيها أنّها تُتيح لنا أن نراقب عن كثب تدهوُرَ الأعضاء الطويل والمنهجيّ. تشرع أعضاؤنا كلّها في التصدُّع بعضُها بشكلٍ سافر وبعضُها باحتشام. تنفصل عن الجسد كما ينفصل الجسد عنّا: يُفلِتُ بعيدًا. يهرب منّا. يكفّ عن

الانتساب إلينا. إنّه جنديٌّ فارٌّ إلى العدوّ لا نستطيع حتى أن نشي به، بما أنّه لا يستقرّ في مكان ولا يضع نفسَه في خدمة أحد.

*

لا أمَلُّ قراءةَ كُلِّ ما يتعلّق بالنُسَّاك، خاصّةً أولئك الذين يُقال إنّهم «تعبوا من البحث عن الله». أنا منبهر بفاشِلي الصحراء.

*

لو تسنّى لرامبو[1] بطريقةٍ نجهلها أن يُواصِل العمل (وهذا يعني أن نتصوّر غداةَ ما لا يُصدّق، نيتشه في ذروة الإنتاج بعد ***هذا هو الإنسان***[2]، لانتهى به الأمر إلى أن يتراجع، أن يرصن، أن يُعلّق على انفجاراته، أن يشرحها ويشرح نفسَه. سيكون ذلك تدنيسًا في كلّ الأحوال، بما أنّ الإفراط في الوعي ليس سوى شكلٍ من أشكال التدنيس.

*

لم أتعمّق إلاّ في فكرة واحدة تقول إنّ كلّ ما ينجزه الإنسان ينقلب عليه بالضرورة. الفكرةُ ليست جديدة لكنّي عشتها بضراوةٍ وقوّة اقتناع لا يُطاولهما أيّ تعصُّب أو هذيان. ليس من شهادةٍ أو عار يصعُبُ عليّ أن أكابدهما في سبيل هذه الفكرة، ولست مستعدًّا للتفريط فيها مُقابل أيّ فكرةٍ أخرى ولا مُقابِل أيّ كشفٍ آخر.

*

---

(١) **أرثر رامبو** (Rimbaud): الشاعر الفرنسي (١٨٥٤ ـ ١٨٩١)

(٢) **هذا هو الإنسان** (Ecce Homo): أقرب كُتب نيتشه إلى السيرة الفلسفية، وآخر كُتبه قبل أن يتغلب عليه المرض، فرغ منه سنة ١٨٨٨ ونُشر بعد وفاته سنة ١٩٠٨.

أن أذهب إلى أبعد ممّا ذهب البوذا، أن أرتفع فوق النيرفانا، أن أتعلّم الاستغناء عنها...، أن أصل إلى حيث لا يوقفني بعد ذلك شيء، ولا حتى فكرة الخلاص، أن أعتبر فكرةَ الخلاص مُجرّد استراحة، أو إزعاج، أو كُسوف...

*

ضعفي تجاه السلالات المُدانة، تجاه الإمبراطوريّات المتداعية ومونتيزومات[1] كلّ العصور، تجاه الذين يؤمنون بالعلامات، تجاه منفطري القلوب والمُطارَدين، تجاه المُسَمَّمين بالمحتوم، تجاه المُهدَّدِين والمُفتَرَسين، تجاه كلّ الذين ينتظرون جلاّدهم...

*

أمرُّ دون أن أتوقّف أمام قبر ذلك الناقد الذي اجتررتُ الكثير من عباراته اللاذعة. لا أتوقّف أكثر أمام قبر ذلك الشاعر الذي لم يفكّر طيلة حياته إلاّ في انحلاله النهائيّ.

أسماء أُخرى تلاحقني. أسماء من مكان آخر، مرتبطة بتعليم قاسٍ ومُطَمْئِن، مرتبطة برؤية أُحكِمَ تكوينُها كي تطرد من العقل كلَّ الوساوس، حتى القاتل منها. ***ناجارجونا***، ***كاندراكيرتي***، ***شانتيديفا***[2] ـ هؤلاء المُحاربون منقطعو النظير، الجدَلِيُّون

(١) نسبة إلى **مونتيزوما** (حوالي ١٤٦٦ ـ ١٥٢٠) الحاكم الذي قتل في بدايات الغزو الإسباني للمكسيك.

(٢) **ناجارجونا** (Nagarjuna): أحد أهم المعلمين والفلاسفة البوذيين (حوالي القرن=

المشغولون بهوَس الخلاص، بهلواناتُ الفراغ ودُعاتُه...، هؤلاء الحكماء بين الحكماء، الذي لا يرون الكونَ سوى كلمة...

❊

راقبتُ مشهد تلك الأوراق وهي تتعجّلُ السقوط طيلةَ كم من خريف، دون أن يمنعني ذلك من الشعور في كلّ مرّة بمفاجأة يكاد يكون لها وقْعُ «البرد في العظام»، لولا الظهورُ المُباغتُ في اللحظة الأخيرة، لبهجةٍ لا أُفلح في استجلاء مصدرها حتى الآن.

❊

ثمّتَ لحظات لا نستطيع فيها أن نتصوَّر مُخاطَبًا غير الله مهما كانت درجةُ بُعدِنا عن كلّ إيمان. في مثل تلك اللحظات يبدو لنا التوجّهُ إلى مُخاطَبٍ آخر مُحالاً أو جنونًا. الوحدةُ في درجتها القُصوَى تقتضي مُحادثةً قُصوَى، هي أيضًا.

❊

للإنسان رائحةٌ خاصّة: من بين كلّ الحيوانات هو الوحيد الذي تنبعثُ منه رائحة الجثّة.

❊

توقّفت الساعاتُ عن الجريان. بدا الصباح بعيدًا لا يُدْرَك. والحقّ

=الثاني). ـ **كاندراكيرتي** (Candra Kirti): فيلسوف هندي من كبار مدرسة المادهياماكا (حوالي القرن السابع) ـ **شانتيديفا** (çantideva) أو (Shantideva): فيلسوف البوذية الهندي (٦٨٥ ـ ٧٦٣) من أهمّ المعلّمين في بوذية التيبت.

أنّي لم أكن أنتظر الصباح بل كنتُ أنتظرُ نِسيان هذا الزمن المتعنّت الذي كان يرفض التقدّم. قلتُ لنفسي سعيدٌ هو المحكوم بالإعدام ليلةَ إعدامه، فهو واثق على الأقلّ من أنّه سيقضي ليلة هانئة.

*

هل أستطيع أن أظلّ واقفًا لمزيدٍ من الوقت؟ هل أتهالك على الأرض؟

إذا كان من إحساسٍ ***مُثير للاهتمام***، فهو ذاك الذي يتيح لنا استطعامَ الصَّرَع.

*

كلُّ من يعيش بعدَ نفسِهِ يحتقر نفسَهُ دون أن يعترف بذلك، وأحيانًا دون أن يعلم بذلك.

*

حين نتمرّد بعد أن نكون قد تجاوزنا سنَّ التمرُّد، فإنّنا نَظهر لأنفُسنا بمظهر إبليسٍ خَرِف.

*

لو لم نكن نحمل سِمات الحياة لكان من السهولة بمكانٍ أن نهرب وأن ندع الأمور تسير لوحدها.

*

أنا قادر على الصفح فورًا أكثر من أيٍّ كان. الرغبةُ في الانتقام لا تخامرني إلاّ لاحِقًا، بعد فوات الأوان، حين تكون ذكرى الإساءة

على وشك الامّحاء، وحين يصبح الحافز على الفعل شبه منعدم، فإذا أنا لا حيلةَ لِي غير الأسف على «عواطفي الرقيقة».

*

لا فُرصةَ لنا كي نتبيّن على أيّ خَبَلٍ يتأسّس كلُّ وُجُود، إلاّ بِقَدْر ما يتسنّى لنا في كلّ لحظةٍ، أن نَحْتَكَّ بالموت.

*

نستطيع أن نُقنِع الجميع تقريبًا، مع شيءٍ من الإلحاح، بأنّه سيّان في آخِر الأمر أن نكون هذا الشيء أو وذاك، أو حتى الله نفسَه. كيف أمكنَ إذنْ أن يتوقَ كُلٌّ منّا إلى وُجودٍ إضافيّ، وأن لا يلتزم أحدٌ بالانخفاض، بالنزول في اتّجاه العوَزِ المثاليّ؟

*

يعتقد بعض الأقوام أنّ الموتى يتكلّمون لغةَ الأحياء نفسها مع فارق أنّ للكلمات بالنسبة إليهم معنى مُعاكسًا لمعناها السابق: كلمة الكبير تعني الصغير، القريب تعني البعيد، الأبيض تعني الأسود...

هل يُختزل موتنا في هذا؟ أيًا كان الأمر فإنّ هذا الانقلاب اللغويّ الكامل، يُشير أكثر من أيّ اختراعٍ مُهْلِك، إلى ما يشتمل عليه الموت من غريب ومُذهل.

*

أتمنّى أن أؤمن بمستقبل الإنسان، لكنْ أنّى لي ذلك إذا كنتُ

على الرغم من كلّ شيء متمتّعًا بكامل مداركي؟ يتطلّب الأمر هزيمةً شبْهَ كُليّة لتلك المدارك، وقد لا تكفي.

*

كلُّ فكرةٍ غير موسومةٍ سريًا بالقضاء والقدر هي فكرةٌ قابلةٌ للاستبدال، ولا قيمة لها، وليست سوى فكرة...

*

في بداية أزمته بتورينو ظلّ نيتشه يندفع بلا انقطاع إلى مرآته، لينظر إلى نفسه ويشيح عنها، ثمّ يعيد النظر إلى نفسه من جديد. كانت المرآةُ الشيء الوحيد الذي ألحّ في طلبه أيضًا وهو في القطار إلى بال. لم يعد يعرف من يكون. كان يبحث عن نفسه، وهو، المعنيّ إلى حدٍّ كبير بصيانة هويّته، الملهوف على ذاته، لم يعد يملك للعثور على نفسه غير أكثر الوسائل غلاظةً ومدعاة للرثاء.

*

لا أعرفُ شخصًا غيرَ مُجْدٍ وغيرَ قابلٍ للاستعمال أكثر منّي. هذا مُعْطًى ينبغي عليّ أن أتقبّله ببساطة ودُون أن أستمدّ منه أيّ إحساسٍ بالفخْر. وإلاّ فإنّ وعيي بلا جدوايَ لن يفيدني في شيء.

*

مهما كان الكابوسُ الذي تراه فإنّك تلعبُ فيه دورًا، تحتكرُ بُطولَتَه، تكون فيه ذا شأن. في الليلِ وحدَهُ يتسنّى للمحروم أن ينتصر. لو ألغينا الكوابيس لحصلنا على سلسلةٍ من الثورات.

*

الرعبُ من المستقبل يقومُ دائمًا على **رغبةٍ** في الإحساس بهذا الرعب.

*

فجأةً وجدتُ نفسي وحيدًا أمامَ... أحسستُ في تلك الظهيرة من طُفولتي أنّ أمرًا شديد الخطورة قد حدث للتوّ. كانت تلك صحوتي الأولى، المؤشّر الأوّل، أوّل بشائر الوعي. إلى حدّ تلك اللحظة لم أكن سوى ***كائن***. انطلاقًا من تلك اللحظة أصبحتُ أكثر من ذلك وأقلّ. ما من ***أنا*** إلاّ وهو يبدأ من صدْعٍ وكشْف.

*

الولادةُ والقَيْدُ مُترادفان. أن ترى النهارَ يعني أن ترى الأصفاد.

*

أن نقول «كُلُّ شيءٍ وهميّ» يعني أن نستسلم للوهم، أن نُقرَّ لهُ بدرجةٍ رفيعةٍ من الحقيقة، بل بالدرجة الأرفع، في حين أنّنا كنّا نُريد أن نُزْرِيَ به. ما العمل؟ الأفضل أن نكفّ عن الإعلان عنه وعن التشهير به، أن نكفّ عن الخضوع له عن طريق التفكير فيه. تُكبِّلُنا كُلُّ فكرة، حتى تلك التي تُقصي كلّ الأفكار.

*

لو استطعنا أن ننام أربعًا وعشرين ساعة على أربعٍ وعشرين، إِذَنْ لانضممنا بسرعة إلى الكساد الأصليّ، إلى غبطةِ ذلك الخَدَر الكامِل لِما قبْلَ التكوين ـ حلْم كُلّ وعيٍ أنهكتْهُ نفسُه.

*

أن لا نُولَد هي بلا مُنازع أفضلُ صيغةٍ ممكنة. إلاّ أنّها للأسف ليست في متناول أحد.

❊

لم يُحبَّ أحدٌ هذا العالَمَ أكثرَ مِنّي، وعلى الرغم من ذلك، لو قدّموه لي على طَبَق، حتى وأنا طفل، لصرختُ فيهم: «فات الأوان، فات الأوان!»

❊

ما بك؟ قُل لي ما بك؟ ـ أنا بخير، أنا بخير، كلُّ ما في الأمر أنّي وَثَبْتُ إلى خارج مَصِيرِي، وها أنا لا أعرفُ الآن إلى أين أَلتَفِت وفي أيّ اتّجاهٍ أركُض...

الفهرس

هذا الكتاب

ليس من برهانٍ على ما بلغته البشريّةُ من تقهقر، أفضل من استحالةِ أن نعثر على شعب واحد، أو قبيلة واحدة، مازالت الولادة قادرة على أن تثير فيها الحِداد والمناحات.



